في هذا العدد

سرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي
تعزيز الأرضية الاخلاقية في العلاقات الدولية يشكل بالنسبة الينا جزءا لا يتجزأ من السياسة الكبرى

مراد مدلسي، وزير الخارجية الجزائري
روسيا والجزائر تاريخ الثقة المتبادلة

سعد الدين العثماني، وزير الشؤون الخارجية والتعاون المغربي
المملكة المغربية: الدولة التي لم يصلها «الربيع العربي»

أندريه دينيسوف، النائب الاول لوزير الخارجية الروسي
الحمد لله لا يوجد لدينا اعداء في عالمنا المعاصر

ميخائيل بوغدانوف، نائب وزير الخارجية الروسي
الشرق الاوسط وشمال افريقيا: منطقة على عتبة تحول داخلي جوهري

سيرغي ريابكوف، نائب وزير الخارجية الروسي
عام حافل بالإيجابيات، ولا محل للشكوى

سيرغي نيقولايف، نائب مدير الدائرة الثالثة لدى وزارة الخارجية الروسية لشؤون رابطة الدول المستقلة، دكتور في العلوم السياسية
آسيا الوسطى في الجيوسياسة: المد الامريكي (1991-2008)

أرمين أوغانيسيان، رئيس هيئة تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»
عماذا كان للقذافي ان يفصح لمحكمة الجنايات الدولية؟

سيرغي ستيباشين، رئيس الهيئة الفدرالية الروسية للرقابة والتفتيش، رئيس الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية
ان عقدت العزم على زيارة الاراضي المقدسة، فزرها

تعمل هيئة تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية» على إصدار الملحقات، والأعداد الخاصة المكرسة لتغطي مناطق معينة والتي تتناول القضايا الملحة في السياسة والإقتصاد العالميين، وتعرج على نواح معينة منها.

يصدر عدد سنوي خاص تحت عنوان «تاريخ بلا مزايدات» يعالج فيه خيرة المؤرخين والخبراء السياسيين الحالات الخاضعة للجدال في العلاقات الدولية، ويتناولون المراحل التاريخية غير المعروفة، ويسلطون الضوء على «الصفحات الناصعة» في التاريخ.

تدأب هيئة التحرير على اصدار أعداد خاصة تعنى ببحث الاحداث الهامة في السياسة الدولية، وتغطي العلاقات الثنائية بين روسيا والدول والمنظمات العالمية. وبين هذه الاعداد، مثلا، «روسيا ورابطة آسيان»، «روسيا وفنلندا»، «روسيا وسويسرا»، «الهيئة الدبلوماسية الروسية».

يولي قراء المجلة اهتماما بالغا لأعدادها الخاصة التي تعنى بالشؤون القطاعية. وآخر أعداد المجلة الإختصاصية كان العدد الصادر بعنوان «النفط الروسي في القرن 21»، حيث قيم فيه الخبراء في مجالي النفط والغاز مكانة روسيا في سوقي النفط والغاز العالميتين.

للواقع المعقد في الشرق الاوسط، وهذا ما يجعل الافرودة في متناول كل قارئ وبحوزة كافة المعنيين بقضية الشرق الاوسط وحيثياتها.

---

1. Крылов А. В. Израильские поселения на оккупированных арабских территориях (1967–2007 гг.). М.: МГИМО-Университет, 2011. 340 с.

أ. ب. كريلوف المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة (1967-2007)، موسكو، معهد العلاقات الدولية (الجامعة)، 2011، 340 صفحة.

الكلمات الرئيسية: الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، الضفة الغربية لنهر الاردن، مرتفعات الجولان، قطاع غزة، القدس.

وجزء الافرودة الذي يثير اهتماما بالغا به في أوساط الخبراء والمختصين بشؤون الشرق الاوسط، كان الجزء الذي كشف فيه كريلوف عن العقائد الدينية الفلسفية والسياسية الحديثة للاسرائيليين المشاركين في الحركات الاستيطيانية. ويتناول كريلوف، وعلى مسطوى علمي حاق، بحت التوجهات الاساسية والصيغ والوسائل التي تستخدم في نشاطات المنظمات الاسرائيلية الاستيطيانية الدينية العنصرية وغيرها في الضفة الغربية منذ نهاية حرب عام 1967.

واعتقد ان كريلوف في افرودته يوضح ولأول مرة تعاطي الاحزاب الاسرائيلية الاساسية مع السياسة الاستيطيانية وموقف جميع الاطراف المشاركة في عملية التسوية في الشرق الاوسط من هذه القضية.

ومحتويات الافرودة تثبت وبموضوعية ان السياسة الرسمية لتأييد المستوطنين في الاراضي العربية المحتلة والممارسة منذ عام 1967 من قبل كافة الحكومات الاسرائيلية التي تعاقبت خلال هذه الفترة، أن هذا النهج مصبوب على الطعن حتى بفكرة إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. زد على ذلك ان هذه السياسة تنسف في الواقع كافة الجهود الدولية الرامية الى التسوية السلمية للنزاع الذي طال امده في إطار حل الدولتين للعيش جنبا الى جنب في ظل ظروف الامن والاستقرار.

وتقوم افرودة المؤلف على هيكلية منطقية منسقة ومتوازنة، والاستنتاجات التي خلص اليها كريلوف خلال الابحاث التي اجراها موثقة ومثبتة والبعض منها يمكن تسميته بالاستنتاجات التجديدية.

ومن المؤكد ان صدور عمل كريلوف العلمي صوف يكون ظاهرة ملحوظة في سوق الكتب الروسية، وان الافرودة ستحظى باهتمام والباحثين في الشئون الدولية، وبالدرجة الاولى اهتمام الاوساط المرتبطة بالفضاء العلمية والثقافية الناطقة، خاصة وان هذا الفضاء يتسع الى حد كبير يخرج عن نطاق روسيا. ولا بد لي من التأكيد بشكل خاص على ان التعاطيات غير التقليدية التي أوردها المؤلف تصب في بوتقة الشرح المتتالي الواضح

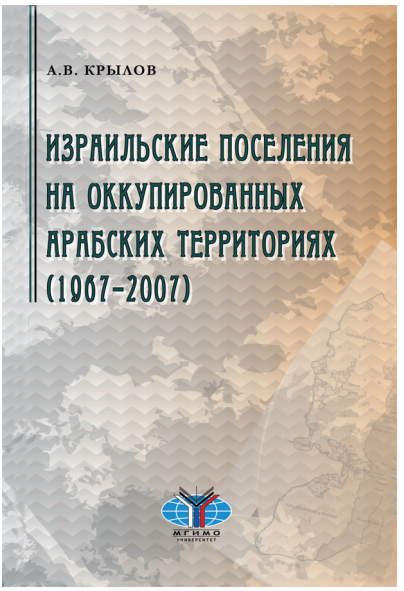

التصور الكافي للتطورات في كل من الضفة الغربية وغزة والجولان وفي القدس طبعا تحظى بأهمية مبدئية بالنسبة الى فهم الموقف الروسي بهذا الصدد ومن اجل حل المشاكل المتشعبة التي تبرز وبشكل دائم في منطقة الشرق الاوسط وفي مناطق الصراع الفلسطيني الاسرائيلي.

ويسعني هنا التشديد بشكل خاص على ان الابحاث التي اوردها كريلوف تشكل نتائج مباشرة للنشاطات العلمية التي قام بها وممارسته الدبلوماسية الطويلة الامد في السفارة الروسية في اسرائيل، والممثلية الروسية لدى السلطة الوطنية الفلسطينية، والممثلية الخاصة للرباعية الدولية للسلام في الشرق الاوسط. وتجدر الاشارة الى ان كريلوف يعتبر في الفترة الراهنة واحدا من اهم الخبراء المتخصصين بشؤون المستوطانات الاسرائيلية المقامة على الاراضي العربية المحتلة. وخير دليل على ذلك تأتي اعماله العلمية السابقة حول قضايا الاستيطان والتي اثارت اهتماما بالغا لدى اولئك الذين يحترفون ما يتعلق بقضية الشرق الاوسط وبالصراع الفلسطيني الاسرائيلي.

وتشكل أفرودة كريلوف تحليلا موسعا ومعمقا لتاريخ إنشاء وتطور المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية، بما فيه القدس الشرقية ووادي الاردن، وفي قطاع غزة وفي كل من شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان. ولا يوجد لمؤلف كريلوف مثيل لا في روسيا ولا في الدول الاخرى. والمصادر والوقائع التي تناولها كريلوف في افرودته فريدة من نوعها، ناهيك عن ان كما كبيرا من المعلومات الاحصائية والإعلامية اقتبست من المصادر الاسرائيلية والفلسطينية بشكل مباشر.

فاليري فوروبيوف

نائب مدير معهد العلاقات الدولية (الجامعة) التابع لوزارة الخارجية الروسية، بروفيسور، دوكتور في الحقوق

vorobev@mgimo.ru

المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة

يعتبر الصراع الفلسطيني الاسرائيلي واحدة من أهم القضايا الملحة في العلاقات الدولية والتاريخ المعاصر على امتداد 60 عاما. والاسباب التي تقف وراء استمرار هذا الصراع تكاد لا تحصى وكتب حول ذلك كم هائل من المقالات والكتب وأجري بهذا الصدد الكثير من الاعمال العلمية وشبه العلمية. ومع ذلك فلم يتم حتى الآن الكشف وبشكل علمي صرف عن الكثير من حيثيات هذا الصراع وتسليط الضوء عليها رغم خروج النزاع عن النطاق الاقليمي له. وما اشرت اليه اعلاه ينسحب أيضا على مراجعة أفرودة أ. ب. كريلوف تحت عنوان «المستوطنات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة (1967-2007)»[1].

ويتطرق كريلوف الى مسألة لم تخضع للدارسة العلمية المعمقة من قبل العلم التاريخي الروسي والسوفييتي والاجنبي. واريد هنا التأكيد على ان الكتب العلمية التاريخية والسياسية الروسية لا تحتوي على مطبوعات تتناول بشكل خطير القضايا المرطبة بالسياسة الاسرائيلية الاستيطانية المتبعة على الاراضي العربية المحتلة منذ عام 1967. وان

نرى أن الكتاب الذي وصف «بالفريد من نوعه» لم يكن له ان يرى النور لولا ارادة الأشخاص الطيبين.

وكيف لنا الا ننحني تقديرا للسيد ا. خاريتون رئيس الاكاديمية الدولية للمعلوماتية على تكفله بترقيم كم هائل من مواد الفيديو.

ولا بد هنا ايضا من التنويه والاشادة بالإسهام الكبير الذي قدمه لإنجاح مشروع الكتاب كل من ف. كازيميروف رئيس مجلس قدامى الدبلوماسيين الروس، السفير الروسي فوق العادة مطلق الصلاحية، وأ. كاداكين السفير فوق العادة مطلق الصلاحية لدى الهند. ولا بد ايضا من تقديم الشكر الى مركز ريريخ الدولي، والى رئيس مجلس ادارة «ماستر- بانك» ب. بولوتشنيك. وبالطبع لا يسع المجال هنا الى ذكر كافة من شارك وأسهم في إنجاح المشروع، حيث ان عددا كبيرا من الشخصيات قامت مشكورة وفي الوقت المطلوب بإظهار الصفات التي تميز الرفاق الأوفياء لذكرى الراحل يولي فورونتسوف.

---

1. Карапетян Г., Грачев-Селих В. От Молотова до Лаврова. Ненаписанные воспоминания Юлия Воронцова. М.: МУР, Мастер-Банк, 2011. 864 с.

غ. كارابتيان وف. غراتشوف- سيليخ. من مولوتوف حتى لافروف. مذكرات يولي فورونتسوف التي لم تكتب. موسكو، م. و.ر.، ماستر- بانك، 2011. في 864 صفحة.

الكلمات الرئيسية: «من مولوتوف حتى لافروف. مذكرات يولي فورونتسوف التي لم تكتب»، مركز ريريخ الدولي، ف. غراتشوف- سيليخ، غ. كارابيتيان.

التي استمر خلالها إعداد الكتاب في غضون الإجازات القصيرة التي كان يقضيها غراتشوف- سيليخ في موسكو والذي ايضا كان في النصف الاول من النهار يدأب على متابعة مهامه الوظيفية وفي النصف الثاني كان يتفحص ارشيف فورونتسوف ويتواصل مع كارابيتيان. ومن اجل فهم الحوارات التي كانت تجرى بين هذا الثنائي لا بد من قراءة المراسلات التي تبادلاها عبر شبكة النت. ورغم الجدالات الافتراضية عبر النت تحول الرجلان الى صديقين ما يستدعي التقدير.

وفي هذا السياق لفت ألكسندر بيسميرتنيخ خلال مراسم الاحتفال بإصدار مجموعة مقالات حول المذكرات والوثائق المتعلقة بفورونتسوف وسيرته والتي صدرت تحت عنوان «الدبلوماسي يولي فورونتسوف» عن جمعية الدبلوماسيين الروس والمجلس الروسي الامريكي للتعاون العملي، لفت الى أن: «الكتاب تضمن حزمة من اللحظات الساطعة، والكشوفات التي لم يكن حتى المختص على اطلاع عليها. وعلى وجه التحديد عثرت على الحالات التي لم اكن على علم بها والمتعلقة بالحملات السياسية الخارجية التي دأبنا على تنفيذها».

وبدون شك، ومن خلال قراءة هذا الكتاب دهشت لعدد تسجيلات الفيديو لفورونتسوف، والمواد المختلفة ذات الطابع غير الرسمي والتي تم نشرها لاول مارة. وما استحوذ على اهتمامي هو مدى تعاطي فورونتسوف وعن طيبة خاطر وبموضوعية مع الانتقال الى النقاط الخاصة والحادة لمحادثيه خلال الحوارات التي كانوا يديرونها معه. زد على ذلك الطبائع التي تميز فورونتسوف في اختياره للتعابير والمصطلحات لابواب الكتاب المتعلقة بمختلف الشخصيات.

وكانت اول مراجعة للكتاب قد اجريت تحت رعاية رابطة خريجي معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية (الجامعة) والتي كان فورنتسوف يرأسها حتى آخر يوم في حياته. ولكن من خلال معرفتنا لواقع اليوم،

الحميدة وعلى الاقل كمرؤوسه خلال عملي في البعثة الدائمة لبلادنا في منظمة الامم المتحدة بنيويورك.

وربما لهذا السبب امتلأ الكتاب بالمقابلات، ومن غير المستهجن ان يعترف المحاور الرئيسي لفورونتسوف ان يعترف بأن فورونتسوف لم يقم ولو مرة (!) وبشكل دبلوماسي بتأجيل بحث هذه المسألة الملحة او تلك الى إشعار آخر. ولا بد هنا من العودة الى الكتاب والاشارة الى انه خلال تمعني بأقسام الكتاب لمست أن الكثير منها حمل طابعا تفاعليا لها من خلال الحوار بصيغة سؤال وجواب، اضافة الى المقاطع المختارة والعبارات المنتقاة من مختلف المصادر، ومن ثم المعلومات المتعلقة بالسيرة الذاتية والتعليقات. وكل هذه الحيثيات تجعل الكتاب مشوقا وواضحا لشريحة واسعة من القراء المهتمين بالسياسة الخارجية لبلادنا.

ولماذا الثنائي من المؤلفين؟

who is who?

كارابيتيان من مواليد عام 1953، وعمل في مصنع يريفان للالومينيوم وكانت بوادر منشوراته الاولى المقالات التي نشرها في الصحافة الشبابية المحلية. وعقب ان انهى دراسته الصحفية في جامعة موسكو الحكومية بقي طوال ربع قرن مخلصا لعمله الصحفي واستمر في نشر المقالات في الصحافة . أما غراتشوف- سيليخ فقد انهى دراسته الجامعية في معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية وعمل طوال عشرين عاما بعد تخرجه في الخدمة بالسلك الدبلوماسي، حيث عمل في نيويورك وواشنطن ودلهي. وانتقل الى العمل منذ عام 1993 في الامانة العامة للأمم المتحدة وشغل منصب كبير مستشاري مكتب السكرتير العام لمنظمة الامم المتحدة. ويعمل في الفترة الراهنة رئيسا لفرع مكتب الامم المتحدة في جينيف. وتجدر الاشارة الى ان مؤلفي الكتاب كان قد تعرفا على بعضهما البعض عقب رحيل فورونتسوف، ومنذ تعارفهما شرعا في العمل على اعداد الكتاب المذكور. وكان الرجلان يلتقيان طوال السنوات الثلاث

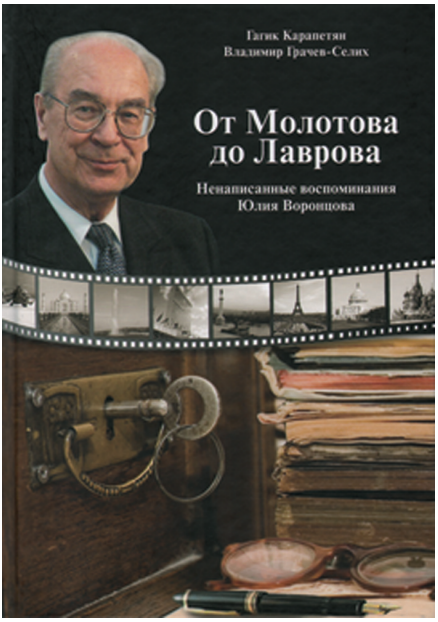

انفراد معها بالتحدث عن ذكرياته. ورغم ذلك لم تنجح المحاولات كلها. ومع ذلك تمكن الصحفي غ. كارابيتيان وقبل فترة قصيرة من رحيل فورونتسوف، تمكن من اقناعه وسلمه كتاب «من مولوتوف حتى لافروف» بنسخته الاولى ليقرأه ويعلق على ما دون به. ومنذ ذلك الحين تضاعف حجم هذا الكتاب الى أربعة اضعاف ما كان عليه، حيث انضم الى العمل ف. غراتشوف-سيليخ الذي دأب على دراسة الأرشيف العائلي وانتقى مئات الصور، وتسجيلات الفيديو غير المنشورة والتي تم تدقيق محتوياتها وتفسيرها لتسهل قراءة ما ورد فيها.

وفي نهاية المطاف اندمجت كافة المواد والمواضيع في هذا الكتاب في شرح واف وادبي عن يولي فورونتسوف. ولهذا السبب خلال قراءتي للكتاب لم تفارقني للحظة التعابير والعبارات والحركات التي كانت تسم هذه الشخصية.

وما السبب على كل حال من الاحوال ان نص الكتاب حوار وليس مونولوجا؟

من اجل الاجابة عن هذا السؤال لا بد من معرفة فورونتسوف كشخصية تنتمي الى النخبة وكشخص متميز في تنفيذ مهامه الوظيفية. وكان يمتاز على الدوام بالطابع الديمقراطي للتخاطب مع الجميع بدءا من الزملاء وصولا الى موظفي الاجهزة الفنية في الاماكن التي عمل فيها وبغض النظر عن المناصب التي تبوأها. وبوسعي التأكيد على هذه الاوصاف

غينادي غاتيلوف

نائب وزير الخارجية الروسي

gatilov@mid.ru

حوار على هامش كتاب فريد من نوعه

لا اريد اخفاء حقيقة أنني علمت ولفترة طويلة بكتاب «من مولوتوف حتى لافروف. مذكرات يولي فورونتسوف التي لم تكتب[1]»، وذلك قبل صدوره عن دار ريريخ الدولية للنشر. واريد الاشارة الى ان فلاديمير غراتشوف- سيليخ أحد مؤلفي هذا الكتاب هو زميل ورفيق قديم لي. ولهذا السبب لقد حظيت بفرصة ان اكون واحدا من بين اوائل من اطلعوا على محتويات هذا الكتاب. وبالطبع فقد برزت لدي التساؤلات. وخلال بحثي عن اجابات عن هذه التساؤلات ظهرت لدي مقالة غريبة يمكن اعتبارها نوعا من المراجعة للكتاب المذكور.

ولماذا «الذكريات التي لم تكتب»؟

من المعروف ان يولي فورونتسوف كان منفتحا على الحوار مع ممثلي وسائل الاعلام الوطنية والاجنبية . وحاول الكثيرون اقناع فورونتسوف بأن يبدأ بتدوين مذكراته، وأهدي كم هائل من اجهزة التسجيل الصغيرة ليقوم بواسطتها بتسجيل مذكراته. والادهى من ذلك هو قيام يوري الدوخين المخرج السينمائي والكاتب المعروف وهو على معرفة قديمة بفورونتسوف، قيامه بنصب كاميرا سينمائية ليقوم فورونتسوف وعلى

وتم بمناسبة صدور العدد الخاص من المجلة إجراء فعالية خاصة في مقر السفارة الروسية ببيرن شارك فيها رجال الاعمال السويسريين وعدد كبير من الشخصيات الناشطة في مختلف المجالات.

وألقى رئيس تحرير المجلة كلمة خلال المراسم المذكورة رحب من خلالها بالحضور وتقدم بالشكر الى كافة من اسهم في غصدار العدد الخاص من المجلة، وتخللت الفعالية كلمات الإشادة بمستوى التعاون القائم بين روسيا وسويسرا. واريد هنا الإشارة الى ان مضيف الحفل سعادة السفير سايبانوف أعرب عن سعادته بلقاء رئيس تحرير المجلة وبادرته بهذه المناسبة الأفكار الجديدة التي تم تطبيقها بشكل واسع في إمارة لختنشتين. وتكللت هذه الأفكار بنشر مجلة «الأحداث السياسية الدولية» الوثائق المتعلقة بعملية إعدام أسرة القياصرة على أيدي البلاشفة، وذلك عقب ان حصلت عليها المجلة من حاكم لختنشتين.

---

1. Степанов А. И. Бернский дневник посла России. 1992–1999. М., 2011. 736 с.

أندريه ستيبانوف. مذكرات بيرن اليومية للسفير الروسي. 1992-1999، موسكو،2011، في 736 صفحة.

2. Степанов А. И. Незнакомый Лихтенштейн глазами первого российского посла. М., 2002; Степанов А. И. Русские и швейцарцы. Записки дипломата. М., 2006.

أندريه ستيبانوف. ليختنشتين بعين اول سفير روسي. م. 2002؛ اندريه ستيبانوف. الروس والسويسريون. مدونات دبلوماسي، م. 2006.

الكلمات الرئيسية: «مذكرات السفير الروسي في بيرن»، لختنشتين.

الألب في ظل جهل معالم المنطقة وتضاريسها، وفي ظل الظرف الجوية السيئة المتلاحقة وحتى في ظل الانهيارات الصخرية. ولكن الضباب قد انقشع بالتدريج، وراحت اشعة الشمس تنير الطريق وظهرت معالم المستقبل. ويتسئل ستيبانوف في كتابه حول ان كانت الدبلوماسية الروسية قد تمكنت من الصعود الى اقصى قمم الالب في تعاطيها مع سويسرا، مجيبا: بالطبع لا، وذلك لأن فعل ذلك كان متعذرا في تلك الحقبة. ولقد تمكنت السفارة الروسية في سويسرا من خلق المقومات التي تمكن الطاقم الدبلوماسي الذي عقب طاقمنا من استئناف الصعود الى القمة. واشار ستيبانوف الى ان الصعود الى اعلى القمم الدبلوماسية الجديدة لن يتوقف ابدا. وتسائل: أليس في ذلك يتلخص مجمل المعنى من كافة نشاطاتنا الدبلوماسية، والمعنى من الحياة عموما؟ وأجاب عن تساؤله كاتبا: ان في ذلك فهمي الشخصي لما قمت به طوال نحو نصف قرن من الزمن (الصفحتان 690 و691).

ويمكن من خلال قراءة كتاب الدبلوماسي ستيبانوف الكشف عن التفاؤل، والثقة بالقدرة على حل المشاكل الجذرية التي تواجه البلاد، وإيمانه التام بأن الدور الروسي على الحلبة الدولية سيتعزز لاحقا لا محالة.

ولفت الدبلوماسي ستيبانوف الى التعاون بين السفارة الروسية في بيرن ومجلة «الاحداث السياسية الدولية». وما يزين هذا التعاون هو ان مقر مجلة «الاحداث السياسية الدولية» كان يقع في قلب حي «نيميتسكايا سلوبودا» في العاصمة موسكو وهو الحي الذي شاء القدر ومنذ غابر العصور، اي من عهد القيصر ايفان الرهيب، ومن عصر القيصر بطرس الاول، شاء القدر ان يحل عليه التجار السويسريون ورجال الاعمال.

ولا بد لنا هنا من التنويه بأنه تم وبفضل الدبلوماسي السفير اندريه ستيبانوف تقرر إصدار عدد خاص من المجلة كرس لتغطية اوجه التعاون بين روسيا وسويسرا، وتم إصدار العدد بنجاح، وتصدرت العدد مقالتان لوزيري الخارجية الروسي والسويسري. وتضمن العدد مقالات أعدها رجال العلم والفن والاعمال.

بين السفارة الروسية في سويسرا ولمدة طويلة، تمخض نشوء العلاقات بين ستيبانوف ووزير الخارجية السويسري فلافيو كوتي، وبينه وف. فوند دينيسين أحد موظفي الخارجية السويسرية المقربين من الوزير كوتي. وتسلم ستيبانوف قبل بضعة ايام من مغادرته سويسرا (في الثامن من تشرين الثاني 1999) رسالة خاصة من وزير الخارجية السويسري جاء فيها: «أتوجه اليكم بالشكر والإمتنان على الجهود التي بذلتموها وبشكل متميز على كافة الاصعدة خلال تمثيلكم لروسيا الاتحادية لدى بلادنا. ولقد فعلتم الكثير من اجل التأسيس للعلاقات المتميزة بين بلدينا». وفي هذا السياق ايضا قد تسلم ستيبانوف رسالة شكر وتقدير من النبيل فون فالتس فين بتاريخ 12 تموز/يوليو 2007 جاء فيها: «إنني على يقين تام انه لن يكون الى جانبي صديق سفير مثلك بعد اليوم. وكم من الفعاليات الروسية المختلفة التي قمنا بها وإياكم في سويسرا ولختنشتين. أعانقك بحرارة يا صديقي. صديقك المخلص ادوارد».

والملفت ايضا في كافة الكتب التي الفها ستيبانوف هو احتوائها على المواضيع المتعلقة بالطبيعة التي يصفها بشكل رائع وإعرابه فيها عن حبه لعالم الاحياء والحيوانات المنزلية. ويدأب ستيبانوف في الفترة الراهنة على جمع مواد مختلفة تحت عنوان «الدبلوماسية والطبيعة» في امل منه بأن تبرز الحاجة لديه الى مثل هذه المواد (ربما لتأليف كتاب تحت هذا العنوان). وانتقى ستيبانوف من بين آلاف الصور التي التقطت لسويسرا، انتقى عددا محدودا منها، مثل صور لبيرن وحديقة الفيناو القريبة منها، ولنهر آري بمياهه الزرقاء المخضرة اللون. وترسم هذه الصور انسجام الانسان مع الطبيعة /في سويسرا/ اكثر من اي مكان آخر. ويسبق كل صورة شرح خاص وتحت كل واحدة منها يتم ذكر أسماء الشخصيات التي تبدو عليها إضافة الى سطر معنوي يعبر عن الزمان والمكان. وكتب المؤلف اسم كتابه على الصفحة الداخلية من غلاف الكتاب بأربع لغات رسمية في سويسرا، إضافة الى أن فهرس الكتاب دون ايضا باللغة الالمانية. وذكر ستيبانوف في إجمال نتائج عمله سفيرا لبلاده في بيرن فترة التسعينيات أن عمله في تلك الحقبة يذكر بالتسلق الصعب لمرتفعات

العاملين في السفارة وسعي فريق العمل على الدوام نحو تطبيق المهام التي يكلف بها. ولهذا السبب على ما يبدو أفرد المؤلف حيزا لا بأس به للصور التذكارية التي التقطت لأعضاء فريق عمل السفارة الروسية في سويسرا. وورد في الاسطر الاولى التي دونها المؤلف: «هؤلاء هم الاشخاص المقربون الي وأصدقاء ورفاق لي.وبفضل هؤلاء فإن الحياة والعمل والابداع تتم بسعادة». وفي القسم الذي افرده المؤلف في كتابه للزملاء والرفاق يتعرف القارئ وعلى الاقل على 100 شخصية ممن شارك في الأحداث، رغم العدد الكبير لهذه الشخصيات التي لم يهملها المؤلف في كتابه.

ويعثر القارئ في بعض فصول الكتاب على التفكير الذي يعكس اهتمام المؤلف بالسبل والطرق التي يمكن من خلالها الاسهام في الارتقاء بمستوى الخدمة في السلك الدبلوماسي الروسي، وبسبل رفع الجدوى من نشاطات الدبلوماسية وزيادة هيبتها. ويعتمد ستيبانوف في ذلك على الخبرة الكبيرة التي تراكمت لديه خلال الباع الطويل له في العمل الدبلوماسي في الخارجية الروسية وفي عدد من الدول الاجنبية مثل (المانيا الشرقية، والنمسا، وسويسرا)، إضافة الى النشاطات التعليمية العلمية التي بذلها من خلال مزاولته التدريس في (الأكاديمية الدبلوماسية وفي معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية وفي جامعة موسكو الحكومية وفي عدد نخر من المؤسسات والمعاهد التعليمية). وإذا ما قمنا بجمع الملاحظات التي دونها الدبلوماسي في كتابه فيمكننا الحصول على جعبة من التوصيات النافعة من وجهة النظر العملية للدبلوماسيين الحاليين والمستقبليين. ونلحظ في الكتاب وبشكل مفاجئ اعتراف المؤلف ببعض الإجراءات التي اتخذها والتي كانت خاطئةن والحالات التي تسرع في ظلها في اتخاذ هذا القرار او ذاك. ومن بين الاخطاء التي يعتبر المؤلف أنه ارتكبها كان المستوى غير الكافي من مطالبة مأموريه بتنفيذ الاكثر والاكثر. وقال بهذا الصدد: «ان التزويد الكادري للسفارة يقوم على طبيعة المجتمع». ولا بد لنا هنا من الاشارة الى التقدير الكبير الذي يحظى به ستيبانوف من قبل زملائه الدبلوماسيين الروس والسويسريين، ومن قبل العلماء والمواطنين الروس العاديين المقيمين في سويسرا. وتمخض عن التعاون القائم

الذي يبديه لفريق عمل السفارة وللسلك الدبلوماسي الروسي العامل في سويسرا. ولا بد من تجديد التأكيد على ان كتاب «مذكرات بيرن» كان محاولة جدية لإعادة التمعن في طابع النشاطات الدبلوماسية انطلاقا من الواقع الجديد الذي تشكل في روسيا وفي العالم خلال الثمانينيات مطلع التسعينيات من القرن الماضي.

والمهمة التي كانت في مقدمة الاولويات في نشاطات السفارة الروسية في تلك الحقبة تجسدت في ضرورة الحاق تحولات السوق و«الانغماس في دبلوماسية السوق» ليسهم ذلك في انجاز العمليات الديمقراطية في البلاد. ولم يكن من السهل حل المشاكل الكبرى المتعددة حيث تطلب الامر مضاعفة القدرات الفكرية والارتقاء بمستوى الجدوى من كافة النشاطات التي تقوم بها السفارة الروسية.

وربما سيندهش عدد كبير من القراء حيال تخصيص ستيبانوف قدرا كبيرا من وقته لعناية السفارة الروسية في سويسرا بالقضايا الفنية. وفي هذا السياق وتحت رعاية السفارة الروسية في بيرن قام فنانو مسرح الدراما الكبير ببطرسبورغ بتقديم العروض في سويسرا، اضافة الى العروض الفنية التي قدمها فنانو كورس أومسك الحكومي، والعروض التي قدمها ايضا فنانو مسرح «نوفيي ايمينا» الابداعي اضافة الى النشاطات الفنية والاستعراضية التي قدمها الفنانون والمبدعون الروس في سيوسرا.

ولا يسعنا هنا إلا ان نشير الى العدد القليل من الدبلوماسيين الذين يدأبون على تدوين مذكراتهم متحدثين من خلالها عن المزادات الدولية للتحف النادرة مثل «سوتبيس»، و«كريستي»، حيث تم تكريس عدد كبير من الصفحات في كتاب الدبلوماسي ستيبانوف ليتحدث عن هذا الفصل من فصول الفن. والملفت ايضا ان السفير ستيبانوف لا يزال طوال بضع سنين لا يفارق كاميرا التصوير، ومعظم الصور التي وردت في الكتاب كانت من التقاطه شخصيا.

ويمكن من خلال استطلاع الكتاب من اوله الى بخره التوصل الى ان التميز والنجاح في تنفيذ المهام الموكلة الى السفارة الروسية في بيرن يعود لكل فرد من فريق عمل السفارة وبفضل التضامن ووحدة الصف بين كافة

للأحداث وللشخصيات المشاركة فيها دون ان يستثني نفسه من خلال تحدثه في الكتاب بلغة مشوقة وممتعة.

وورد في مقدمة الكتاب نقلا عن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف قوله إن «الكتاب المذكور يعرض للحقبة التي تم فيها وعقب مضي عشرات السنين على التعاطي بنوع من عدم الثقة والنبذ المتبادل الذي كان سائدا في حقبة الحرب الباردة، تم في الكتاب عرض كيف جرى التأسيس لعلاقات نوعية جديدة بين روسيا وسويسرا الدولى الصغرى جغرافيا ذات الوزن الكبير ضمن النطاق الاوربي. وفي تلك الحقبة بالذات تم وضع حجر الاساس وبفضل الجهود التي بذلها الجانبان، وضع حجر الاساس للعملية الايجابية التي ارتقت بالعلاقات الروسية السويسرية الى المستوى الحالي لها من الشراكة المتكاملة. وزيارة الدولة التي قام بها الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف والتي كانت الاولى من نوعها في تاريخ العلاقات بين البلدين قد أكدت على المستقبل الراقي الذي ينتظر علاقات التعاون بين البلدين على كافة الاصعدة» (الصفحتان 5-6).

ولن اكون مخطئا إن أشرت الى ان الباحث والدبلوماسي ستيبانوف قد ظهر في المكان المناسب وفي الوقت الملائم. ومعارف ستيبانوف وخبراته والطاقة الجبارة التي يكتنفها قد أسهمت في تحقيق تحول جذري في العلاقات بين البلدين ومهدت لقيام علاقات الصداقة والشراكة وتطويرها. ولم يكن ستيبانوف شاهدا على الاحداث فحسب، بل كان مشاركا فعالا ومباشرا في حدوث التطورات الجذرية في تلك الحقبة.

ويعرض السفير ستيبانوف في كتابه الجديد تصوره للمفهوم المعاصر، أو لفلسفة عمل السفارة الروسية خارج البلاد ويدأب بشكل مفصل على تحليل التحركات التكتيكية وعلى تحليل صيغ وسبل تنفيذ عمل السفارة، ويتقاسم الخبرات والتجارب في الاعداد للزيارات والمحادثات التي تقرر على مستوى وزير الخارجية الروسي او مستوى رئيس مجلس الوزراء وعلى مستوى رئيس البلاد. ويتحدث ايضا عن النشاطات الاعلامية وعن التواصل مع ابناء الوطن خارج البلاد. ومن بين القضايا التي تثير الاهتمام في الكتاب المذكور هو ما تحدث عنه ستيبانوف حول الاهتمام اليومي

و»مذكرات بيرن» ليست إلا مواضيع تألفت وبشكل متناغم اصطفت في الأفرودة. ويقف هذا الكتاب الى جانب المذكرات الكلاسيكية الي دونها كل من أ. دوبرينين، وغ. كورنيينكو، ويو. كفيتسينسكي، وأ. بيسميرتنيخ وغيرهم.

ويدأب القارئ في ظل الإنهمار الهائل للكتب التي تحوي المذكرات، يدأب على اختيار الكتب التي تستقي محتوياتها من الارشيف والوثائق المصدقة والتي تنشر فيها المواد التي لم تكن في متناول الرأي العام او القارئ والتي يتم من خلالها تناول المسائل التي لم تخضع للبحث في السابق من وجهة النظر العملية والمكتوبة بطريقة فنية وإبداعية بحتة كما هو حال ما الفه ودونه ستيبانوف.

«مذكرات بيرن» تختتم سلسلة الكتب الثلاثية التي تتحدث عن تاريخ علاقات بلادنا بالكونفدرالية السويسرية وبإمارة ليختنشتين[1\2].

وفي هذا الكتاب يبرز جانر تسلسل زمني للقضايا جديد للمؤلف يتحدث من خلاله عن نشاطات وحياة السفارة يوما بيوم، وشهرا بشهر، وعاما بعام. ويمكن هذا الجانر المتبع، يمكن من الاحساس بنبض فريق العمل ويتطلب من المؤلف الافصاح عما يدور في خلجه وعن الصعوبات التي يعانيها وعما يقلقه.

ويظهر المؤلف في كتابه من خلال المواد الأرشيفية الموثقة، يظهر الحيثيات والتفاصيل الدقيقة للحياة اليومية لوزارة الخارجية الروسية وللجهاز المركزي للسلك الدبلوماسي وللسفارة وللسفارة الروسية في بيرن فيما يتعلق بسبل تفعيل الحوار بين روسيا وسويسرا. والممتع في هذا الكتاب هي البحث وما كان يرقبه الدبلوماسي مؤلف الكتاب والتحليل المعمق الذي يضعه

بوريس بياديشيف

الدكتور في العلوم التاريخية السفير فوق العادة
مطلق الصلاحية، رجل السلك الدبلوماسي
pyadysheva@gmail.com

قمم الألب التي اعتلاها السفير أندريه ستيبانوف

تتبينت من خلال الكتب التي الفها الزميل أندريه ستيبانوف السفير الروسي لدى سويسرا، وبفضل مواهبة وطاقته، تتبينت بانوراما أدبية سياسية للعلاقات متعددة الجوانب بين روسيا وسويسرا. والى جانب هذه الكتب يمكن اضافة حزمة من المقالات ذات المضمون حول ما يخص سويسرا والتي نشرت في مجلة «الاحداث السياسية الدولية». وإذا ما حشدنا هذه الاعمال كافة يمكننا تشكيل مكتبة لا بأس بها تضم المواد التي تتناول نواحي العلاقات بين الاتحاد السوفييتي ومن بعده روسيا بعظمهما واتساع مساحتيهما وسويسرا الصغيرة جغرافيا التي تلعب دورا فعالا على حلبة السياسة الدولية.

وصدرت مؤخرا أفرودة جديدة ألفها أندريه ستيبانوف تحت عنوان «مذكرات بيرن اليومية للسفير الروسي. 1992-1999»\١\.

ونأمل في ألا تكون هذه الافرودة آخر الاعمال للسيد ستيبانوف، وفي ان تكون في خضم النشاطات الرائعة التي يقوم بها. ولا بد هنا من التنويه بالقدرات الابداعية لستيبانوف والتي لا يرقى اليها عدد كبير من المؤلفين، إذ يدرك ستيبانوف مدى هذه القدرات الابداعية التي يتمتع بها ويخرها لتاليف المزيد والمزيد.

Международная

ЖИЗНЬ

الاحداث السياسية الدولية

رف الكتب

كبرى مثل المانيا قد عارضت الحملة العسكرية على ليبيا بالشكل الذي نفذت فيه، ما اضطر السكرتير العام للناتو الى الاعلان عن ان الاطلسي ليس عدوا للاتحاد الاوربي. فتمعنوا في الواقع الجديد الذي تكون الآن. وربما ستلعب الحالة الليبية دورا محفزا على اعادة النظر في مجمل السياسة المالية العسكرية للناتو. وتقلص الانفاق العسكري للدول الاوربية الى نحو 2 أو حتى واحد بالمئة من إجمالي الناتج المحلي في كل منها ما ادى بالنسبة الى هذه الدول وبكل سرور الى الارتقاء نوع ما بمستوى الازدهار فيها.

ولكن الاعراض المرافقة تتمثل في ان القوات العسكرية الاوربية قد فقدت القدرة على التصرف بمعزل عن الدعم الامريكي.

الكلمات الرئيسية: العلاقات بين القبائل، التدخل الاجنبي في النزاع الليبي، النفط الليبي، المجلس الوطني الانتقالي الليبي، قمة الامم المتحدة لعام 2005.

منظمة الامم المتحدة بعمليات مشتركة للتصدي للممارسات غير الشرعية التي تقوم بها هذه الحكومة او تلك في العالم. وكل ما حدث في ليبيا يؤكد مرة اخرى على «حرية التصرف» بالقانون الدولي التي يقوم بها زملاؤنا. وإذا ما أخذنا قرار مجلس الامن رقم 1973 فلم ينص اي بند من بنوده على اي عمليات قصف أو اطاحة بالانظمة. وإن قرأنا كلمات وتصريحات السكرتير العام لحلف الناتو فنلمس فيها التشديد المستمر على أن الناتو لم يتصرف إلا بموجب قرار مجلس الامن الدولي.

وكانت ليبيا المثال الحالة الاولى التي تطبق في التعاطي معها «المفهوم الجديد للعقيدة الاستراتيجية لحلف الناتو» والذي اقره الحلف في قمة لشبونة لتشرين الاول/اكتوبر 2010. وتنقسم كافة استراتيجيات الناتو وتكتيكاته الى جزئين «لين»، و»صلب». وفي هذا السياق صرحت هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الامريكية بأنه يتعين التركيز على استخدام القوة «اللينة»: المفاوضات واالوسائل غير العسكرية لتحقيق الاهداف. ومن هنا نرى انهم ارادوا التصرف بطرق أخرى لكن الفكرة قد فشلت أي ان استراتيجيا الناتو تم تطبيقها بالسبل القديمة.

وإذا ما تناولنا نتائج ما حدث فنرى أن ليبيا قد أظهرت واقع الحال بالنسبة الى الناتو من ناحية القدرة التعبوية. وظاهرة الثنائي الفرنسي البريطاني قد ابدت عجزها في هذه الحالة. وقرر الحلفاء محاولة اظهار ما تقدر عليه اوربا، ما يعني ان أوربا ليس بوسعها فعل شيء بمعزل عن الولايات المتحدة. ولقد استخدموا الاقمار الاصطناعية الامريكية والمعلومات الاستخباراتية الاستطلاعية التي قدمتها لهم واشنطن.

وفي الواقع فإن ليبيا كانت عامل جديدا اثار الحساسية بين الاتحاد الاوربي وحلف الناتو، حيث ان الناتو أزاح جنبا الاتحاد الاوربي خاصة وان دولا

التي ستبديها شركاتنا وعلى المبادرات التي ستتقدم بها، إذ يتعين عليها الخروج بمبادراتها وامكانياتها الى السوق الليبية بالاعتماد على الذات. وستقوم وزارة الخارجية بتقديم الدعم اللازم، ونأمل في تحقيق الافضل.

يفغيني فورونين كبير باحثي معهد الابحاث الدولية لدى معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية (الجامعة)، سفير روسيا فوق العادة مطلق الصلاحية في بنما خلال الفترة 2004-2009: أود الاشارة الى انني السفير الوحيد بين الحضور والذي لم يمثل البلاد في ليبيا. ولقد زرت ليبيا مرتين والتقيت بالقذافي وتم تقليدي في واحدة من زيارتي بالاوسمة الفضية التي تحمل لها ذكرى في نفسي.

وبصفتي امثل مركز الامن الاوروأطلنطي في معهدنا اود القول ان ما حدث في ليبيا على صلة مباشرة بمسائل الامن والتعاون في منطقة الاورواطلنطي. واذا ما قمنا بتحليل التدخل الخارجي في النزاع الليبي فيمكننا الكشف عن مرحلتين الاولى امتدت من 19 حتى 27 آذار/مارس 2011 وهي المرحلة الثنائية من الحملة على ليبيا والتي نفذتها فرنسا وبريطانيا. أما المرحلة التي اعقبت 27 من آذار فقد اتسعت لتشمل استغلال كافة اجهزة هيئة اركان الناتو من اجل اشراكها في الحملة من اجل الوصول الى الاغراض المطروحة.

وليبيا تحظى بأهمية تفوق كافة الاهتمامات الباقية، والتساؤل الذي يتبادر الى الاذهان هو ما الذي يجعلنا نتجاهل حقيقة الاسباب الاساسية التي وقفت وراء ما حدث ؟ والاجابة هنا تتمثل في ان جذور الازمة تعود الى البيان النهائي الصادر عن قمة الجمعية العامة للامم المتحدة لعام 2005، حيث صوتت الجمعية على نصه بالإجماع، وتضمن البندان رقم 138، و139 اللذين ينصان على امكانية قيام الدول الاعضاء في

ستتشكل فيهذا البلد. ووفقا لرؤيتي الشخصية لا تزال صيغة القيادة الجديدة هناك غامضة الملامح. وتوجد على الساحة الليبية في الفترة الراهنة الشخصيات والقوى المدعوم بعضها من الخارج. ويصعب حتى الآن التكهن بمن سيمسك بزمام الامور بشكل محكم في القيادة، في حين سيعتمد النهج السياسي الخارجي لليبيا على هذا. وربما من الافضل على هذا الصعيد الاطلاع على التجربة المصرية. ويمكن هنا تركيز الاهتمام على ان برنامج «الاخوان الاسلمين» في مصر يتضمن في قسم السياسة الخارجية الكلمات حول رغبتهم انتهاج سياسة خارجية متوازنة في ظل رفض التعاطي الاحادي الجانب. وعلى الاقل قد تم الاعلان عن هذا النهج على مستويات مختلفة.

ولا تزال ليبيا تشهد التناقضات بين مختلف القوى السياسية، وما يثير القلق الصدامات المسلحة التي تقع بين الفصائل المختلفة وحالات النهب، وعمليات تصفية انصار القذافي بمعزل عن المحاكمات القضائية الشرعية. اما قتل القذافي فيثير الاشمئزاز والامتعاض البالغين. وكانت روسيا منذ البداية تطالب بحل كافة القضايا عبر القضاء الدولي وضمن الاطر التشريعية. وما شاهدناه لم يكن إلا عملية تصفية جسدية غير شرعية من غير الممكن قبولها.

اما ما يتعلق بمواقعنا في ليبيا وبالتعاون التقني العسكري معها، فلا يمكن تجاهل حقيقة ان معظم الاسلحة الليبية هي من صنع سوفييتي وروسي، ومن المجدي ترميمها عوضا عن شراء الاسلحة الغربية من الولايات المتحدة او فرنسا. وستبرز الحاجة بهذه الحالة للخبراء الروس. وسنبحث هذه القضايا بعقلانية، إذ توجد لدينا القنوات الفاعلة التي يمكن استخدامها. والى جانب ذلك سيعتمد الكثير على مستوى النشاطات

الى سقوط عدد كبير من الضحايا بين المدنيين وهذا ما سجلته لاحقا المنظمات الدولية. ولا بد من تناول هذه المسألة فيما بعد والتحقق من ملابساتها.

وفي تلك الاثناء استمرت المحاولات لفض النزاع واجريت الاتصالات المكثفة بطرفي النزاع. وضمن الجهود التي بذلتها روسيا زار ميخائيل مارغيلوف رئيس لجنة مجلس الاتحاد الروسي للشؤون الدولية، المبعوث الخاص للرئيس الروسي الى افريقيا، زار ليبيا واجرى الاتصالات مع الثوار والتقى القذافي، واستقبلت موسكو ممثلين عن المجلس الوطني الانتقالي الليبي. واعربت موسكو عن ترحيبها بتوسع نشاطات الامم المتحدة في ليبيا، ولا تزال تؤكد على اهمية لعب الامم المتحدة دورا محوريا في تسوية الأوضاع بعد النزاع وصياغة مؤسسات الدولة فيها.

وقامت روسيا بتاريخ الاول من تشرين الاول/أكتوبر 2011 بتطبيع العلاقات مع السلطات الليبية الجديدة واعترفت رسميا بالمجلس الانتقالي ممثلا شرعيا للشعب الليبي. والواقع يتمثل في سعي موسكو نحو التوطيد للعلاقات مع السلطات الجديدة هناك. ويدور الحديث حول تطويرالاتصالات الثنائية مع السلطات الجديدة بما فيه التصالات الرامية الى تنفيذ كافة العقو التي وقعتها سابقا الشركات الروسية في ليبيا. وتحاول الشركات مثل شركة الخطوط الحديدية الروسية، وشركة «غازبروم»، تحاول تفعيل نشاطاتها في ليبيا. ونحن مدركون صعوبة هذه العملية على خلفية الواقع الجديد في هذا البلد.

وتم هنا، وراء مائدة البحث المستديرة، تناول السيناريوهات التي يمكن لها ان تحكم الاوضاع في ليبيا خلال المرحلة المقبلة، لكن الامر على هذا المسار سيعتمد في جله على الاوضاع السياسية الداخلية التي

الفترة كان «الأمر قد قضي»، ونهاية الحبكة باتت قريبة. وقام ساركوزي وكاميرون بتاريخ 15 ايلول/سبتمبر 2011 بزيارة العاصمة الليبية طرابلس، وتحدث ساركوزي الى حشود من الشباب.

وبدون التعمق الى النواحي العامة اريد العودة الى الموضوع الذى قد تحدثنا عنه هنا وهو النفط. ومن المعقول الاشارة هنا الى أن معلومات صحفية كشفت عن ان المجلس الوطني الانتقالي الليبي كان قد وجه في نيسان/ابريل 2011 رسالة الى الديوان الاميري القطري جرى التأكيد فيها على ان نسبة 35 بالمئة من النفط الخام الليبي تخصص لفرنسا مقابل تقديم باريس الدعم الدائم والمستمر للمجلس. ومن هنا فهل يمكننا الافتراض ان الدعم الفرنسي والبريطاني للثوار الليبيين كان مرتبطا ليس فقط بالرغبة في نشر الحرية والديمقراطية في منطقة شمال افريقيا والشرق الاوسط و»بالمسؤولية عن حماية» النفط الليبي؟ وتجدر الاشارة الى ان ليبيا كانت حتى اندلاع الاحداث فيها المزود الثالث لفرنسا بالنفط بعد دول الخليج وروسيا، في الوقت فاقت فيه كميات النفط التي تستوردها فرنسا من ليبيا عن تلك التي تستوردها من العربية السعودية. و من الصعب التكهن بما ستؤول اليه الأوضاع في المستقبل.

مراد رجب الدينوف السكرتير الثاني لقسم ليبيا وتونس لدائرة الشرق الاوسط وشمال افريقيا لدى وزارة الخارجية الروسية: لقد استمرت الخارجية الروسية ومنذ الايام الاولى لاندلاع الاحداث في ليبيا، استمرت بانتقاداتها للتاويلات التلقائية لما نص عليه قرار مجلس الامن الدولي رقم 1973 وللبند المتعلق بفرض «منطقة حظر جوي» على الجماهيرية. وكان خرق هذا الحظر يعني القصف الجوي للاهداف الارضية اي تقديم دعم لطرف من طرفي النزاع الليبي، أي للثوار. وادى القصف الجوي

مستمرة بشكل دوري اضافة الى تبادل الرسائل على مختلف المستويات، وقامت روسيا وبطلب من باريس بتمثيل المصالح الفرنسية في طرابلس منذ اندلاع الاحداث فيها.

وعلى ما يبدو فإن باريس لم تكن حاسمة الى هذه الدرجة فيما يتعلق بمصير القذافي الذي أصبح الآن معروفا للجميع، وعلى الأغلب فإن التوجه الفرنسي كان يفضل وقف اطلاق النار في ليبيا ومغادرة القذافي مع عائلته الى واحدة من دول العالم الثالث وذلك من أجل ألا يتعرض للملاحقة على الاراضي الليبية وتسليمه لمحكمة الجنايات الدولية. بيد ان الاحداث أخذت منحى آخر لها.

واذا ما تحدثنا عن تبلور الموقف الفرنسي حيال التطورات في ليبيا على ضوء الربيع العربي فعندها لا بد من الاشارة الى ان فرنسا قد استغلت في تلك الفترة ترؤسها مجموعة الثماني الكبار ساعية وراء استصدار قرار حول وضع برنامج «شراكة دوفيل» بهدف دعم «طموحات مواطني الدول العربية نحو التحولات الديمقراطية تحقيق وتحديث الاقتصاد». وتم استحداث صندوق خاص ضمن هذه الشراكة لتقديم المساعدات المالية لدول شمال افريقيا ومنطقة الشرق الاوسط. وانضمت الى «شراكة دوفيل» تركيا ومصر ومن ثم المغرب والاردن، وتمت دعوة «ليبيا الجيدية» للانضمام اليها. وتم بموجب قرار اتخذته قمة مجموعة الثماني الكبار توثيق المطلب الاساسي الذي تضمن تنحي القذافي عن منصبه. إلا أن الاحداث راحت تسير في طريق آخر تمثل في قصف الناتو للجماهيرية. وعلى ما بدو،اعلن الرئيس الفرنسي ساركوزي موقف باريس ازاء الاحداث في ليبيا بشكل واضح تماما في كلمة القاها باجتماع سفراء فرنسا الوري المعقود في باريس بتاريخ 31 آب/أغسطس 2011. ولكن في تلك

بالنسبة الينا وحسب ما يقوله الفرانسيون الهيآت الرئيسية بالنسبة اليهم ايضا. وتجلى ذلك على وجه التحديد فيما شهدناه في مجلس الامن الدولي خلال بحث مختلف مشاريع القرارات المتعلقة بالنزاعات في شمال افريقيا والشرق الاوسط.

وإذا ما تعمقنا في تاريخ العلاقات بين ليبيا وفرنسا سنلمس انه ومنذ رفع العقوبات عن ليبيا سنة 2004 راحت العلاقات بين البلدين تشهد تطورا مستمرا ومطردا. وجرى تبادل الزيارات الرسمية على مختلف المستويات وتم ابرام العقود بملايين الدولارات في الوقت الذي كان فيه النفط يشغل نسبة 99 بالمئة من الصادرات الليبية الى فرنسا. وهذا مهم ايضا لفهم مشاركة باريس ولندن النشيطة في تسوية الاوضاع في ليبيا في الآونة الاخيرة.

واذا ما صدقنا بما يتكهن به خبراء السياسة وما صرحوا به في العديد من الحلقات والاجتماعات التي اجريت ايضا في كل من موسكو وباريس، يمكن استنتاج ان احداث الربيع العربي شكلت مفاجأة بالنسبة الى الغرب والى فرنسا على وجه التحديد. وربما اجري نوع من اعادة البناء في التعاطيات السياسية الخارجية لباريس خلال سير الاحداث وتطورها. وإذا ما اخذنا تونس على سبيل المثال فإن الاحداث المفاجأة التي وقعت هناك قد أفضت الى تغير ادارة وزارة الخارجية، وهذا يعني ان توجب على فرنسا اعداد سبل جديدة للتعاطي مع الاوضاع في المنطقة الى جانب أن فكرة ساركوزي التي نادت بانشاء اتحاد لدول حوض المتوسط قد تعرضت هي الاخرى للتعديلات. وفيما يخص ليبيا من الواضح ايضا أن التعاطي معها شهد نوعا من التغير المبدئي واعادة النظر في النهج المتبع على هذا المسار. ولقد كانت الاتصالات بين موسكو وباريس بهذا الصدد

السابق. ومع الاسف فقد كنا قد وظفنا مبالغ كبيرة فيما يتعلق بقضايا العقود النفطية وتطبيقها.

وأعتقد ان ما حصل في ليبيا كان بادرة مخيفة وخاصة بالنسبة الى دول العالم الثالث ولآسيا وافريقيا. وبالطبع فإن النفط والغاز مادتان هامتان للغاية والقرب من ليبيا ايضا يشكل اهمية. ويمكن من الحالة الليبية استخلاص العبرة الياسية حيث ان الأمريكان قد اظهروا الى الجميع انه لا يتعين السير على طريق القذافي وإلا فسيحصل كل واحد «ما يستحقه». لقد حاول القذافي بناء امة، وأعتقد ان في ذلك تمثل معنى مساعيه الى جانب طموحاته الاقتصادية.

وأصبح من المعروف مدى الدور الذي لعبه الصحفيون في التأثير على سير الاحداث في ليبيا. وتميزت القنوات التي يمولها الأمريكان، تميزت بتصرفاتها من خلال تقديم الكذب للمشاهد بشكل ذكي. أما صحافتنا فقد اظهرت ضعفها ولم تحاول الخوض في تفاصيل المشاكل، والاستفهام وانجرت واراء التيار. وهذا أمر محزن للغاية.

بوريس بودروف رئيس قسم فرنسا للدائرة الأوربية الاولى في وزارة الخارجية الروسية: يقوم الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي بانتهاج سياسة خارجية مستقلة تعتمد على ادراك المصالح الوطنية لبلاده. إلا اننا نتساءل الى اي حد ينسق فيها الأوضاع في شمال افريقيا مع كل من نظيره الامريكي باراك اوباما ورئيس الحكومة البريطاني ديفيد كاميرون حيث ان هذه المسألة تشكل مادة لبحثها ضمن اطار آخر. ولا بد هنا من التركيز على ان النشاطات الخارجية الفرنسية، في ظل العلاقات المتميزة التي تربط بين باريس وموسكو والتفاهم الدائم بين البلدين في العلاقات الثنائية، لا تتطابق احيانا مع مواقفنا في الهيآت الدولية الرئيسية

على الدوام يؤكدون على انهم «لن يحصلوا على جزء من الكعكة». واستغلوا هذه الاوضاع في صالحهم وراحوا يحولون التطورات لتأخذ طابعا يوحي باندلاع الثورة المسلحة حقا. ولكن اتضح الكثير من القضايا عقب ان راحوا يستولون على مستودعات الاسلحة التي كان القذافي يحاول قصفها وتدميرها، حيث حصلوا على الحماية الجوية الغربية.

أما ما يتعلق بالاسلاميين فقد تمكنوا حتى نهاية شباط/فبراير من السيطرة على ثلاث مدن في البلاد، وفرض القوانين الاصولية المتطرفة بشكل اشد مما هي عليه الحال في افغانستان، وسجلت حالات قطع الرؤوس، وسبي النساء وما الى ذلك. والفت عنايتكم هنا الى ان الليبيين كانوا من حيث العدد يشغلون المرتبة الثانية بين المسلحين في أفغانستان ممن يعرفون «بالافغانيين العرب». والملفت ايضا ان هؤلاء كانوا منحدرين من المناطق الشرقية الليبية ومن مدينتين اثنتين على وجه التحديد هما درنة، والبيضاء. وكان الاسلاميون في هاتين المدينتين قد ركدوا على القاع واعتقد القذافي بأنهم قد نزع سلاحهم الفكري والديني، بيد ان الواقع كان على خلاف ذلك تماما إذ كانوا يتحينون الوقت المناسب للظهور.

وان ما حدث في ليبيا أصبح من المستحيل تغييره، وارى ان في ذلك خسائر كبيرة بالنسبة الينا، وليس لأن القذافي كان «جيدا» أم «سيئا»، وإنما نظرا للمصالح الكبرى التي كنا نحظى بها في ليبيا والتي كانت تتمتع بمستقبل واعد. مثلا، كان القذافي يعتزم شراء 5ر1 مليون «كلاشنكوف» سنة 2010، وتحدث عن حاجة بلاده للحصول على احدث الاسلحة، منطلقا من اعتماده على «العامل» الروسي ومعرفته بالسلاح الروسي واحترامه له. وعلى ما يبدو فقدنا التعاون التقني العسكري مع ليبيا بشكل كامل، ولا أرجح ان تعيد لنا العقود النفطية التي ابرمناها في

الامم المتحدة. والى جانب ذلك تم اتخاذ قراري مجلس الامن الدولي 1970 و1973 دون مشاركة ممثلي ليبيا ودون حتى منحهم فرصة تبرير ما يحدث في بلادهم وادلاء الضوء على الواقع. وأذكر جيدا ان الجانب الليبي قد توجه الى بلادنا والى الدول الاخرى طالبا المساعدة في الحصول على الفيزا الامريكية لوصول ممثلين لليبيا جدد الى مقر الامم المتحدة، وذلك في أعقاب انقلاب المندوب الليبي لدى الامم المتحدة على النظام في بلاده وانضمامه الى صفوف الثوار. ولم تمنح الجهة الليبية التأشيرات، وارى في هذه الخطوة إثباتا واضحا لشيء ما.

أما ما جرى على ارض الواقع فقد كان محقا السفير بودتسيروب حينما قال ان تلالا من الكذب والخداع احاطت بالاوضاع في ليبيا. ورغم ذلك لا بد من الاعتراف بأن النظام الذي أسس له معمر القذافي كان حتى تلك الفترة قد اصبح متهالكا. وكان بإمكان قوى النظام الليبي ان تتصرف لكن اقطاب هذا النظام كانت على ثقة تامة بأن أذى لن يلحقها، ناهيك عن اهمالهم احتمال حدوث التدخل الاجنبي الذي لعب الدور الحاسم فيما تكون ما عرف بالثورة الليبية. وكافة الأحاديث والاقاويل حول قصف قوات القذافي المدنيين من الطائرات وبالمدفعية وبواسطة الصواريخ لا تتفق والحقيقة. وكنت وعدد من الدبلوماسيين قد جلنا على المناطق التي قالوا انها قصفت يوم امس. وتحققنا على ارض الواقع وتحدثنا الى سكان هذه المناطق الذين اكدوا لنا ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث.

وكانت الاحداث قد بدأت في بنغازي، حيث من المعروف ان القذافي كان قد انتزع في السابق السلطة من اهلها ونقل عاصمة البلاد الى طرابلس. وكان الأهالي هناك ممتعضين من طرابلس ومن القذافي وكانوا

وانتصار الاصوليين هناك سيؤثر على الاوضاع في كافة العالم. وستحصل القوى المتطرفة بذلك على دعم وهيبة لها في أفغانستان التي ستمنح اراضيها لنشاطاتها.

والاستنتاج الاضافي الذي يمكن استخلاصه سيكون حول اهمية الحملة المعنوية ومدى استعدادنا لخوضها، حيث تم اختلاق تلال من الاكاذيب حول ليبيا وكان لهذا الكذب دوره الفعال، وهذا يعني انه علينا الاستعداد لامكانية التصدي لمثل هذه الحملة من الكذب والرياء.

ولا بد هنا من أن اسلط الضوء على ظاهرة احدار هيبة الامم المتحدة، حيث اعتدنا على ان تشغل دورا اساسيا فيما يخص العلاقات الدولية، وهذا المبدأ صحيح. ولكن سابقة خطيرة فريدة من نوعها قد حصلت إذ أن قرار مجلس الامن الدولي رقم 1970 لم يتضمن اية دلائل او اشارات حول ان الاوضاع في ليبيا تشكل خطرا على الأمن والسلام العالميين. أما القرار رقم 1973 فقد اشار الى هذه الاخطار في حين من غير الواضح ما هي الاخطار. وكل ذلك يخلق بادرة خطيرة غير مسبوقة حيث تم خرق البند الثاني من ميثاق الامم المتحدة الذي يحظر التدخل الخارجي بالشؤون الداخلية للدول المستقلة.

واريد في ختام حديثي الاعراب عن موافقتي التامة لما تفضل به السفير أكوبوف حول ان القذافي هو شخص مغاير تماما لما تحاول رسمه وسائل الاعلام عنه، وان الامر هنا متعلق بالماضي أكثر من تعلقه بالمستقبل.

فلاديمير تشاموف كبير مستشاري دائرة الخارجية الروسية لشؤون الشرق الاوسط وشمال افريقيا، سفير روسيا فوق العادة مطلق الصلاحية لدى ليبيا خلال الفترة 2008-2011: أرى أن ما حدث في ليبيا ليس إلا ظاهرة خطيرة من نوعها وذلك لأنه تم التدخل بشكل مباشر في شؤونها وبمباركة

التطورات في ليبيا. وارى انه توجد ثلاثة سيناريوهات يمكن ان تتطور الاوضاع بموجبها في هذا البلد. السيناريو الاول يتمثل في تمزق البلاد، حيث توجد تناقضات كبيرة بين المناطق والقبائل وبين العرب والبربر وبين الاسلاميين والعلمانيين. أما السيناريو الثاني المحتمل فسيقتصر على استيلاء الاسلاميين التام على السلطة وبطابعهم التطرفي وتحويل ليبيا الى افغانستان ثانية. والسيناريو الثالث ربما له ان يتمثل في اعلان ديمقراطية شكلية يتم في ظلها تقاسم السلطات بين القبائل والمناطق. وارى في السيناريو الثالث أنه سيكون الافضل بالنسبة الى روسيا. وسيتم الحفاظ على العلاقات السياسية بين بلادنا وليبيا وذلك لان القيادة الليبية ستكون معنية بروسيا لتستغلها كعامل توازن في العلاقات مع الولايات المتحدة واوربا الغربية.

وفيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية بين روسيا وليبيا المقبلة يمكننا في أفضل الاحوال استعادة المشاريع والوجود الذي كنا نحظى به في ليبيا سابقا. ولم يتم ابرام اي عقد في ليبيا دون ان يترافق ذلك بعمليات فساد ورشوة، والغير كان مستحيلا ببساطة. والحصول على عقود جديدة لبلادنا في ليبيا يبدو أمرا غير مؤكد، حيث من المرجح ان يتم منح الامتيازات للجهات التي حاربت والتي قدمت الدعم لقوات المعارضة. ومن المنتظر ان يتم منح فرنسا على 30 بالمئة من العقود الجديدة هناك، ولا بد الى الاشارة الى عامل تقاسم الكعكة الليبية رغم نفي الفرنسيين المستمر لذلك. أما التعاون التقني العسكري بين موسكو وطرابلس فسيكون معقدا على غرار العلاقات على هذا الصعيد بين موسكو وبغداد الآن.

أما الامر الأسوا بالنسبة الى روسيا فسيتمثل في احتمال استيلاء الاصوليين على السلطة في ليبيا. والعالم المعاصر يعمل وفقا لنظرية الاواني المستطرقة

فقدان كلي من تونس ومصر، من خلال الاستيلاء على كميات كبيرة من الثروات الباطنية التي تمتلكها ليبيا. وفي هذا السياق من الممكن اجراء انتخابات بعد بضعة اشهر يتم التدليس والغش في نتائجها وذلك من اجل الاعلان عن انبعاث الديمقراطية وقيامها في ليبيا. ولا يهم احدا ان البلاد تغوص شيئا فشيئا في مستنقع الحرب الاهلية وأن التقسيم سيكون مصيرها، في حين يبقى الامر الاهم في حماية المواقع النفطية من قبل العناصر المرتزقة للحفاظ على استخراج النفط وبشكل يتم فيه اتخاذ كافة القرارات في البلاد تحت رقابة غربية. واشير مؤيدا هذه التكهنات الى ان احدث ليبيا الآن بعيدة كل البعد عن نهايتها واننا المرحلة الثالثة من دراما معقدة وصعبة.

وستطفو على سطح الاوضاع في ليبيا وبالدرجة الاولى التناقضات بين القبائل والصراع على السلطة عموما وخاصة التيارات الاسلامية. وتفيد الصحافة الجزائرية بأنه عدد الاسلاميين التقريبي في الفترة الراهنة يبلغ نحو خمسة آلاف مسلح. والنزاعات ستستمر بين مختلف القوى الليبية لفترة طويلة، ولا يمكننا اليوم الجزم بان الاوضاع قد هدئت بشكل تام. وأختتم حديثي بعبارة قالها احد اصدقائيالعرب: من غير المستبعد ان يقوم الرئيس الفرنسي الجديد الذي سيفوز في الانتخابات بأيار/مايو 2012 بتأسيس لجنة خاصة لفتح الملف الليبي لدراست كافة ملابساته.

الكسي بودتسيروب كبير باحثي مركز الدراسات العربية في معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم الروسية، السفير الروسي فوق العادة مطلق الصلاحية لدى ليبيا خلال الفترة 1993-1996: أود لو اتمكن من فهم ما حدث في ليبيا وما هي الانعكاسات على روسيا وعلاقاتها بليبيا. والأوضاع عموما على هذا المسار ستعتمد على المنحى الذي ستسير وفقه

من المتعذر اليوم التكهن ما الذي سيكون اغلى ثمنا بعد مضي عشرة اعوام من اليوم: برميل الماء ام برميل النفط، وخاصة في الشرق الاوسط. وليبيا في الفترة الراهنة تفتقر الى الاحزاب السياسية والنقابلت المهنية ولكافة اشكال المنظمات الالاجتماعية والعامة. وادى ذلك الى ان تلقى مهام هذه المؤسسات على عاتق القبائل الليبية ما يعني ان شكل العلاقات التي ستبرز بين القبائل هو الذي سيحدد مستقبل ليبيا. فان القبائل مثل الساعدي تسعى الى عودة سيطرتها لتعرف قبائل فارفالي والمقرحي والقذافي من كان صاحبا لليبيا منذ زمن سحيق. اما قبيلة فارفالي فكانت لها صلة بالنخبة الحاكمة ودخل ممثلوها «الدائرة المقربة للقذافي» فيعلن انصارها اليوم انهم يسعون الى اشراكهم في السلطة الجديدة. وجدير بالذكر ان عدد فارفالي يبلغ في ليبيا حوالي مليون شخص. ونرى بشكل اوضح فاوضح ان الاسلاميين المتطرفين يسعون الى السلطة بدورهم ويصلون اليها فعلا. عموما فإن مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الوطني الانتقالي الليبي هو شخصية اسلامية. وكان قد دخل حكومة القذافي وتسلم منصب وزير العدل الليبي، إذ كان من الصعب على القذافي اتخاذ قرار اشراك عبد الجليل في الحكومة بيد أنه اراد من ناحية اخرى اظهار مدى لبرالية نظامه حيال الاسلام.

ويسعني عقب الجولة القصيرة التي قمت بها وإياكم على ساحة الاوضاع الليبية الاستشهاد بما ذكرته «موند دبلوماتيك» من خلال ما نشر على موقعها الالكتروني عن رئيس تحريرها برنار كاسين الذي كتب ان الاطاحة بنظام القذافي كانت سعيا من الدول الغربية نحو وضع حد لعملية تحرير العبيد من السيطرة الغربية. وانطلاقا من ذلك يمكن هنا استنتاج أن الأحداث التي شهدتها ليبيا كانت ردا سياسيا واقتصاديا غربيا على

والصاية السوفييتة على تريبوليتانيا. خاصة وأن النفط الليبي عالي الجودة وخال من الكبريت.

ان ليبيا واحدة من اغنى بلدان افريقيا بثرواتها الطبيعية. والنفط المستخرج فى ليبيا عالي الجودة وخال من الكبريت. ومن عمل في منطقة شمال افريقيا على علم تام بجودة ونوعية الفواكه والخضار التي تنمو في ليبيا. ويصل طول الشريط الساحلي الليبي 1770 كم وهو الشريط الاطول الذي تمتلكه دولة افريقية على شاطئ البحر الابيض، ناهيك عن ان هذا الساحل يكاد يكون في معظمه من الرمال البيضاء الناصعة ما يخول ليبيا وبدون مبالغة أن تصبح مرتعا للسياح والنشاطات السياحية. وتحتوي الاراضي الليبية على كم هائل من الآثار الإغريقية والرومانية التي تم ترميمها جزئيا بمساعدة من الخبراء الايطاليين.

والى جانب ذلك كانت ليبيا تشغل واحدة من المراكز المتقدمة في افريقيا من حيث مستوى الدخل (وحصة الفرد فيها تصل الى 14 الف دولار من اجمالي الناتج المحلي في ظل متوسط عمري يصل الى 75 عاما). وكانت شرائح كبيرة من المواطنين تحصل في عهد القذافي على المعونات والدعم الاجتماعي المقدم من الدولة مثل التعليم والطبابة المجانيين في معظمهما. وكانت الدولة تقدم مبلغ حوالي 30 الف دولار كمعونة عند الزواج.

وكان القذافي قائدا غريب الأطوار في حين يشير الكثيرون الى انه كان يسبق عصره. وكان في عهده يتم ايلاء اهتمام كبير للحوار الاسلامي المسيحي اضافة الى الاتصالات المكثفة التي كان يجريها على الدوام مع الفاتيكان. وأدرك القذافي منذ عشرين او حتى ثلاثين عاما مضت أهمية المياه العذبة. وبات الجميع الآن يدركون هذه الاهمية واصبح

البحرية السوفييتية. وكانت سورية هي الأخرى شريكا لنا، غير انها لم تكن تسمح لنا بمثل هذه الصلاحيات الواسعة للدخول الى مياهها الى اي مرفأ وفي أي وقت.

ولا يمكن تجاهل اهتمام الاتحاد السوفييتي بليبيا في المجال النفطي. كنا ننقل النفط من سيبيريا الى أوربا. وفي الوقت نفسه كان بوسعنا استخراج النفط في ليبيا وهو من انواع افضل من نفطنا ونقله عبر البحر المتوسط وتنفيذ التزاكاتنا التجارية وبتكاليف أقل. وكنت بصفتي سفيرا للبلاد اسعى الى الحصول على مثل هذه الامكانيات (وهو ما كان القذافي حاضرا لتوفيره لنا).

وكانت تطلق عبارات واقوال تشير الى ان القذافي ارهابي ومجنون ولا يمكن التكهن بما سيفعله وأنه ديكتاتوري. ولكن ما اريد قوله هو إنني حين اسمع مثل هذه الألفاظ اشعر بالشكوك اذا لم اكن احس بالاشمئزاز. وذلك لأنني عرفته شخصيا من خلال اللقاءات التي عقدتها معه.

وختما اريد الإشارة الى ان ما يحدث في ليبيا الآن لا يلبي مصالحنا. وان كل هذا تم التخطيط المسبق له ويتم تحقيقه من قبل قوى معينة بهدف الاستيلاء على ثروات اليبيا ونفطها.

فينيامين بوبوف رئيس مركز شراكة الحضارات في معهد الابحاث الدولية لدى معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية (الجامعة)، السفير الروسي فوق العادة مطلق الصلاحية لدى ليبيا خلال الفترة 1991-1993: فعلا، تحظى ليبيا بأهمية استراتيجية كبيرة لها، خاصة وانها تتوسط ساحل القارة الافريقية على البحر الابيض المتوسط. وكان الاتحاد السوفييتي ينظر الى ليبيا باهتمام حتى قبل الكشف عن احتياطياتها الكبيرة من النفط . وعقب الحرب العالمية الثانية تمنى ستالين ومولوتوف باقامة

وتزامن تعييني في ليبيا مع الحرب بين الجماهيرية وتشاد. ومرت خمسة ايام على وصولي طرابلس حيث رن الهاتف في تمام الثانية عشرة ليلا ودعيت للقاء القيادة الليبية. وتوجهنا الى قسم المراسم في وزارة الخارجية الليبية وهناك صعدنا الى سيارة اخرى حضرت لتنقلنا. وتوقفت السيارة امام مبنى صغير ونزلنا ودخلنا اليه. وها نحن في غرفة فيها طاولة وكرسيان. ووصل العقيد معمر القذافي في الوقت المحدد وهو يرتدي ثيابا بيضاء ناصعة رغم ان ذلك حدث في تشرين الاول/اكتوبر الذي لا يمتاز بحر الجو. وبدى لي طويل القامة، وعندما امعنت النظر فيه ايقنت انه متوسط الطول وأنه يبدو أطول نتيجة ارتداء الحذاء ذي الكعب العالي. وتجدر الاشارة الى ان القذافي كان يعتبر نفسه تلميذا للزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر حيث ان القذافي كان قد ترأس ايضا مجموعة الضباط الاحرار التي قامت بالثورة وتسلمت السلطة. ولا بد من التنويه بأن القذافي كان يريد مني ان ألعب في بلاده بصفتي سفيرا نفس الدور الذي لعبته في مصر عندما عملنا على تعزيز الجيش المصري عقب حرب سبعة وستين. وكان غروميكو قد أوصاني خلال اللقاء الذي تحدثت عنه، اوصاني بالتركيز على التعاون التقني العسكري مع ليبيا في تلك المرحلة من العلاقات بين البلدين، إذ ان الاتحاد السوفييتي كان في ذلك الحين الركيزة الاساسية التي تعتمد عليها ليبيا.

ومن جهة ثانية كانت للاتحاد السوفييتي في تلك الفترة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية العسكرية، خاصة وان مجموعة سفن حربية سوفييتية كانت على الدوم تناوب في البحر الابيض المتوسط وتجوب مياهه. وكانت السفن الحربية السوفييتية د تدخل الى اي ميناء ليبي في اي وقت، ناهيك عن الأهمية الكبرى لمثل هذه الامتيازات بالنسبة الى القوات

العلاقات الروسية الليبية وعلى موقع روسيا في العالم والمكانة التي تشغلها على حلبة السياسة الدولية.

واريد بصفتي امثل تلك الفئة من السفراء الذين مثلوا الاتحاد السوفييتي في ليبيا، اريد القول ان تعاطينا مع ليبيا في عهد الاتحاد السوفييتي كان مرسوما وفقا لنهج سياسي محدد وواضح. وأود الآن التحدث عن تجربتي الشخصية على هذا الصعيد، حيث أنه قبل انتقالي من الكويت سفيرا الى ليبيا التقاني أندريه غروميكو رئيس المجلس الاعلى للاتحاد السوفييتي. وأكد لي خلال لقاء مغلق على ان المهمة الموكلة الي تتمثل في اقامة علاقات الثقة مع القذافي. وقال بهذا الصدد: «لم يتمن سفراؤنا السابقون في ليبيا من تحقيق ذلك، وربما لك ان تتمكن من تنفيذ هذه المهمة». وأوصاني غروميكو بعدد من الوصايا التي تكشف عن طبع القذافي وما يميزه وعن الطريقة المفضلة التي يمكن من خلالها التعامل معه. ولفت غروميكو في الحديث الذي لا يزال في ذاكرتي قائلا: «كن صريحا للغاية مع القذافي، ولا تكذب ابدا خلال مخاطبته، وان كنت عاجزا عن قول الحقيقة، إحذر، لا تتكلم». وسألته قائلا: «الى أي مدى ينبغي ان اكون صريحا معه، ماذا تعنني من قولك؟». فأجابني قائلا: «المدى سيتعين تحديده من قبلك. يتعين عليك تحديد الى أي مدى باستطاعتك ان تكون صريحا معه، وهذا سيعتمد على فنك حيث عليك الاحساس بذلك وادراكه. ولن يقوم احد بالنيابة عنك بتحديد ما ينبغي عليك قوله وما لا يمكن لك الافصاح عنه. والامر الاهم هو ألا تدع القذافي يحس ولو لمرة واحدة بأنك تخادعه». في هذا الحديث خير مثال على الطريقة التي كان يوجه بها غروميكو السفراء ويوصيهم قبل توجيههم الى هذا البلد اوذاك لتمثيل بلادنا.

السرعة والسهولة عقب ان استمر جاثما على قلب البلاد منذ عام 1969. وما ميز الاوضاع في ليبيا عن غيرها كان عامل التدخل الخارجي في سير الاحداث فيها. وربط هذا العامل بين حزمة من المقومات بينها مشاكل الامم المتحدة ومسألة الثقة والقدرات العسكرية لحلف الناتو، وخطر هجمة التطرف الاسلامي وبروزه على الساحة والتناقضات بين الدول المتقدمة والدول النامية اضافة الى قضايا ماوراد الطاقة. ولا بد من الاشارة الى انه لم تشهد اي من الدول العربية ظاهرة العامل الخارجي خلال اجتياح الربيع العربي لها، لم تشهد هذا العامل على الوجه الذي برز فيه في ليبيا. وانطلاقا مما تقدم نرى انه من المشوق والهام بالنسبة الينا اليوم تحليل التجربة السوفييتية والروسية في التأسيس للعلاقات مع ليبيا، اضافة الى تناول أسباب وطابع الأزمة الليبية والتحدث حول مضمون العلاقات بين بلادنا وليبيا في المستقبل.

اجتمع حول هذه «المائدة المستديرة» التي تقيمها رئاسة تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية» ومعهد الابحاث الدولية لدى جامعة موسكو الحكومية للعلاقات الدولية (الجامعة)، اجتمع رجال الدبلوماسية الذين ترأسوا في فترات تاريخية مختلفة سفارتنا في ليبيا او درسوا هذه القضية هنا، في روسيا. وفي هذا السياق اتوجه الى عميد السلك الدبلوماسي السوفييتي والروسي السفير بوغوس اكوبوف.

بوغوس اكوبوف رئيس مجلس جمعية الدبلوماسيين الروس، سفير الاتحاد السوفييتي فوق العادة مطلق الصلاحية في ليبيا خلال الفترة 1986-1991: شكرا لكم على اعطائكم الكلمة الاولى لي. أرى انه يتعين علينا قبل كل الشيء تقييم ما حدث من وجهة الآثار التي تنعكس على

في ليبيا

حوار

أرمين أوغانيسيان رئيس تحرير مجلة «الأحداث السياسية الدولية»، مستشار وزير الخارجية الروسي: الانظمة العربية المتسلطة أخذت تنهار واحدا تلو الآخر عقب ان كانت وحتى الفترة القليلة الماضية تبدو متماسكة كالبنيان المرصوص، راحت هذه الانظمة تتهاوى على غرار الامبراطوريات الاستعمارية التي سقطت في الستينيان من القرن الماضي. ويسعنى هنا التذكير بأن موجة الاحتجاجات الشعبية العارمة والثوارت التي تبعتها واسقطت الانظمة العربية في شمال افريقيا كانت قد انطلقت من تونس في 18 كانون الاول/ديسمبر 2010 وذلك عقب اضرام بائع الخضار التونسي محمود بوعزيزي النار بنفسه احتجاجا على الواقع المر الذي عاناه وتعبيرا عن امتعاضه من تسلط الشرطة والفساد المستشري في أجهزتها.

وأعقبت الثورة التونسية ثورة الشعب المصري وشملت النهضة الشعبية البحرين واليمن، ووووصلت الاحتجاجات الشعبية الى سورية والجزائر والعراق والاردن والمغرب وعمان. وطالت احتجاجات اصغر كلا من الكويت ولبنان وموريتانيا والعربية السعودية والسودان واصلة الى الصحراء الغربية. وفي خضم هذه الاحداث والمتغيرات ارى ان الاضطرابات والتحولات التي شهدتها ليبيا اثارت الرأي العام والأوساط الدبلوماسية والاعلامية. ولا يقتصر الامر هنا على انه تم اسقاط حجر من ساحة الشطرنج العالمية تمثل في النظام الليبي المتسلط الذي كان من غير المتوقع سقوطه بهذه

مع وضد

اثناء الحوار الذي نظمته هيئة تحرير مجلة «الاحداث السيسية الدولية» بالتعاون مع معهد الابحاث الدولية التابع لمعهد العلاقات الدولية (الجامعة)، تحدث سفراء روسيا والاتحاد السوفييتي في ليبيا عن الازمة في هذا البلد. واشترك في الحوار **ارمين اوغانيسين** رئيس هيئة تحرير «الاحداث السياسية الدولية، و**بوغوس اكوبوف** السفير فوق العادة ومطلق الصلاحية للاتحاد السوفييتي لدى ليبيا خلال الفترة 1986-1991 و **فينيامين بوبوف** السفير الروسي فوق العادة مطلق الصلاحية لدى ليبيا خلال الفترة 1991-1993، **والكسي بودتسيروب** السفير الروسي فوق العادة مطلق الصلاحية لدى ليبيا خلال الفترة 1993-1996، **وفلاديمير تشاموف** سفير روسيا فوق العادة مطلق الصلاحية لدى ليبيا خلال الفترة 2008-2011، **و بوريس بودروف** رئيس قسم فرنسا للدائرة الأوربية الاولى في وزارة الخارجية الروسية، **مراد رجب الدينوف** السكرتير الثاني لقسم ليبيا وتونس لدائرة الشرق الاوسط وشمال افريقيا لدى وزارة الخارجية الروسية، **يفغيني فورونين** سفير روسيا فوق العادة مطلق الصلاحية في بنما خلال الفترة 2004-2009.

1. Российская газета. 23.03.2011.
صحيفة روسيسكايا غازيتة

2. http://russian.people.com.cn./95460/7338559.html

3. *Guardian*. 29.03.2011.

4. www.globalaffairs.ru/redcol/liviiskayavoronka-15153

5 .www.rian.ru/authors/20110324/357382681.html

6 .www.inosmi.ru/op-ed/20110319/167517176.html

7. Die Welt. 05.05.2003.

8. Российская газета. 06.04.2011.
روسيسكايا غازيتة

الكلمات الرئيسية: الجماهيرية العربية الليبية، السيادة الوطنية للدولة، منظومة وستفاليا، القانون الدولي، الحالة الليبية، مجلس الامن الدولي.

يتعين على المجتمع الدولي التدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدولة او تلك، او عدم التدخل في هذه الشؤون، يتعين على الامم المتحدة اعداد القوانين الدولية ذات الشأن واقرارها بإرادة معظم دول العالم الاعضاء في الامم المتحدة، وتحديد شروط مثل هذه التدخلات بشؤون الدول المستقلة او شروط عدم التدخل بها.

والحالة الليبية تضع امام السلطات الروسية مهمتين على الاقل تتطلبان التعاطي معهما.

لا بد من ادخال التعديلات اللازمة على مفهوم السياسة الخارجية لروسيا والتي تتضمن الحق الشرعي في الدفاع عن سيادة الدولة وعن شرعية السلطات فيها في حال تعرض بلادنا للاعتداء على استقلالها من خارج البلاد او داخلها.

اطلاق الحوار الدولي للتوضيح الأدق لبنود المادة الحادية والخمسين من ميثاق الامم المتحدة، وذلك من اجل تحديد الحالات التي يتم فيها انتهاك استقلال الدول من قبل القوى الخارجية او من قبل القوى والمنظمات الداخلية المتمردة.

ولا بد ايضا من التوضيح التام لآلية حمياة شرعية السلطات من التعديات الخارجية والداخلية، وتوضيح الحدود الشرعية من وجهة نظر القانون الدولي لتدخل المجتمع الدولي بالشؤون الداخلية للدول أو عدمه.

ولا يسعنا هنا إلا التأكيد على اهمية اجراء «ترميم» واسع لوثائق الامم المتحدة، وبالدرجة الاولى لميثاق الامم المتحدة انطلاقا من المظروف التي تغيرت في العالم منذ عام 1946. وتمتلك السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية كافة المقومات التي تخول الدبلوماسية الروسية اقتراح بحث التعديلات الممكنة إضافتها على ميثاق الامم المتحدة للتتماشى مع المتغيرات التي شهدها العالم منذ التوقيع على يالطا بين.

وعلى ما يبدو فإن الحالة الليبية شكلت نقطة تحول للنخبة الحاكمة في الولايات المتحدة وحضتها على التفكير مليا بالجدوى مما تتصرف به الولايات المتحدة في غضون السنوات العشرين الاخيرة.

والآن لم تبق سوى روسيا تمتلك موقفا رسميا واضحا يمكن له تحريك هذه العملية من نقطة الجمود.

وفي الوثائق الحكومية الروسية فقط تم تدوين التعاطي المبدئي والموضوعي في مواجهة الحالات المشابهة لتلك التي عايشتها ليبيا. ويتجلى ذلك بشكل خاص بالنهج المعلن للسياسة الخارجية لروسيا الاتحادية والتي تنص على انه «يتعين على منظمة الامم المتحدة ان تكون في القرن الحادي والعشرين مركزا ناظما للعلاقات الدولية ولتنسيق السياسة الدولية، وذلك لان منظمة الامم المتحدة قد اثبتت شرعيتها وأكدت على عدم وجود البديل لها. ويمكن من خلال ذلك رفع الجدوى من نشاطات مجلس الامن الدولي المسؤول الاول عن الحفاظ على السلم والامن الدوليين».

وبشكل مواز تؤكد روسيا في نهج سياستها الخارجية على اهمية «الاصلاح المتناسب لمنظمة الامم المتحدة بشكل يضمن تاقلمها التام مع المتغيرات السياسية والاقتصادية في العالم».

ان مفهوم السياسة الخارجية الروسية يعتبر اليوم الوثيقة الرسمية الوحيدة في العالم التي تنص على الاصلاح المناسب لمنظمة الامم المتحدة الذي يقوم على التوافق الدولي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف لذلك ان يتحقق؟

المخرج من هذا المأزق هو سبيل واحد لا عوض عنه، هو السبيل القانوني. ويتعين على منظمة الامم المتحدة ومن اجل الحيلولة دون الاعتماد على التصريحات المفرغة من محتواها الصادرة عن الشخصيات او التيارات الاجتماعية او عن حكومات بعض الدول حول الحالات التي

ومبادئ القانون الدولي سيتحول الى قنبلة موقوتة تزرع تحت اساس العلاقات الدولية»[18].

واضطر زلوبين من خلال الاعترافات التي صرح بها من خلال مقالته، اضطر للتأكيد على ان «ما يسمى بشرعية الامم المتحدة لم تمنح العملية العسكرية في ليبيا الشرعية السياسية والالاجتماعية والإنسانية».

«وبالنتيجة فقد برزت امامنا حالة بدت فيها عملية القوات الدولية الشرعية والقانونية في ليبيا وكأنها عدوان مختلق اثار الاحتجاجات عليه في مختلف دول العالم. وهل هذا يعني أنه انطلاقا من ذلك يبدو ان مجلس الامن الدولي في عالمنا المعاصر لم يعد يلعب دور المؤسسة العليا الناظمة للعلاقات الدولية؟ وان كان الامر كذلك فهذا يعني اننا بتنا نواجه مشكلة فقدان المؤسسات الدولية التي ورثناها عن مرحلة الحرب الباردة، فقدانها التام لقدرتها على التماشي مع التطورات الدولية. ولا بد من حل هذه المشكلة بأسرع وقت ممكن وبمختلف الوسائل وحتى من خلال استحداث مؤسسات دولية جديدة قبل ان تعم الفوضى نظام العالم عديم القطبية الذي نعاصره».

ويختتم زلوبين مقالته الثانية عن ليبيا والتي عدل من خلالها ما ذكره في مقالته الاولى، يختتمها كما اختتم المقالة الاولى كاتبا: «وعلى الاقل فإن هذا ما اراه من واشنطن».

ويمكن مما كتب زلوبين مستشار الحكومة الامريكية استنتاج ان ممارسات الولايات المتحدة فيما يخص ليبيا قد اظهرت صدعا في الراي العام العالمي، ما يبرر خطوة الولايات المتحدة التي هدفت من ورائها واشنطن الى ابقاء فرنسا وبريطانيا في مواجهة الانشقاق الحاصل في الراي العام الدولي إزاء عمليات التحالف الغربي في ليبيا.

واين المخرج من هذا المأزق، وهل من المطلوب عموما العثور على مخرج؟ الغرب على ما يبدو ليس بحاجة للعثور على مخرج. النخب الحاكمة في الدول الغربية راضية بشكل تام عن الوضع الذي تشكل في العالم منذ عام 1991، حيث اصبحت هذه الدول قادرة على حل مشاكلها بالسلاح وتأمين موارد الطاقة اوالخامات لتي تلزمها بالقوة، وصار بوسع هذه الدول ترويج منتجات شركاتها الصناعية والزراعية والمعلوماتية وتسويقها داخل هذه الدول وخارجها. ولهذا السبب بالذات أعلن هنري كيسينجر وزير الخارجة الامريكي الاسبق، اعلن سنة 2003 «عن فشل فكرة سيادة الدولة»، وأعلن «موت منظومة وستفاليا»[17].

أما في الولايات المتحدة فإن التعاطيات على هذا الصعيد متباينة، حيث انه وعقب مضي اسبوعين على المقالة التي نشرتها صحيفة «روسيسكايا غازيتا» الروسية عن المستشار الروسي للحكومة الامريكية زلوبين والتي كتب فيها ان حملة التحالف الغربي على ليبيا قد باءت بالفشل وعلى الاقل بشكل مؤقت، عاد زلوبين ليدخل تعديلات على ما كتبه، ونشر في نفس الصحيفة مقالة جديدة تحت عنوان «مرة اخرى حول النظام الدولي» ذكر فيها وبشكل مثير للدهشة ان «ليبيا بحاجة الى شرعية شعبية بالاضافة الى شرعية سياسية».

«العملية العسكرية التي نفذت في ليبيا بموجب قرار من مجلس الامن الدولي طرحت على المجتمع الدولي عددا كبيرا من الاسئلة المعقدة التي تتطلب الإجابة عنها. ولا بد أولا من البحث معا عن اجابات عن هذه الاسئلة وذلك للحيلولة دون ازدياد الشرخ القائم في المجتمع الدولي المستمر نحو زعزعة شاملة للعالم، ولا بد ثانيا من العثور على هذه الاجابات باسرع وقت ممكن وإلا فإن جهل اسس المنظومة الدولية

تعليق تحت عنوان «الدوامة الليبية»\4\ نقلا عن مصدر دبلوماسي أوربي مطلع قوله متكهنا بما ستؤول اليه الاوضوع في غياب دور الامم المتحدة عن الساحة الدولية، نقل عنه قوله إن «الفوضى التامة يمكن لها ان تكون النهاية الايجابية للتطورات الدولية».

أما ارمين اوغانيسيان رئيس تحرير مجلة «الاحداث الدولية» فقد كان اكثر صراحة في تعليقاته التي نشرت بتاريخ 24 آذار 2011 حينما كتب: «القرار الاخير الصادر عن منظمة الامم المتحدة سيفضي الى تعرض هذه المنظمة الى الاصلاحات التي ستطال مجلس الامن الدولي على وجه الخصوص ما لا يتماشى مع المصالح الروسية»\5\.

اما دميتري ترينين رئيس مركز كارنيغي بموسكو فقد اقترح بهذا الصدد في حديث ادلى به الى inosmi.ru في 19 من نفس الشهر بالتمعن بحقيقة عدد من المسائل ضمن هذا الاطار. وقال: «ان العالم بات يبتعد شيئا فشيئا عن مبادئ وستفاليا الناظمة لصيغة استقلال الدول وسيادتها، ناهيك عن ان التدخل المتبادل للدول بشؤون بعضها البعض صار يتناقض اكثر من ذي قبل مع المبادئ الانسانية. وكيف يمكن في ظل مثل هذه الظروف التعاطي مع انتهاكات حقوق الانسان الجماعية التي ترتكبها حكومات الدول المستقلة؟ وأين تبدأ عتبة التدخل المسلح؟ وما هي مواصفات التعاطيات، ومن هم القضاة ومن هي الجهات المنفذة للاحكام؟ ولا يمكن غض الطرف عن هذه الانتهاكات والاكتفاء بشجب التدخلات، وذلك لأن العولمة تصوغ هيكلية المجتمع الدولي. وستصبح العلاقات الدولية دون حل لهذه المشاكل، ستصبح اكثر فاكثر رهينة للسياسات الداخلية لتلك الدول التي ستخلق الأسباب التي تبرر تدخلها بشؤون الدول الاخرى، ورهينة لتلك الدول التي ستستغل هذه الأسباب للرد المحموم أو البارد على التدخل بشؤونها»./6/

وعلى ما يبدو فإن الغرب بات متخبطا في تصرفاته، إذا ما نظرنا لممارساته من منظور المادة الحادية والخمسين من ميثاق الامم المتحدة والتي تضمن «الحق الطبيعي للدولة العضو في منظمة الامم المتحدة في الدفاع الفردي أو الجماعي عن نفسها في حال تعرضها لاعتداء مسلح قبل اتخاذ مجلس الامن الدولي الاجراءات اللازمة من اجل حماية السلم والأمن الدوليين».

ونشرت صحيفة «اندبندنت» في عددها الصادر بتاريخ 23 آذار 2011 مقالة تحت عنوان «نهاية العالم الذي نعرفه» بقلم ادريان هاميلتون أشير من خلالها الى ان «العالم قد تغير الى الابد»، والى ان الاحداث في شمال افريقيا وفي منطقة الشرق الاوسط ليست إلا «نذيرا لتغيرات عالمية اعمق» لا يمكن التنبؤ بمآلها. وكتب مؤلف المقالة ايضا: «اننا لا نزال حتى الآن عاجزين عن الاقتراب من معرفة هذه النتائج. وأنما الشيء الوحيد الذي صرنا على قناعة تامة به يتمثل في ان التاريخ بدأ يتحرك وأننا لا نزال في بداية الطريق».

واللافت في المقالة على هذا الصعيد هو ان مؤلفها يرى المخرج من هذه الدوامة في انبعاث دور الامم المتحدة الفاعل، حيث كتب في ذلك: «لقد بدت منظمة الامم المتحدة مطلع العام الجاري كمؤسسة تم استثاؤها بشكل كامل من العمليات الدولية ومؤسسة فقدت هيبتها من خلال سعي الرئيس الامريكي اوباما وراء تحقيق اهدافه وبشكل تزامن مع اهمال المجتمع الدولي لدور الامم المتحدة». ولكن «الامم المتحدة وكما كانت الحال في حقبة الحرب الباردة راح ينظر اليها على انها شيء ما يتعين على القانون الدولي ان يقوم على ارضيته».

وتتباين الآراء في روسيا حول ما اشار اليه معد المقالة، إذ أن رئيس تحرير مجلة «روسيا في السياسة الدولية» فيودور لوكيانوف كتب في

ملاحقته عبر قنوات محكمة الجنايات الدولية. وكتبت صحيفة «غارديان» البريطانية ان كلا من لندن وواشنطن «تحاولان تشكيل توافق دولي يحض القذافي على تنحيه عن السلطة»[13].

وباختصار يمكن هنا القول ان الغرب عاد بذلك الى الاعتراف مجددا بشرعية القذافي كرئيس لبلاده ما ادخل الدول اغلربية في الفخ القانوني بشكل كامل ليطبق هذا الفخ عليها.

ورغم ذلك فإن الفخ القانوني الذي اطبق على الدول الغربية يواصل الإملاء عليها المنطق الذي انتهجته في تعاطيها مع الاوضاع في ليبيا. وتجلى ذلك كليا عندما اعلنت كل من باريس ولندن وقطر اعترافها بالمجلس الوطني الانتقالي الليبي الذي لم يكن يمتلك اية صفة شرعية حتى في نظر هذه الدول عينها، اعترفت به ممثلا شرعيا للشعب الليبي في الوقت الذي كانت تحاول فيه اقناع القذافي بالتخلي عن السلطة، وذلك في المرحلة التي لم يكن فيها المجلس يمتلك اية اجهزة او مؤسسات، وفي الوقت الذي لم يعرف فيه من يضم هذا المجلس. واعترفت «غارديان» وبصراحة كاتبة: «غاية في الأهمية بالنسبة الينا معرفة هوية الاشخاص» الذين يتكون منهم المجلس الوطني الليبي هذا.

وعموما يمكن من ذلك استنتاج ان التحالف الغربي يقوم من خلال استخدام القوة العسكرية بتمهيد الطريق امام قوى مجهولة لتمكينها من الوصول الى السلطة في ليبيا. وأشار عدد من الشخصيات الغربية المطلعة في تعليق على ذلك (ومن بينها على سبيل المثال اميرال الناتو ستافريديس)، اشارت وبصراحة الى ان هذا المجلس الوطني الليبي يضم عددا من الشخصيات الارهابية، وعددا من أعضاء تنظيم القاعدة، ناهيك عن امكانية وجود ممثلين عن حزب الله اللبناني، المنظمة الارهابية بنظر الغرب، في صفوف هذا المجلس.

يقتصر على جلب الضرر للآخرين فحسبن وإنما سنعكس هذا الضرر على الدول التي تتبع مثل هذه الوسائل».

وتجدر الاشارة هنا الى بكين من خلال التصريحات التي يطلقها دبلوماسيوها ومن خلال ما تنشر من مقالات في صحفها الرسمية تدعو وبرفق التحالف الغربي الى العودة الى المنحى الصحيح للقانون الدولي. وفي الواقع فإن الأمر هنا متعلق بقضايا اكثر عمقا مما يتم التعبير عنه. والتفسير الموسع لما نص عليه قرار مجلس الامن رقم 1973 والحملة العسكرية التي شنها تحالف الدول الغربية على ليبيا في أعقاب ذلك، يثران التساؤلات ليس حول ليبا فحسبن وإنما حول دور منظمة الامم المتحدة في ظل المتغيرات الدولية. والتحليل المبدئي للأحداث الجارية ضمن هذا المضمار وانعكاسات هذه التطورات في وسائل الاعلام الدولية يكشف عن ان الامر متعلق بمدى تماشي واقع العلاقات الدولية في القرن الحادي والعشرين مع مبادئ منظومة وستفاليا.

ويرى عدد كبير من الخبراء الروس والغربيين أن التحالف الغربي قد ادخل نفسه في ليبيا الى فخ قانوني، غذ ان باريس وواشنطن ولندن صرخت بصوت عال مؤكدة على اهمية ازاحة القذافي عن قيادة بلاده، واعلنته مجرما دوليا في حين لم تظهر هذه العواصم اية ادلة دامغة تدين القذافي. ورغم كل التبريرات التي قدمها القادة الغربيون لعملياتهم العسكرية في ليبيا، لم يجرؤ احد منهم على التشكيك بشرعية قيادة القذافي لبلاده، ما اضطر الغرب الى التراجع فيما بعد عن تمسكه بإزاحة القذافي وراح يطالبه بالتنحي الطوعي عن قيادة الجماهيرية ومغادرتها. وفي هذه الاثناء لم تكتف واشنطن ولندن بمحاولات الاطاحة بالقذافي أو حتى تصفيته (أشير في ذلك في العديد من المواد الصحفية العالمية المنشورة) وراحتا تحاولان اقناعه بالتخلي عن السلطة مقابل الكف عن

وفي الخامس والعشرين من آذار 2011 أعلنت بكين موقفها المطابق لموقف موسكو، حيث اعلن المندوب الصيني الدائم لدى الامم المتحدة لي باو دونغ عن «مطالبة الصين باحترام استقلال وسيادة ليبيا ووحدة اراضيها»، وتمسكها بمدأ «تقرير الليبيين انفسهم مصير بلادهم وادارتهم لشؤونها الحكومية» بمعزل عن التدخل الخارجي. وصدر بتاريخ الخامس من نيسان/ابريل 2011 بيان روسي صيني مشترك، حيث نشر على موقع الخارجية الروسية الرسمي بيان مفاده انه تم خلال اللقاء الذي عقد في موسكو بين نائب وزير الخارجية الروسي الكسندر سلطانوف والسفير الصيني لدى موسكو لي خوا يا الاعراب عن «القلق العارم» والمشترك ازاء استمرار العمليات العسكرية في ليبيا وما يسفر عنها من سقوط للضحايا بين المدنيين، وشدد الجانبان على «الاهمية البالغة للوقف العاجل لإطلاق النار واراقة الدماء» في ليبيا.

وفي هذا السياق ورد في مقالة نشرتها صحيفة الشعب الناطقة باسم الحزب الشيوعي الصيني تحت عنوان «الاحداث في ليبيا: يتعين على الدول الغربية التخلي عن فكرة التحكم بالعالم»[12] ورد: «تتم تحت راية حماية السكان المدنيين في ليبيا حماية مصالح الدول الغربية الاقتصادية وحماية قناعة الدول الغربية الكبرى بأنها هي التي تدير العالم، إذ ان هذه الفكرة بالذات هي التي حضت الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا على ادارة العمليات العسكرية في ليبيا». وتابعت الصحيفة: «اقتناع الدول الغربية بالدور القائد للعالم في السابق عاد على بعض الدول الغربية بالمتاعب الكبرى. والتعقيدات الجديدة لن تصب في صالح الدول الغربية في الامد البعيد. والعالم بات يشهد التطورات، في الوقت الذي يتعين فيه ايضا على الغرب ان يتغير. وإذا ما استمر التمسك بالمواقف السابقة واستخدام الوسائل القديمة لحل هذه المشكلة او تلك، فإن الأمر لن

بيد ان احداثا وقعت فيما بعد افضت الى تغير الموقف الروسي ازاء ما يحصل في ليبيا.

وتمكن على هذا الصعيد الاشارة الى ان العمليات العسكرية التي قامت بها قوات التحالف الدولي الغربي في الجماهيرية لم تخلص الى النتائج المنشودة، حيث ان الثوار في بن غازي راحوا يتعرضون للهزيمة تلو الاخرى على ايدي القوات الحكومية. وتمخض عن هذه التطورات اسراع وزراء خارجية كل من فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا بالاعلان عن استعداد الدول الغربية لبحث مسألة توريد السلاح لما يسمى بقوات الثوار الليبيين رغم ما نص عليه قرار مجلس الامن رقم 1970 للسادس والعشرين من شباط/فبراير لعام 2011 والذي يحظر تزويد الجماهيرية بالاسلحة والمعدات او تمريرها عبر أراضي ليبيا.

وصدرت في اعقاب ذلك حزمة من التصريحات الرسمية الروسية، حيث أعلن المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الروسية ومن ثم وزير الخارجية سيرغي لافروف، اعلنا ان قرار مجلس الامن رقم 1973 كان قد اتخذ «على عجل»، وان «التفسير الموسع» له من قبل الدول الغربية، وحجم التدخل العسكري غير المبرر في ليبيا أمران مرفوضان. وأكدت الدبلوماسية الروسية على ان قرار مجلس الامن لم يتضمن بندا يخول القوات الغربية بقصف الاراضي الليبية، وشددت موسكو على ان الاحداث الجارية في ليبيا ليست إلا حربا اهلية لا يمكن التدخل فيها الى جانب أحد الاطراف المتناحرة ضد الآخر، وأن قصف القوات الحكومية الليبية وتدمير مواقعها في ظل هذه الظروف أبدى وقوف القوات الغربية الى جانب واحد من طرفي القتال في ليبيا ما يتناقض بشكل قاطع مع مبادئ القانون الدولي.

ورغم ان البند الرابع اكد على «التقيد التام بعدم وصول اية قوات عسكرية بأي شكل من الاشكال الى الاراضي الليبي»، ورغم ذلك نص البندان السادس والثامن للقرار على تكليف «الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة بالتقيد بالحظر الجوي المفروض على ليبيا وذلك من اجل المساعدة على حماية السكان المدنيين فيها».

والملفت في نص قرار مجلس الامن الدولي هو انه تضمن عبارة اتخاذ «الاجراءات اللازمة»، التي فسرتها الدول الغربية على انها تتيح لها التدخل المسلح بالشأن الداخلي للجماهيرية الليبية من خلال انحياز قواتها المسلحة لفريق بعينه من طرفي الحرب الاهلية التي اندلعت في الجماهيرية ما شكل خرقا صارخا للقانون الدولي القائم على مبادئ اتفاقية وستفاليا.

ويسعنا هنا وبدون مبالغة التأكيد على ان هذا التدخل غير المصرح به من قبل مجلس الامن الدولي في الشؤون الداخلية الليبية فاجأ الرأيين العامين الروسي والدولي. وعلى سبيل المثال ادى هذا الامتعاض الى عزوف المانيا عن المشاركة في عمليت قصف الاراضي الليبية. أما وسائل الاعلام الروسية فقد تفاوت المواقف فيها إزاء هذه المسألة. ورأت بعض وسائل الاعلام الروسية انه تعين على موسكو إفشال قرار مجلس الأمن المتعلق بليبيا واستخدام حق النقض الفيتو لوقفه تطبيقه، في حين اشار البعض الخر من وسائل الاعلام الروسية الى ان موقف موسكو انطلق من المصالح الروسية من خلال امتناع روسيا عن التصويت على هذا القرار. واضطر الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف بتاريخ 21 من آذار، اضطر لتوضيح موقف روسيا والتحدث الموقف الروسي الرسمي قائلا: «لقد كان موقفنا محسوبا، ولقد قدمت التعليمات الى وزارة الخارجية بهذا الصدد».

الحادي والعشرين الحفاظ على الأولوية المطلقة للسيادة الوطنية للدول المستقلة وذلك تلبية لمصالح المجتمع الدولي، واصبح من المتعذر الحفاظ ايضا على مبدأ عدم التدخل بالشؤون الداخلية والحفاظ على مبدأ أمن الدول أو المناطق أو السكان دون تدخل المجتمع الدولي في ذلك، إذ أنه في حال بقي المجتمع الدولي متفلاجا فإنه سيدفع ثمنا باهظا لذلك. وعلى الاقل هذا ما أراه من هنا، من واشنطن».

وبالفعل فإن الاحداث التي شهدتها ليبيا أفضت الى بث الفوضى في عمل منظمة الامم المتحدةن، وبالدرجة الاولى انعكس ذلك على هيئتها التنفيذية، اي مجلس الامن الدولي.

ولا بد في هذا السياق من الاشارة الى ما «كشفت عنه المنظمات الدولية من خرق لحقوق الانسان وللقانون الانساني الدولي الذي ارتكب ولا يزال يقترف في ليبيا»، حيث كانت في مقدمة هذه المنظمات جامعة الدول العربية والاتحاد الافريقي ومنظمة المؤتمر الاسلامي. وكانت جامعة الدول العربية قد قررت بتاريخ 12 آذارممارس من عام 2011 التوجه الى مجلس الامن الدولي مطالبة بفرض منطقة حظر جوي على الطيران الحربي الليبي الذي زعم انه يقوم باستهداف المدنيين في الجماهيرية.

وسارعت فرنسا مستغلة الطلب العربي باقتراح بحث الاوضاع في الجماهيرية خلال جلسة خاصة لمجلس الامن الدولي مطالبة بالتدخل العسكري الدولي في الاحداث الجارية بليبيا. ولاقت المبادرة الفرنسية ترحيبا منقطع النظير من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين كانت تمتلكان الذرائع الخاصة بهما للإفادة من هذه المبادة لتحقيق مآربهما.

وصدر عن مجلس الامن بتاريخ 17 آذار 2011 قرار تحت رقم 1973 حول ليبيا. ورغم انه ورد في نص هذا القارار «التأكيد على التمسك التام باستقلال وسيادة الاراضي الليبية ووحدة الجماهيرية الوطنية»،

السلم والامن العالميين ولحقبة تاريخية طويلة. ومع الأسف وعقب رحيل الرئيس الامريكي في 12 نيسان/أبريل سنة 1945 أخذت الشروط التي تم الاتفاق عليها للسلم والامن العالميين الطابع القطبي لها. ورغم ذلك تمكنت منظمة الامم المتحدة طوال خمسين عاما من الحفاظ على الاستقرار في العالم. ولم تفض الازمات الدولية التي من بينها أزمة الكاريبي وأزمة برلين والحرب الكورية، لم تفض الى زعزعة الاستقرار القائم في العالم. واستمرت الحال كما هي عليه حتى فترة التسعينيات التي شهدت غياب الاتحاد السوفييتي عن الساحة التاريخية للعالم وراحت منظمة الامم المتحدة تدور في فلك السياسة الامريكية. وأصبحت النزاعات القومية في كافة انحاء العالم الشغل الشاغل لواشنطن وبشكل تعنى به القوات العسكرية الامريكية تحت عباءة الناتو بدرجة اكبر من عناية مجلس الامن الدولي بهذه النزاعات. والأحداث التي شهدتها يوغوسلافيا وكوسوفو وأفغانستان والعراق تحولت الى قضايا امريكية وأطلسية عوضا أن ان تبقى ضمن اطر منظمة الامم المتحدة. ونتيجة لهذه التحولات راحت معالم اتفاقية وستفاليا تضمحل معرية بذلك الاحترام المطلق للسيادة الوطنية للدول. وتحدثت وسائل الاعلام الغربية والروسية على خلفية الاحداث التي شهدتها ليبيا حول امكانية التخلي عن مبادئ اتفاقية وستفاليا والتقيد بها. وفي هذا السياق نشر المهاجر الروسي نيقولاي زلوبين [11] المسؤول عن البرامج الروسية والآسيوية لدى معهد الامن العالمي بواشنطن، نشر مقالة في صحيفة «روسيسكايا غازيتا» الروسية تحت عنوان «نهاية السيادات الوطنية» لفت فيها الى أن مبادئ القانون الدولي القائمة على اسس اتفاقية وستفاليا راحت تتراجع وتتحول الى ماض. وكتب بهذا الصدد: «المآسي على غرار المأساة اليابانية او الليبية تؤكد على استحالة الحفاظ على الاستقلالية الوطنية». واصبح «من غير الممكن في القرن

فلاديمير كوزنيتشيفسكي

كبير خبراء المعهد الروسي للأبحاث الاستراتيجية العلمية،
الدكتور في العلوم التاريخية
smith@mail.ru

الحالة الليبية ومشكلة سيادة الدولة

شدت الاحداث والثورات التي شهدها شمال افريقيا ومنطقة الشرق الاوسط العام المنصرم اهتمام المجتمع الدولي البالغ حول الدور الذي تضطلع به منظمة الامم المتحدة فيما يتعلق بفض النزاعات الدولية. والى جانب ذلك دارت النقاشات الحادة في مجلس الامن الدولي حول حدود تدخل المجتمع الدولي بالحياة السياسية للدول المستقلة، اي حول مدى الحفاظ على سيادة هذه الدول واستقلالها الوطني في ظل الظروف المعاصرة السائدة في العالم. وبشكل خاص فإن التطورات الاخيرة وضعت مبادئ اتفاقية وستفاليا لعام 1648 الناظمة للعلاقات بين الدول والامارات والكيانات الاوربية، وضعتها تحت المحك. تم في عام 1945 وبمبادرة من الزعيمين السوفييتي ستالين، والامريكي روزفلت في مؤتمر يالطا الاتفاق على تحديد مبادئ الامم المتحدة القائمة على أساس اتفاقية وستفاليا لعام 1648، حيث سعى الزعيمان المذكوران الى خلق الظروف اللازمة لدعم

19. Constitutive Act of the African Union. Article 30 // http://www.au.int/en/sites/default/files/Constitutive_Act_en_0.htm

20. И. о. премьера Ливии: Каддафи погиб от «случайной пули» // http://www.bbc.co.uk/russian/international/2011/10/111021_gaddafi_cause_of_death.shtml

القائم بوظائف رئيس الوزراء الليبي: لقد قتل القذافي برصاصة طائشة

الكلمات الرئيسية: خارطة الطريق التي اعدها الاتحاد الافريقي، الازمة الليبية، لجنة الاتحاد الافريقي رفيعة المستوى حول ليبيا.

11. Телефонный разговор с Президентом ЮАР Джейкобом Зумой. 1 июня 2011 г. // http://kremlin.ru/news/11411

برئيس جنوب افريقيا جاكوب زوما 1 حزيران/يونيو 2011 الاصال التلفوني

12. Ливия: Россия — МИД — Афросоюз. 07.06.2011 // http://www.lenta-itar-tass.ru/207000/207197.php

ليبيا: روسيا - وزارة الخارجية - الاتحاد الافريقي 2011.06.07

13. Там же.

13. المرجع نفسه.

14. Final Session of African Union Announces That Talks on Libya Are Near. Press Release N.13 /7th AU Summit. Malabo, Equatorial Guinea. 1 July 2011 // http://www.au.int/en/summit/17thsummit/news/final-session-african-union-announces-talks-libya-are-near

15. Повстанцы поддержали инициативу АС о переговорах с властями Ливии. 03/07/2011 // http://ria.ru/arab_ly/20110703/396890140.html

ايد الثوار مبادرة الاتحاد الافريقي بشأن المفاوضاتمع السلطات الليبيبة. 3 تموز 2011

16. Press Statement of the 285th Meeting of the Peace and Security Council. 13 July 2011 // http://www.au.int/en/sites/default/files/285th__Final__Press_Statement_-_Libya_EN.pdf

17. Communiqué of the 291st Meeting of the Peace and Security Council. 26 August 2011 // http://www.au.int/en/sites/default/files/291st%20PSC%20sCommunique%20%20Libya%20-%2026%20August%20_Eng%20_.pdf

18. Zuma: AU Does Not Recognize New Libyan Government. 13 September 2011 // http://www.voanews.com/english/news/africa/Zuma-AU-Does-Not-Recognize-New-Libyan-Government-129743968.html

4. Африканский союз хочет играть большую роль в разрешении ливийского кризиса. 27 апреля 2011. http://www.voanews.com/russian/news/AU-Lybia-Wrap-2011-04-27-120764794.html

الاتحاد الافريقي يسعى الى ان يلعب دورا اهم في حل الازمة الليبية. 27 نيسان/ابريل 2011.

5. О встрече министра иностранных дел России С. В. Лаврова с эмиссаром Переходного национального совета Ливии, бывшим министром иностранных дел и экс-постпредом Ливии при ООН А.Шалькамом. Сообщение для СМИ // http://www.mid.ru/brp_4.nsf/0/C9B06BD4857E47AFC325789A002C50DD

حول لقاء وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف مع مبعوث المجلس الوطني الليبي الانتقالي وزير الخارجية الليبي الاسبق عبد الرحمن شلقم. بيان للصحافة.

6. An urgent appeal on Libya by former African Heads of State and Government. May 25, 2011 // http://www.au.int/en/sites/default/files/LIBYA_LEADERS_APPEAL-1.pdf

7. The African Union High-Level ad-hoc Committee on Libya Convened Its 5th Meeting in Addis Ababa. 26 May 2011 //http://www.au.int/en/dp/ps/content/african-union-high-level-ad-hoc-committee-libya-convened-its-5th-meeting-addis-ababa

8. О решениях внеочередного саммита Афросоюза по Ливии. Сообщение для СМИ // http://www.mid.ru/bdomp/Ns-rafr.nsf/arh/C32577CA001743FDC325789D0052B078?OpenDocument

حول قرارات قمة الاتحاد الافريقي بصدد ليبيا. البيان للصحافة

9. Телефонный разговор с Президентом ЮАР Джейкобом Зумой. 28 мая 2011 г. // http://ria.ru/arab_ly/20110531/382061833.html

الاتصال التلفوني برئيس جنوب افريقيا جاكوب زوما 28 ايار/ميو 2011

10. Ливийское ТВ показало фрагменты встречи Каддафи с Президентом ЮАР. 31 мая 2011 г. // http://ria.ru/arab_ly/20110531/382061833.html

عرضت التلفزة الليبية لحظات اللقاء بين القذافي وزوما 31 ايار/مايو 2011

مواقفها تأكيدها على احترام قرارات الاتحاد الافريقي، وعلى انها تسير خلال تحديد مواقفها في الاتجاه الذي يصب في صالح الاتحاد الافريقي بصفته منظمة اقليمية فاعلة. ولا بد من التأكيد هنا على إشادة عدد من الدول الافريقية المؤثرة وفي مقدمتها جنوب افريقيا بالموقف الروسي المتوازن، وبدعم موسكو السياسي والدبلوماسي الفعال للاتحاد الافريقي في الخطوات التي يقوم بها. وقد تستغل هذه التجربة في المستقبل في تعزيز التعاون بين روسيا وافريقيا، وتلعب دورا فعالا على طريق احلال السلم والاستقرار في مناطق مضطربة اخرى من القارة الافريقية مثل القرن الافريقي، وتمكن الدول الافريقية من اعلاء صوتها على الحلبة الدولية.

---

1. О коммюнике 265-й сессии Совета мира и безопасности Африканского союза, состоявшейся в Аддис-Абебе 10 марта 2011 г. на уровне глав государств и правительств. Сообщение для СМИ // http://www.mid.ru/bdomp/Ns-rafr.nsf/arh/432569A400373407C32578500067D7AA?OpenDocument

حول بيان الدورة 265 لمجلس الامن والسلم للاتحاد الافريقي المعقودة 10 آذار\ مارس 2011 باديس ابابا على مستوى رؤساء الدول و الحكومات //

2. South African Ambassador to UN: resolution 1973 is being abused. NATO destabilizes Libya. 27 June 2011 // http://www.conelle.net/apps/blog/show/7535301-south-african-ambassador-to-un-resolution-1973-is-being-abused-nato-distabilize-libya-

3. The African Union High-Level ad hoc Committee on Libya Convenes Its Forth Meeting in Addis Ababa. Press Release. Addis Ababa. 26 April 2011 // http://www.au.int/en/sites/default/files/Press%20Release%20fourth%20meeting%20of%20the%20AU%20High%20Level%20ad%20hoc%20Committee%20on%20Libya%2026%20Apr%20eng.pdf

حظر مشاركة الحكومات الإفريقية في اعمال الاتحاد في حال استيلائها على السلطة بطرق غير دستورية\19\. وتجدر الاشارة الى ان 11 دولة افريقية صوتت اثناء الجمعية العامة للامم المتحدة في 16 ايلول ضد منح السلطات الليبية الجديدة مقعدا في الامم المتحدة، (في حين صوتت 18 دولة في صالح منحها المقعد، وخمس دول امتنعت عن التصويت). وتكللت هذه المداولات بتاريخ العشرين من نفس الشهر بإعلان اوبيانغ نغيما مباسوجو رئيس غينيا الاستوائية من على منبر الامم المتحدة في نيويورك اعتراف الاتحاد الافريقي بالمجلس الوطني الانتقالي ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الليبي.

ولم تتوقف في أعقاب هذا اعمال العنف التي كانت تعصف بليبيا، حيث جاء مقتل معمر القذافي زعيم الجماهيرية الليبية بتاريخ 20 من ايلول خلال القتال بين قوات المجلس الانتقالي والقوات الموالية له، جاء ليعزز التصريحات التي اطلقها بان كي مون الامين العام لمنظمة الامم المتحدة والتي اكد فيها ان الاوضاع في ليبيا في هذه المرحلة ليست إلا «نهاية للبداية»\20\، وأن السلطات الليبية الجديدة ستواجه في الفترة المقبلة معضلة العثور على الحل الذي يمكن له من جديد توحيد صفوف الشعب الليبي الذي فرقته الحرب الاهلية، وسيتعين عليها السعي نحو «نزع السلاح» عن المجتمع والتمهيد لإجراء انتخابات ديمقراطية في البلاد.

وأكدت الاحداث الماسأوية التي عانتها ليبيا على ان روسيا والاتحاد الافريقي متمسكان بمواقف متطابقة ازاء سبل حل النزاعات في القارة الافريقية. وتقوم مواقف روسيا والاتحاد الافريقي على مبادئ القيم الانسانية المنصوص عليها في ميثاق الامم المتحدة. وينطلق الجانبان من ادراكهما أنه لا يمكن فض النزاعات عبر الحلول المفروضة ومن خلال التدخلات العسكرية خارجية الصنع، ومن ان الأفارقة هم القادرون على حل أزماتهم من قبيل الأزمة الليبية. وجددت موسكو من خلال

نفس الوقت نص البيان على ان يشغل مقعد ليبيا في الاتحاد الافريقي ممثل عن «حكومة انتقالية تمثل الشعب الليبي\17\. ويكون الاتحاد الافريقي بذلك قد شكك بشرعية السلطات الليبية السابقة دون الاعتراف المباشر بالمجلس الانتقالي، وهذا ما لفت اليه جاكوب زوما رئيس جنوب افريقي في مؤتمر صحفي عقده في اعقاب جلسات الاتحاد ذات الشأن. واصبح من الواضح ان الاتحاد الافريقي قد فقد ادوات التدخل في حل الازمة الليبية على خلفية الواقع الجديد الذي ظهر على الساحة، إضافة الى بروز عجزه عن القيام بمهام الوساطة مستقبلا. وغدت سيطرة المجلس الانتقالي الليبي على مناطق كبيرة من الجماهيرية وعلى عاصمتها طرابلس، غدت امرا واقعا. وصار من الواضح ان عدم الاعتراف به لن يفضي الا لعرقلة عملية المصالحة الداخلية في البلاد الى جانب التخفيف من حظوظ الاتحاد الافريقي في اقامة العلاقات وإطلاق التعاون مع السلطات الليبية الجديدة، ناهيك عن امكانية تضرر سمعته كمنظمة عالمية. واستمرت رقعة الاعتراف بالمجلس الانتقالي الليبي بالاتساع حتى طالت في الاول من ايلول/سبتمر اعتراف موسكو به.

وانقضى النصف الاول من شهر ايلول في اجراء المشاورات النهائية ضمن اطار مجلس السلم والامن الافريقي ولجنة الاتحاد الافريقي فيما يتعلق بالمسألة الليبية. وراح يعرب عدد من زعماء الدول الافريقية التي لم تعترف بعد بالمجلس الانتقالي الليبي، راحوا يعربون ومن بينهم رئيس جنوب افريقيا زوما عن اسفهم حيال انه تم مجددا فرض حل خارجي على افريقيا، من خلال الضرب بمبادرتها عرض الحائط\18\.

ولا بد من الاشارة الى ان كينيا هي الاخرى كانت متمنعة عن الاعتراف بالمجلس الانتقالي الليبي حتى اعترف به الاتحاد الافريقي. ولا بد على هذا الصعيد من الاشارة الى ان الاعتراف «بالثوار» الليبيين كان يتناقض مع المادة الثلاثين من اتفاقية تأسيس الاتحاد الافريقي، والتي تنص على

ليبيا، ما يحض المجلس الانتقالي على المشاركة في المشاورات المزمعة\15\ بتاريخ 19 تموز، حيث اعلن عن هذا الموعد في البيان الصادر عن الدورة 285 التي عقدها مجلس السلم والامن الإفريقي بتاريخ 13 تموز\16\. وأعرب الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف عن تأييد بلاده لهذه المبادرة خلال اللقاء الذي جمعه بالرئيس الجنوب افريقي جاكوب زوما على هامش اعمال مجلس روسيا- الناتو التي انعقدت يوم الرابع من نفس الشهر.

ورغم كافة الاتفاقات فقد تخلف ممثلو المجلس الانتقالي الليبي عن المشاركة التي اقتصرت على ممثلي السلطات في طرابلس وممثلي لجنة الاتحاد الافريقي. وجاءت هذه التطورات على خلفية اعتراف واشنطن يوم 15 من نفس الشهر بالمجلس الوطني الانتقالي سلطة شرعية وحيدة في ليبيا، ما فسح المجال أمام بنغازي اتخاذ موقف اكثر صرامة حيال المشاورات المقبلة واستئناف طلبها بتخلي القذافي عن السلطة بوصفه شرطا مسبقا لاجراء آية اتصالات بالجماهيرية. ولا يمكن هنا استبعاد تعمد الخارجية الامريكية الاعتراف بالمجلس الانتقالي في هذه المرحلة بالذات وذلك من اجل ارغامه على الانسياق وراء عملية الناتو في ليبيا الهادفة الى القضاء التام على نظام الدولة الليبية القائم، وبغرض قطع الطريق على المفاوضات وضرب مبادرة الاتحاد الافريقي الدورية الرامية الى احلال السلم في ليبيا.

وشهدت الاوضاع في ليبيا تحولات جذرية حتى موعد انعقاد الجلسة التالية للجنة الاتحاد الافريقي والاجتماع 291 لمجلس السلم والامن في 25-26 آب/ اغسطس 2011 . وبات نظام القذافي على حافة الانهيار، الى جانب ظهور الانشقاقات في مواقف دول الاتحاد الافريقي. وكان عدد من البلدان المجاورة لليبيا وكذلك نيجيريا واثيوبيا وبعض البلدان الافريقية الغربية قد اعترفت بشرعية المجلس الانتقالي وقطعت اتصالاتها بنظام القذافي. ونظرا لذلك صدر عن الاجتماع المذكور بيان يقترح نصف الحل والذي وردت فيه حزمة من الرغبات والامنيات التي تضمنتها خارطة الطريق. وفي

واعلن المبعوث الروسي عن رغبة موسكو في «تقديم الدعم بوساطتها ...في ظل التقيد بالابتعاد عن إملاء الحلول مسبقة الاعداد»\13\. وتكون روسيا قد جددت تأكيدها على ثبات موقفها المبدئي المطالب بحل الازمة الليبية فقط عبر الحوار بين السلطات في طرابلس والمجلس الانتقالي وعلى اساس خارطة الطريق الافريقية، وتحت مظلة الدعم غير العسكري من قبل الدول المعنية، اضافة الى قناعة موسكو بأن وقف اطلاق النار بين الطرفين المتناحرين ا لا بد له من ان يوقف عملية الناتو العسكرية.

وعقدت اللجنة رفيعة المستوى للاتحاد الافريقي لبحث الاوضاع في ليبيا جلسة لها بتاريخ 26 حزيران وذلك قبيل موعد انعقاد قمة الاتحاد الافريقي السابعة عشرة. وشارك في الجلسة المذكورة رؤساء كل من جنوب افريقيا وموريتانيا ومالي والكونغو واغندا وخرجوا بتوصيات ومقترحات للتسوية الليبية سيتم التصديق عليها اثناء القمة. واتفق ممثلو الاتحاد الافريقي على عقد مشاورات فنية في اديس ابابا أواسط تموز/يوليو يشارك فيها ممثلو القذافي والمجلس الانتقالي الليبي، ومن شأن هذه امشاورات تمهيد الطريق لاطلاق مفاوضات شاملة. والملفت فيما تم الاتفاق عليه هو ان القذافي قبل عدم المشاركة في الاتصالات اللاحقة، الامر الذي يمكن اعتباره اعترافا رسميا لاستعداده اطلاق عملية تشكيل حكومة انتقالية والإعداد لانتخابات ديمقراطية.

ووافقت قمة مالابو بغينيا الاستوائية في الاول من تموز/يوليو على خطة اللجنة الافريقية رفيعة المستوى، وكلفت بتوجيه اتفاقيات إطارية الى طرفي النزاع الليبي تتضمن سبل الحل السياسي للنزاع\14\. واكد رئيس جنوب افريقيا في مؤتمر صحفي عقد في اعقاب القمة على ان السلطات في طرابلس والمجلس الوطني الليبي قد وافقت على اجراء المشاورات الاولية في العاصمة الاثيوبية. وصدر في الثالث من تموز بيان عن المجلس الانتقالي الليبي اشير فيه الى ان الاتحاد الافريقي اعترف للمرة الاولى بطموحات الشعب الليبي المنادية بالتحولات الديمقراطية وباحترام حقوق الانسان في

وأطلع زوما الرئيس الروسي يوم 31 من ايار على نتائج الزيارة التي قام بها الى طرابلس مؤخرا، كاشفا عن ان العقيد معمر القذافي قد أكد له على تمسكه بتنفيذ بنود خارطة الطريق الافريقية شرط وقف قوات الثوار وحلف الناتو اطلاق النار وقصف ليبيا، داعيا الى عقد مجلس الامن الدولي جلسة طارئة بغرض إعادة النظر بآليات تطبيق قرار مجلس الامن رقم 1973.

وذكر زوما انه تعذر عليه الوصول الى بنغازي وذلك لاستئناف قوات الناتو قصفها الجوي للبلاد، ونتيجة اغلاق الاجواء الليبية حتى امام الطائرة الخاصة لممثلي الاتحاد الافريقي الكبار. وأشار الرئيس الجنوب إفريقي في وقت لاحق عبر التلفزة الرسمية في بلاده الى ان تدخل الناتو في ليبيا يقوض وحدة الاتحاد الافريقي\[10]\، مفصحا عن أنه كان قد اضطر ليطلب من الحلف تصريحا للدخول الى الاراضي الليبية. الا ان موقف المجلس الانتقالي الليبي بقي واضحا حتى بدون التشاورات معه، وهو يتلخص في أن وقف اطلاق النار لا يمكن له ان يتم إلا بعد رحيل القذافي عن السلطة.

واشاد الرئيس الروسي رغم إخفاق الاتحاد الافريقي مرة ثانية في اجلاس طرفي النزاع الليبي الى مائدة المفاوضات، اشاد بمساعي الاتحاد الافريقي وبالجهود التي يبذلها زوما على هذا المسار من اجل التوصل العاجل لوقف إطلاق النار وحقن الدماء الليبية، ومن اجل فسح المجال أمام الليبيين لتقرير مصير بلادهم بأنفسهم\[11]\.

وهدفت المساعي الدبلوماسية الروسية والتي اندرجت ضمنها الزيارتان اللتان قام بهما المبعوث الروسي الى شمال افريقيا ميخائيل مارغيليوف الى كل من بنغازي وطرابلس في أواسط حزيران/يونيو، هدفت هي الاخرى الى بحث امكانية تحقيق الاتفاق بين طرفي النزاع في ليبيا «وبشكل متزامن مع الدور الاساسي الذي يلعبه الاتحاد الافريقي»\[12]\.

الاسلحة والذخائر منها ما له أن يوسع من نشاطات القاعدة في منطقة المغرب العربي، وفي مالي والنيجر.

وشدد البيان الختامي للقمة الافريقية غير العادية على النقاط الاساسية اللازم تطبيقها للخروج من المأزق الليبي والمتمثلة بما حدده مجلس السلم والامن للاتحاد الافريقي، وبما حددته اللجنة الخاصة رفيعة المستوى التي شكلت ضمن اطار الاتحاد لتعنى بإيجاد سبل الحل في ليبيا. واشير في البيان الى ضرورة اتخاذ الاجراءات العاجلة اللازمة لوقف اطلاق النار تحت الرقابة الدولية. وتقيد كافة الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة التام بروح ومضمون قراري مجلس الامن الدولي رقم 1970، و1973. وكلفت لجنة الاتحاد الافريقي بالتوجه من جديد الى طرابلس وبنغازي بهدف التمهيد للتسوية السياسية للازمة هناك على اساس خارطة الطريق الافريقية[17]. وفي هذا السياق أعلن في البيان الصادر عن الخارجية الروسية في تعليق على النتائج التي خلصت اليها القمة الافريقية غير العادية ان موسكو «قد أكدت مرارا على ضرورة تعزيز دور الوساطة الذي يلعبه الاتحاد الافريقي»، ومن هنا فإن روسيا «تؤيد القرارات التي خرجت بها قمة اديس ابابا، والتي «تتماشى بشكل تام مع وجهة النظر الروسية حيال حل الازمة الليبية»[18].

وأعربت موسكو خلال الاتصالات الهاتفية التي اجريت بين الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف ونظيره الجنوب افريقي جاكوب زوما عن أهمية التعاون الذي تبديه موسكو والاتحاد الافريقي على صعيد حل الازمة الليبية. واعلن الرئيس الجنوب افريقي خلال حديث هاتفي مع نظيره الروسي بتاريخ 28 ايار عن دعم الاتحاد الافريقي للمساعي السلمية التي يزمع القيام بها ميخائيل مارغيلوف الممثل الخاص للرئيس الروسي في افريقيا. واعرب زوما عن استعداد لجنة الاتحاد تقديم كافة الدعم للمبادرة الروسية بغرض انجاحها[19].

الحرب الاهلية في ليبيا تتمثل في الوقف العاجل لكافة اشكال العنف الذي لا يجلب إلا سقوط الضحايا بين المدنيين ويتسبب بتأجيج الأوضاع الانسانية في الجماهيرية. وانطلاقا من ذلك أعربت موسكو عن تمسكها بالاستمرار في تطبيق الخطوات التي تقوم بها الامم المتحدة والاتحاد الافريقي من اجل فض النزاع في ليبيا بالطرق الدبلوماسية السياسية.\[5]\ وشهدت فترة اواخر شهر ايار تناميا في الجهود التي يبذلها الاتحاد الافريقي بغرض إقناع طرفي النزاع بالجلوس الى مائدة المفاوضات. وعقد الاتحاد جلسة قمة غير عادية له يومي 25، و26 ايار كرسها بشكل كامل لبحث الأوضاع في ليبيا. وتم في اليوم الاول اطلاع المشاركين بمن فيهم ممثلو السلطات الليبية والمجلس الانتقالي على فحوى دعوات «الندوة الافريقية» التي تضم عددا كبيرا من الزعماء الافارقة السابقين وغيرهم من الشخصيات الرسمية المعروفة في القارة، للخروج من الازمة الليبية، والتي اشارت الى ان «التدخل العسكري... تحت راية حلف الناتو حال دون اقترابنا من الوصول الى حل للنزاع». «فلقد أدى الى تعقيد سبل الوصول الى نتيجة مقبولة في الاجلين القصير والطويل». واشارت «الندوة» ايضا الى ان الاستمرار في اعمال العنف في ليبيا سيجعل مسألة «إعادة إعمارها والوصول بها الى دولة موحدة الاطراف يعمها الامن والديمقراطية، سيجعل هذه المسألة اكثر تعقيدا»، ناهيك عن ان تدفق المهاجرين والاسلحة يمكن له أن يتسبب في زعزعة الاوضاع على امتداد منطقة الصحارى\[6]\. يسعنا هنا التنويه بأن هذه التحذيرات جاءت في الحين المناسب. ولم ينجم عن انحسار شراسة الاقتتال في ليبيا الاستقرار المنشود، إذ انه من المرجح ان تطال ألسنة لهب النزاع هناك الدول المجاورة وذلك في المستقبل المنظور. ولا بد هنا من الإشارة الى تنظيم القاعدة الذي لن يضيع فرصته الثمينة في غياب السلطة عن ليبيا وذلك للحصول على

السلطات في طرابلس والمجلس الانتقالي مقترحاتهما في غضون شهر واحد، في حين بدت مواقف الجانبين متناقضة فيما بينها الى درجة كان من المستحيل على الاتحاد الافريقي التوفيق بينها.

وتمكن عدد من الشخصيات السياسية الافريقية التي تحدثت خلال اعمال الدورة 275 لمجلس الامن والسلم الافريقي من الاستيعاب الناقد لدورالاتحاد الافريقي في حل مشاكل القارة عامة والمشاكل التي تعانيها ليبيا خاصة. وفي هذا السياق اشارة وزيرة الخارجية الرواندي في كلمة ألقتها الى ان «الاحداث في ليبيا اظهرت ضرورة التزام الاتحاد الافريقي بالتصرف العاجل كي يكون في مقدمة الاطراف الفاعلة خلال التعاطي مع الازمات في القارة الافريقية وحين تبرز مخاطر بقاء الاتحاد خارج نطاق الجهود الممارسة لفض النزاعات». أما مفوض الاتحاد الافريقي لشؤون السلم والامن رمتاني لامامرا فقد لفت اهتمام المشاركين في الجلسة الى انه تم اختطاف العملية السلمية في ليبيا من قبل القوى الخارجية غير الافريقية التي أزاحت خارطة الطريق القاضية بالوقف العاجل لإطلاق النار. وقال بهذا الصدد: «لقد أثرت البرامج الاخرى فيما يتعلق بتسوية الازمة الليبية، اثرت على امكانية تطبيق خارطة الطريق الافريقية، الى جانب المحاولات التي أجريت بغرض تهميش الحل الافريقي للازمة». وشدد على أن «الازمة الليبية مشكلة افريقية تتطلب الحل الافريقي لها، ولذلك نرى انه يتعين على شركائنا تسخير الجهود بغرض فهم الحل الافريقي، ومساعدتنا على تطبيق هذا الحل على ارض الواقع»[14].

وجرى التأكيد خلال المباحثات التي عقدها وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف مع ممثلين عن طرابلس في 17 ايار/مايو، ومع ممثلين عن بنغازي في 23 منه، جرى التأكيد على ان موسكو تخص الاتحاد الافريقي والامم المتحدة على حد سواء بلعب الدور الاساسي في حل الازمة الليبية. وأكدت روسيا على ان الضرورة الاساسية التي برزت عقب ثلاثة اشهر من اندلاع

الى بنغازي، تبين تصميم طرفي النزاع على عدم البدء بالمفاوضات دون فرض الشروط وتقديم المطالب المسبقة.

واعرب القذافي شفهيا عن قبوله ببنود خارطة الطريق التي أعدها الاتحاد الافريقي ، بيد انه طالب «الثوار» الليبيين بإلقاء السلاح قبل الشروع بالتفاوض معهم وذلك على ضوء قناعته التامة بعدم الجدوى من الضربات الجوية التي توجهها قوات الناتو الى بلاده. ومن الجانب الآخر وجد المجلس الوطني الانتقالي الليبي الذي اتخذ من بنغازي مقرا له، وجد في القنابل والقصف الجوي لليبيا دعما فعالا له من الدول الغربية لتمكينه من الانتصار ، ناهيك عن اعلان فرنسا (10) آذار وايطاليا (4 ابريل) عن اعترافهما به فرفض قبول وقف اطلاق النار ما لم تتم الاطاحة التامة بالعقيد القذافي ونظام حكمه. والملفت في هذه التطورات كان انعقاد جلسة الفريق المحتال للاتصال حول ليبيا في الدوحة وامتناع هذا الفريق عن بحث خريطة الطريق الافريقية رغم مشاركة ممثلي الاتحاد لافريقي في أعمال الجلسة.

غير ان فشل جهود بعثة الوساطة لم يفض الى انحسار نشاط الاتحاد الافريقي على هذا المسار، بل وحضه على تكثيف جهود البحث عن ايجاد أرضية يمكن عليها اطلاق الحوار بين الطرفين المتناحرين. وفي هذا السياق أجرت لجنة رفيعة المستوى يومي 25، و26 من نيسان/أبريل مشاورات متزامنة مع سلطات الجماهيرية وممثلي المجلس الانتقالي. وخلصت هذه المشاورات الى اعلان المجلس الانتقالي الليبي عن شكره للجنة واستعداده «لدراسة خارطة الطريق بتفاصيل اكثر»[13]، في حين شددت طرابلس على تمسكها بمواقفها المعلنة. واقترحت لجنة رفيعة المستوى انطلاقا من قرارات الدورة 275 لمجلس السلم والأمن للاتحاد الافريقي والمنعقدة بتاريخ 26 من نيسان، اقترحت على طرفي النزاع وضع المقترحات والرؤى حول اماكنيات تطبيق النقاط التي نصت عليها خارطة الطريق الافريقية لفض النزاع الليبي وإرسالها الى الاتحاد. وقدمت

دبلوماسي للأزمة الليبية. وأكدت موسكو في بيانها على ضرورة «الأخذ التام بما نصت عليه خارطة الطريق الافريقية خلال القيام بالخطوات اللاحقة على مسار الخروج من المأزق الليبي، وخلال التطبيق السلمي والديمقراطي للمطالب الشرعية التي ينادي بها الشعب الليبي»[11].

وفي هذه الاثناء كان عدد من الدول الغربية (باستثناء ألمانيا على سبيل المثال) يؤيد المساعي الافريقية من خلال التصريحات العلنية، في الوقت الذي تسببت فيه ممارسات هذه الدول على ارض الواقع بإجهاض وساطة الاتحاد الافريقي التي كان من المقرر بدء العمل بها في العشرين من آذار(نتيجة تأجيل موعد بدءه لعشرين يوما).

وتم بذريعة «حماية الشعب الليبي» تمرير قرار مجلس الامن الدولي رقم 1973 في (السابع عشر من آذار)، والذي فرض حظر جوي على ليبيا. وصوتت الدول الافريقية التي كانت تحظى بالعضوية المؤقتة في مجلس الامن الدولي (جنوب افريقيا، نيجر، غابون) ، صوتت في صالح القرار دون ان تكشف عن الفخ الذي نصب من خلاله، بيد ان هذه الدول عادت وبشكل عاجل لتعرب عن خيبة املها[12]. وراحت الولايات المتحدة منذ الايام الاولى تستغل القرار، وحذت حذوها الدول المشاركة في التحالف الاطلسي، وأخذت واشنطن وهذه الدول على عاتقها «تنفيذ» القرار 1973 جاعلة منه توفيضا مطلقا لتوجيه الضربات العسكرية لليبيا مستهدفة المواقع العسكرية والمدنية فيها ساعية وعلى وجه التحديد الى تصفية نظام القذافي.

وتسببت العمليات العسكرية بإضاعة الفرصة على جهود الوساطة لحل الازمة الليبية ما ادى في نهاية المطاف الى تقليص رقعة الحلول التي كان من الممكن التوصل اليها بمعزل عن الحل العسكري. وعندما وصلت بعثة الاتحاد الافريقي برئاسة رئيس جنوب إفريقيا جاكوب زوما طرابلس يوم العاشر من نيسان/ابريل، وتوجهت، في غياب زوما، في اليوم التالي

ولا بد في هذا السياق من الاشارة الى خارطة الطريق التي وضعها الاتحاد الافريقي للخروج من الازمة الليبية، والتي خلصت اليها اللجنة الخاصة للاتحاد التي ضمت رؤساء كل من الكونغو وموريتانيا ومالي واوغندا وجنوب افريقيا وترأسها بينغ، حيث كان لهذه الخارطة ان تشكل ارضية للحوار من أجل فض النزاع بين الاطراف الليبية المتناحرة بمعزل عن العنف والمجابهات. ولا بد على هذا الصعيد من التأكيد على ان المبدأ الذي تمسكت به الدول الافريقية والقاضي بحل الازمة الليبية ضمن الاطار الافريقي كان قابلا للتحقيق وقادرا على ايجاد مخرج من المأزق الليبي.

وتجدر الاشارة الى ان خارطة الطريق المذكورة كانت تحوي في طياتها البنود التالية: الوقف العاجل لإطلاق النار من الجانبين، وضمان السلطات الليبية وصول المساعدات الانسانية لمن بحاجة اليها، وحماية الاجانب في ليبيا ومن ضمنهم المهاجرين الافارقة، بدء المفاوضات في اديس أبابا أو في اية مدينة اخرى يتفق عليها ممثلون عن القذافي وعن المجلس الوطني الانتقالي الليبي وذلك لتشكيل حكومة انتقالية والبدء بإجراء الاصلاحات السياسية المنشودة. وجرى التأكيد في خارطة الطريق على ان يدأب مجلس الأمن والسلم المنبثق للاتحاد الافريقي على ضمان وحدة الاراضي الليبية وسيادتها. ومن بين الخطوات العملية التي قرر الاتحاد الافريقي القيام بها على طريق ايجاد مخرج من الازمة الليبية كانت زيارة وفد اللجنة الخاصة للاتحاد الافريقي الى كل من طرابلس وبنغازي في العشرين من آذار/مارس وذلك لإجراء المشاورات على أرضية بنود خارطة الطريق الافريقية.

وأكدت روسيا على دعمها التام لمساعي الاتحاد الافريقي الرامية الى فض النزاع في ليبيا. واشير في البيان الصادر عن الخارجية الروسية بتاريخ 10 من آذار في اعقاب الدورة 265 لأعمال مجلس الامن والسلم المنبثق عن الاتحاد الافريقي، اشير الى أن الموقف الموحد للدول الافريقية يشكل إسهاما كبيرا في الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي لإيجاد حل سياسي

ألكسي بوغوسلوفسكي

خبير في الشؤون التاريخية والسياسية للدول الإفريقية

alexey.kenya@yahoo.com

الاتحاد الافريقي والأزمة الليبية: من أصغى الى صوت إفريقيا؟

تمكنت قوات المجلس الوطني الانتقالي الليبي حتى مطلع أيلول/سبتمبر 2011 وبدعم شامل من قوات الناتو، تمكنت من بسط سيطرتها على معظم مناطق ليبيا بما في ذلك العاصمة طرابلس. فطاح نظام القذافي إلا ان ليبيا اصبحت عقب ذلك في بداية طريق طويل نحو إعادة تأهيل بنيتها التحتية ومقدراتها التي دمرتها الحرب، والأهم من ذلك التوصل الى تحقيق المصالحة التامة وبعث اللحمة الوطنية فيها من جديد.

وعلى ما يبدو فإن تحقيق هذه الاهداف سيواجه العقبات والعراقيل، وذلك لأن الازمة الليبية حلت بالقوة العسكرية المفروضة من الخارج ومن خلال خرق صارخ لما نص عليه قرار مجلس الامن الدولي رقم 1973 ، ما أفضى الى وقوع الخسائر البشرية وسقوط ضحايا العنف الى جانب تأليب مشاعر سكان غربي ليبيا وشرقها وبعث الفرق بينهم، ناهيك عن تدمير المواقع المدنية وانتشار الاسلحة الواسع دون ضابط ورقيب.

ولا يمكن لمحاولات بعض الساسة الغربيين إقناعنا بأن عدد الضحايا كان أكبر لولا التدخل العسكري، لا يمكن لهذه المحاولات أن تخفي عن أنظارنا حقيقة أن عددا كبيرا من الدول والمنظمات الدولية شددت ومنذ اندلاع الاحداث في ليبيا على اهمية وقف العنف وإراقة الدماء هناك والبحث عن مخرج سياسي من الأزمة.

1. Зеленев Е.И. Ближневосточная смута как форма выражения коллективного недовольства. //journal.spbu.ru/?p=205

يفغيني زيلينيف. الفتنة في الشرق الاوسط كتعبير عن الرفض الجماعي

2. Why did he go // *Economist*. September 24, 2011, p. 55.

3. *Newsweek*. August 1, 2011, p. 37.

4. Подцероб А.Б. Ливийская трагедия: причины и последствия // http://www.iimes.ru/rus/frame_stat.html 30 сентября 2011 30.09.2011/

5. *Newsweek*. September 19, 2011, p. 10.

الكسي بودتسيروب. المأسات الليبية: اسباب وآثار

6. *Le Monde*. 2011. 27 Aout. P. 4.

7. Стариков Н. Хаос и революции – оружие доллара. СПб.: Питер, 2011. С.

نيقولاي ستاريكوف. الفوضى والثورات اسلحة للدولار. سنكت بطرسبورغ، 2011.

الكلمات الرئيسية: «الربيع العربي»، تونس، مصر، سورية، ليبيا، الأردن.

وجهة سير الاحداث في المنطقة في المرحلتين القريبة والبعيدة ستعتمد بشكل كبير على الطريقة، التي سيتم من خلالها حل المشاكل الداخلية المتراكمة في سورية «قلب الامة العربية النابض».

ومن المهم على هذا الصعيد الاشارة الى ان سورية تعاني من عدد من المشاكل، التي تعانيها الدول العربية الاخرى، والتي اشرنا اليها في هذه المقالة. ولكن الامر الأهم هي السبل، التي ستتم من خلالها حل هذه المشاكل في سورية، وأنه وهل سيتم الحل عبر التدخل العسكري الخارجي، او عن طريق «القصف الانساني» والتحريض الخارجي وشن الحروب الاعلامية وتقديم الدعم لأكثر القوى تشددا في المعارضة كما كانت الحال في ليبيا، أو ان الحل في سورية سيكون عن طريق الحوار الوطني بمعزل عن التدخل الخارجي وفي ظل دعم دول الجوار العربية والاجنبية لسورية بغرض ايجاد مخرج سياسي من ازمتها؟ وعلى ما يبدو فإن الاجابات عن هذه التساؤلات ستظهر بشكل تلقائي عندما ستخرج سورية من ازمتها.

ومن خلال ما تقدم يمكننا افراد النتائج الاولية للربيع العربي. وهنا نرى ان ايديولوجيتين عالميتين اثنتين قد تلاقت مصالحهما في المعركة الدائرة حول السيطرة على مستقبل المنطقة، اي على مقدراتها. وهاتان الايديولوجيتان هما ايديولوجيا حقوق الانسان وايديولوجيا الاسلام. وهنا تدور احداث دراما تقليدية في التاريخ، حيث تتم فتنة الجماهير، ويجرى باسمها تحقيق الغايات، التي تنشدها قوتان مختلفتان: خارجية هي الغرب، وداخلية هي الحركات الاسلامية المختلفة. والواقع الغالب في المرحلة الراهنة يتمثل في انتصار الاسلام في المعركة بغض النظر عن الرداء، الذي يرتديه إن كان متشددا أم معتدلا. والحاصل هو ان الغرب يقوم عن عمد أو عن غير قصد بشق الطريق امام الاسلاميين لايصالهم الى السلطة بقوة السيف. والسؤال، الذي يطرح نفسه هو: ما غاية المعسكر الغربي من ذلك؟

الذي تراكم لدى بلاده لضرب الدولار الامريكي واخراجه من المنطقة الافريقية ناهيك عن تمسكه المستمر بالعدائية للإمبريالية الغربية. وبمعنى آخر كل هذه الممارسات الاستعمارية الصدرة عن «الامبريالية الديمقراطية» الامريكية الجديدة لا بد لها من ان تهيمن بشكل كلي وصرف على كافة اصقاع العالم.

وأخيرا التوقع الخامس، الذي يحاول الكشف عن مجريات انطلاقة الربيع العربي تشير الى انه يتم استغلال الاحداث في المنطقة العربية من اجل تطهير المنطقة من التأثير الروسي والصيني، إذ يوجد عدد كبير من المحللين والمراقبين داخل روسيا وخارجها يؤكدون على أن روسيا باتت تتحول من لاعب دولي الى لاعب اقليمي، وأنه لم يعد لها دور فاعل في منطقة الشرق الاوسط. والمؤسف في وجود هذه الشريحة من المراقبين هو انضمام فيودور لوكيانوف رئيس تحرير مجلة «روسيا في السياسة العالمية» اليها وأصبح يتعين عليه عقب تصوراته هذه على ما يبدو تغيير تسمية مجلته الى ان تصبح «روسيا في السياسة الاقليمية»، عوضا عن «روسيا في السياسة العالمية».

وعموما فإن ايا من التوقعات والتكهنات آنفة الذكر حول اسباب اندلاع الاضطرابات والتغيير في المنطقة العربية، ايا منها لا يمتلك كافة المقومات والادلة، التي تدعو الى الارتكاز عليها في التفسير، ناهيك عن وجود التناقضات في هذه التكهنات مع النظريات، التي يضعها الخبراء والمحللون السياسيون العاملون في الظل. وفي نفس الوقت لا يمكن بشكل قاطع نفي صحة التوقعات والاشارة الى ان الادلة والعوامل، التي كشفت عنها التكهنات والتوقعات لم تكن وراء الربيع العربي، حيث ان هذه العوامل اثرت بشكل او بآخر على سير التطورات العربية واسهمت في خلق واقع جديد في المنطقة.

ولا بد للحظة الحقيقة، التي ستكشف عن الكثير من الوقائع، لا بد لها من ان تتجسد في تسوية الازمة السياسية الداخلية في سورية. وان

من صنع الولايات المتحدة، التي تحاول من خلال ذلك حماية الدولار من الانهيار. وكتب ستاريكوف بهذا الصدد: «برزت الحاجة اليوم الى مجنون يكون قادرا على اشعال حرب عالمية بهدف انقاذ الدولار. ولكن لا يوجد اليوم مثل هؤلاء القادة، ما يدعو الى اختلاق «هتلر جماعي»، ومن اجل ذلك لا بد من تغيير البنية العامة للسياسة الدولية، ولا بد من خلق منظومة عالمية جديدة. برزت الحاجة الى تفجير العالم واعادة رسم الحدود وايصال المتطرفين والراديكاليين الى السلطة في دول العالم ليشرع هؤلاء بإشعال الحروب بين بلدانهم والدول الاخرى تحت شعارات التحرير واقرار العدالة خادمين بذلك مصالح أقطاب اخرى في العالم. والمكان الذي اختاره الانجلوساكسونيون لتطبيق خططهم كانت البلدان العربية المكتظة بسكانها، إذ من المقرر وفقا للسيناريو أن «تصل القوى الراديكالية الاسلامية الى السلطة في هذه الدول، التي سيقودونها الى الحروب»[17].

ولا بد هنا من الاشارة الى ان تكهنات الكاتب الروسي ستاريكوف بحاجة الى اثباتها قياسا بالتكهنات الأخرى، التي أوردها في كتابه، الذي ندعوا الى الاطلاع عليه لما فيه من وقائع تثير الاهتمام واثباتات تؤكد تورط الولايات المتحدة «بالثورات الشعبية»، التي تشهدها المنطقة.

ويؤكد عدد آخر من الخبراء ذوي الاطلاع التاريخي الاوسع على الرابط الوثيق بين الولايات المتحدة والغرب عموما من جهة والثوار الليبيين والسوريين من جهة اخرى مشيرا الى ان ذلك امر طبيعي لم يشكل مفاجأة للمراقبين، إذ ان التفكير الامبريالي التقليدي المتمثل في إرغام «المستعمرات» على الطاعة، خاصة وان هذه الدول خضعت فعلا للاستعمار في مراحل سابقة، يتمثل في إرغامها على الطاعة ومعاقبة المذنبين في هذه الدول كما عوقب على سبيل المثال القذافي، الذي كان يسعى على الدوام الى تعكير صفو الدول الامبريالية بدءا من حادثة لوكربي وصولا الى اعلانه عن امكانية اصدار عملة افريقية موحدة مستغلا الفائض المالي الكبير،

انقرة الى جانب تجدد الهجمات، التي تنفذها حركة «حماس» مستهدفة اسرائيل، مؤكدة على ان الاخطار الارهابية، التي تهدد العواصم والمدن الاوربية قد ستزداد على ضوء هذه المتغيرات، ناهيك عن امكانية حدوث نتائج مغايرة كليا لتلك التي تهدف الى تحقيقها «الفوضى الموجهة».

أما التكهن الثالث، الذي يحاول المراقبون من خلاله تفسير دعم الغرب للاسلاميين في المنطقة وفي ليبيا على وجه التحديد نابع من الرغبة الغربية في استغلال اصول القذافي في ظل الفوضى، اضافة الى استغلال اموال الزعماء العرب الآخرين، الذين اطيح بهم او جمدت اموالهم في البنوك الغربية. وذلك من اجل التخفيف من وطأة أزمة الديون السيادية الاوربية، والتي باتت تتحول وبالتدريج الى ازمة شاملة «للكازينو الرأسمالي». وهذا ما تحدث عنه فلاديمير ياكونين المندوب الروسي المشارك في كلمة القاها في مستهل منتدى «حوار الحضارات»، الذي استضافته اليونان في تشرين الاول من العام الماضي. ونقلت صحيفة *Le Monde* الفرنسية عن فرحات عمر بن قدارة المحافظ السابق للمصرف المركزي الليبي قوله إن الاموال الليبية المدخرة في البنوك الاجنبية تقدر بحوالي 168 مليار دولار. وأفادت الصحيفة بأن الاصول الليبية هذه قد أنفقت بشكل فاحش من قبل ثلاثة بنوك غربية هي *Goldman Sachs, HSBC, Societe Generale*\6\.وبمعنى آخر فإن المدمن المالي الغربي كان بحاجة ماسة الى المال، وأن هذا المدمن عقب حصوله على المال وانفاقه صار بحاجة الى إخفاء آثار الجريمة، التي ارتكبها من خلال مشاركته في قتل صاحب المال العقيد القذافي، الذي تحول وبشكل مفاجئ من صديق للغرب أودع الاموال لديه، تحول الى «مستبد»، و«دكتاتور»، و«طاغية».

ويوجد التوقع الرابع حول «المنطلق المالي للسياسة الغربية حيال الربيع العربي»، الذي تحدث عنه المؤلف الروسي نيقولاي ستاريكوف في كتابه «الفوضى والثورات - اسلحة للدولار» حينما أكد على ان كافة الثورات والانقلابات في الشرق الاوسط وفي مناطق اخرى في العالم ليست الا

ويتحدث الخبراء السياسيون المؤمنون بالتقاء المصالح الغربية والاسلاميين، يتحدثون عن ان الغرب دأب منذ الثلاثينيات من القرن الماضي على تغذية القوى الاسلامية المتطرفة وان الوقت قد حان الآن لاستغلال هذا الجيش في الحياة العملية لتطبيق المآرب الغربية في المنطقة العربية.

ويرى هؤلاء الخبراء انه من أجل الردع للإسلاميين المتشددين في المنطقة للحيلولة دون اتخاذ هذه القوى المنحى الاكثر تطرفا في نهجها، يحاول الولايات المتحدة تكليف انقرة خلق محور يربطها بالعربية السعودية وقطر يعمل في المنطقة بإيعاز من الغرب عقب انسحاب القوات الامريكية من العراق وفي اعقاب انحسار شدة القبضة الامريكية على الشرق الاوسط متحكما بمصير الشرق الاوسط بموجب «توكيل امريكي»، خاصة وان انقرة تقترح نموذجا «علمانيا» مزيفا للإسلام جاذبا كما تبدو للكثيرين. (وهنا لا بد من الاشارة الى ان مجلة «نيوزويك» قد شككت في مثل هذه التوقعات مستشهدة بما نشرته وكالة «ويكيليكس» عن ان السفير الاسرائيلي في انقرة غابي ليفي وصف رجب طيب اردوغان بأنه «اسلامي اصولي، وأنه يكرهنا كره العمى من منطلق ديني وحقده هذا يتنامى بشكل مستمر»[15]). والاصلاحات الجارية في السعودية، والتي تهدف الى الاقتراب بالبلاد الى الواقع المعاصر ستسهم ايضا في إخماد نار الاسلاميين المتشددين وكبح جماحهم.

وتبدو هذه التنبؤات والتحليلات موضوعية عموما، بيد ان جهات عدة بينها الدولة العبرية ترى في ان نتائج مثل هذه التحولات ووصول الاسلاميين الى السلطة في دول المنطقة ستكون له عواقب مغايرة تماما لما كانت تتصوره برلين، ولندن، وباريس، وهذا ما تصيح به المقالات والأعمدة الصحفية المنشورة في الصحافة الاسرائيلية. وفي هذا السياق كتبت صحيفة *International Herald Tribune* في عددها الصادر ليومي 27-28 من آب/أغسطس 2011 بمقالة تحت عنوان «اسرائيل تقاوم الواقع الجديد» مشيرة الى تدهور العلاقات بين تل ابيب والقاهرة، واستياء العلاقات مع

المسؤولية عن كاهلها حيال غياب النتائج للمهام، التي رسمتها منذ عشر سنوات على خلفية اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر عليها وما اعقبها من سعي الى نشر الديمقراطية في الشرق الاوسط الكبير وبث القيم الجديدة والتوجهات، أي ما يمكن واشنطن من القفز من قطعة جليدية متصدعة في مياه المحيط الى قطعة جليدية اخرى يصعب التكهن بوجهة إبحارها.

أما التكهن الثاني فإنه يشير الى ان الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة يرمي الى اعادة برمجة المنطقة من خلال استخدام الحراك الشعبي من أجل تفكيك الدول الكبرى في الشرق الاوسط الى دويلات صغيرة يسهل التحكم بها وتسيرها، او الى تغيير الانظمة، التي اثقلت كاهل الغرب، والتي لم تعد مستقرة، تغيرها واستبدالها ولو حتى بأنظمة لا تكون ذاك القدر من الوفاء والاخلاص للغرب، لكنها مستقرة وستدأب على رد الجميل للدول الغربية على وقوفها الى جانبها ومساعدتها على الوصول الى السلطة ولو حتى كانت هذه الانظمة تحمل صبغة إسلامية معمقة كما هي الحال على سبيل المثال في تونس وليبيا. وما يعزز واقعية هذا التكهن هو ان راشد الغنوشي زعيم حزب النهضة الاسلامي بتونس كان قد عاش في بريطانيا لبضع سنوات متواصلة قبل عودته الى بلاده وخوضه الانتخابات التشريعية فيها، في الوقت، الذي احتضنت فيه بريطانيا عددا كبيرا من الشخصيات الاسلامية المتطرفة او المعتدلة من الظاهر رغم التأكيدات البريطانية المستمرة على محاربتها للإرهاب والتطرف وملاحقتهما.

وجاءت العمليات العسكرية التي نفذها التحالف الغربي في ليبيا لتعزز هذه الكهنات إذ ان الغرب اكتفى بالاعراب عن قلقه ازاء الاعلان في ليبيا عقب سقوط نظام القذافي عن أن السلطات الجديدة ستتخذ من الشريعة والتعاليم الاسلامية موردا لها في سن التشريعات ووضع القوانين، التي ستنظم سير العيش في ليبيا ما بعد القذافي.

في المنطقة العربية وما اعقب ذلك من امتداد هذه الاحتجاجات لتطال فيما بعد كلا من اليونان، وبريطانيا، والولايات المتحدة بعينها.

ولا بد هنا من الاشارة ايضا الى الدور الملحوظ، الذي لعبته منشورات «ويكيليكس» وما بثته قناة «الجزيرة»، حيث ان «ويكيليكس» فضحت الجوانب الغامضة من طريقة عيش كبار المسؤولين في الشرق الاوسط في حين سلطت «الجزيرة» الضوء على الحركات الاحتجاجية وراحت تروج لأكثر السبل تشددا في حل المشاكل في الدول العربية والمتمثلة بالاطاحة بالانظمة الحاكمة والتخلص من «ظلم الحكام». وبمعنى آخر يمكن القول هنا ان هذه الموارد المعلوماتية لم تكن السبب الرئيس من وراء الاضطرابات، بل كانت من بين العوامل التحريضية من خلال توجيه هذه الاحتجاجات وصبها على نقطة واحدة لتفعيل اثرها.

أما الغرب فقد اظهرت التطورات انه حاول تسخير الاحداث في الدول العربية إن لم يكن اصلا قد اثارها، حاول تسخيرها لتحقيق مآربه في الوقت، الذي كانت فيه اهداف وطموحات الغرب مغايرة تماما لما تطالب به الحشود المحتجة على واقعها في العالم العربي من خلال الثورة على الواقع المرير وعلى غياب الحقوق والحريات واحترام الانسان وكرامته. وعلى ما يبدو اراد الغرب من خلال رفعه راية الديمقراطية والدفاع عن حقوق الانسان تحقيق غايات جيوسياسية وعسكرية ومكاسب اقتصادية. ورغم ذلك فإن الغرب كان يحاول تطبيق غاياته هذه بطرق متناقضة ما ولد لدى المراقبين كما هائلا من التكهنات والتوقعات، سنفرد في هذه المقالة بعضا منها.

التكهن الاول، والذي يبدو للوهلة الاولى الابسط تمثل في أن المكاسب ستعود على الغرب وفي الدرجة الاولى على واشنطن، التي تسعى الى تمويه الفشل الاستراتيجي لسياساتها في المنطقة طوال العقد الاخير، والتي تجسدت في فشلها الذريع في كل من افغانستان والعراق. ويرى الخبراء ان الاضطرابات في منطقة الشرق الاوسط ستساعد واشنطن على القاء

وكانت الدول الأنجلوساكسونية الداعي الاول لهذه الأنظمة لإجراء الاصلاحات وفقا لوصفات صندوق النقد الدولي ما كان له ان يساعد فعليا على تطبيق الاصلاحات. إلا ان النمو الذي حققه إجمالي الناتج المحلي في كل من هذه البلدان لم يؤد الى توزيع عادل للثروات والانتاج، بل ركز الثروات في ايدي النخب الحاكمة الفاسدة، وادى الى تسرب الاموال الى خارج الحدود. وما زاد الطين بلة كانت موجة الجفاف، التي اجتاحت العالم سنة 2010 والتي أدت الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية في العالم وفي هذه الدول، التي كان المواطن فيها يعاني اصلا من الفاقة وصعوبة العيش ما أوصل الشعوب الى نقطة الغليان، التي لا عودة عنها. وكما اشار احمد لقمان الامين العام لمنظمة العمل العربية في كلمة القاها خلال أعمال الدورة التاسعة للمنتدى الاجتماعي الدولي، الذي استضافته اليونان تحت عنوان «حوار الحضارات» في الفترة ما بين 6 حتى 10 تشرين الأول /أوكتوبر 2011، اشار الى ان التقارير الصادرة عن صندوق النقد الدولي قد زينت الواقع بشكل مبالغ فيه دون ان تعكس الواقع الحقيقي للاوضاع. ولفت في هذا السياق الى ان تقرير الصندوق للخامس عشر من شباط /فبراير لعام 2011 الصادر قبل عشرة ايام من اندلاع الاحداث في مصر تحدث عن ان كافة مؤشرات الاقتصاد المصري ايجابية، وان الجمهورية تسير بشكل حثيث وناجح في تطبيق الاصلاحات الاقتصادية، في الوقت الذي صدرت فيه تقارير اخرى عن البنك الدولي أوردت معلومات مناقضة لذلك تماما ومخيفة لم يصغ احد لها أو يلها اي اعتبار.

ورغم الظاهر العام الذي يشير الى ان العامل الخارجي المحرك لانطلاق الاحتجاجات فمن المتعذر الجزم بوجود هذا العامل أو نفيه. ولكن الامر الواضح فعلا هو ان انتشار التكنولوجيات المعلوماتية والولوج الكبير لشبكة النت والاتصالات الخلوية اسهم في تنامي الحركات الاحتجاجية

سلطوية العقيد معمر القذافي وتفرده بالحكم. وصارت طبقة الشباب الليبي ترفض ان تكون رعية للحاكم، وراحت تطالب بالمواطنة الحقيقية والكاملة من خلال المشاركة في تقرير مصير البلاد والمجتمع عوضا عن انتظار تطبيق القرارات، التي يتخذها زعيم الجماهيرية، إضافة الى نمو المشاعر المطالبة بالديمقراطية وبسلطة الطبقة الوسطى في المجتمع الليبي[14].

أما في مصر واليمن وسورية وعدد من البلدان الأخرى فيمكننا العثور على العوامل آنفة الذكر، ولكن بتركيبات مختلفة. حيث ان هذه الدول كانت تبدو فيها وبشكل واضح مساعي الحكام الدكتاتوريين لتحويل جمهورياتهم الى ممالك من خلال توريث السلطة فيها، الى جانب امتناع هذه الأنظمة عن تقديم التمويل المطلوب لمناطق كاملة او لجماعات بعينها من اوساط المجتمع، وعجز الانظمة عموما عن ادراك مطالب الشعوب وخاصة الفئات الشبابية في المجتمع، والتي استمرت في جوعها كما سابقاتها في منتصف القرن الماضي. بيد ان الفارق بين الشرائح الشبابية القديمة والمعاصرة هو مستوى الوعي والتعليم، الذي حصلت عليه الاخيرة الى جانب الدور التنويري، الذي لعبته القنوات الفضائية وشبكة النت في توجيه وتحريك وعي الشباب.

ولا بد في هذا السياق من التوقف عند الدور الذي لعبته الولايات المتحدة والدول الغربية من خلال قرارها المفاجئ والحاسم في الوقوف الى جانب المحتجين وحتى في الدول التي كانت تحكم فيها الانظمة الحليفة للغرب. ما أدى الى اتساع رقعة الانفجار الشعبي، الذي دوى في العالم العربي، حيث كان الغرب على الدوام يؤكد وبشدة على ضرورة تقديم الدعم لكل من الحسني مبارك، وزين العابدين بن علي، ومحمد حسني مبارك، وعلي عبد الله صالح لتمكينهم من ادارة الحرب على كافة العناصر الارهابية والتشددية واصفة هذه الانظمة بأنها دروع واقية من الارهاب وتبعياته.

مثالية» نشرت في مجلة «الحياة الدولية» بقلم سيرغي فيلاتوف في آذار/ مارس 2011، الى جانب اسهام عدد آخر من الخبراء.

فإن الاسباب الداخلية الاساسية للربيع العربي واضحة ومفهومة. وهي تكمن في الجمود الاجتماعي السياسي طويل الامد للمنظومات العربية التي لم تتغير عمليا طوال اربعين عاما، الى جانب سآمة المجتمعات من الشخصيات التي استدام بقاؤها في الحكم وعدم انصياع هذه المنظومات إلا لذاتها، واستبداد الاجهزة الامنية وارتكاب الخروقات والمخالفات تحت شعار مكافحة الارهاب، في حين كانت الاجهزة الامنية تسجن وتنفي مناهضيها دون ان تستثني منهم احدا، اضافة الى الفساد، الذي استشرى وازدياد الهوة بين الاغنياء والفقراء، وشعور المواطن العربي بأن الحياة لن تتحسن وإنما على العكس من ذلك فهي في تقهقر مستمر في الوقت، الذي بقيت فيه شرائح واسعة من المجتمعات عاجزة عن شراء ما ازدانت به المحال التجارية من مواد استهلاكية ومستلزمات العيش.

وفي هذا السياق كتب الطاهر بن جولون الأديب المغربي المعروف ان ما ميز احداث عام 2011 في العالم العربي كان ظهور الاستقلالية الذاتية، إذ ان الشعب لم يطالب بزيادة المعاشات والاجور، بل طالب بتطبيق القيم العامة المتمثلة في الحرية والكرامة الانسانية وفي احترام حقوق الانسان\[3]\.

وعموما فإن الحقيقة دوما لا تتطلب التفسير، والاسباب من وراء الاحداث في العالم العربي كانت مختلفة بين دولة وأخرى. وقال الكسي بودتسيروب الدبلوماسي والعالم الروسي المعروف في تحليل لأسباب المأساة الليبية ان السبب الرئيسي من وراء احداث ليبيا ربما يكمن في امتعاض قبائل البرقة من تحديد اشراكها في توزيع الثروات الليبية، إضافة الى احساس برابرة جبل نفوس بانتقاص حقوقهم في الدولة الليبية.

والى جانب ذلك بدأت منظومة المجتمع المدني تتشكل في ليبيا. وراحت تبدي رفضها للنظام الجماهيري الحاكم، الذي كان يخفي ورائه

للدول الغربية. والأوضاع هذه المرة مغايرة كليا لتلك، التي كانت سائدة إبان العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956، حيث نفذت الدول الغربية عملياتها العسكرية في ليبيا ببذخ مدهش (إذ قام طيران الناتو وحتى الاعلان الرسمي عن انتهاء العمليات العسكرية في ليبيا بأكثر من 26 الف طلعة) وبشكل قد يشير الى ان الاقتصاد الغربي يعايش ذروة انتعاشه ما يمكن من الاسراف في النفقات. فإن انفاق بريطانيا وحدها خلال قصف ليبيا بلغ حوالي ثلاثة مليارات دولار.

والاستنتاج الذي يتبادر للأذهان من خلال مراقبة الممارسات الغربية هو ان الغرب لا يستخلاص الدروس من الماضي، او ان الاهداف الغربية المعلنة في الشرق الاوسط الكبير ليست مطابقة للشعارات الديمقراطية، التي تنفذ تحت راياتها «العمليات الانسانية» او تتناقض معها.

جدير بالذكر ان التحليل من خلال المقارنة ما بين الاحداث، التي شهدتها المنطقة العربية أواسط القرن الماضي ومطلع القرن الحالي يحظى بأهميته في تبيان اسباب ما يحدث، خاصة وان هذه الاسباب ستكون مغايرة كليا للتي وقفت وراء الموجة الاولى من الفتن العربية . وسنتمكن من خلال الكشف عن الاسباب الحقيقية للتطورات من فهم المنحى الذي ستأخذه التطورات وآثارها بالنسبة الى منطقة الشرق الاوسط والى العالم أجمع، خاصة وأننا بتنا اليوم شاهدين على انتقال انعكاسات الاحداث في المنطقة العربية الى مناطق بعيدة كليا ، إذ ظهرت في عدد كبير من العواصم الاوربية وفي نيويورك ميادين «تحرير» جديدة.

وانطلاقا مما تقدم نتساءل حول الاسباب الداخلية والعوامل، التي تحرك الاحداث في المنطقة العربية من وجهة نظر معد المقالة، وما هو الدور الخارجي في هذه التطورات وما هي العوامل الحاسمة، التي ستحدد وجهة سيرها؟

وللإجابة عن مثل هذه التساؤلات ظهر كم هائل من التكهنات والتوقعات سرد عدد كبير منها في مقالة تحت عنوان «الشرق الاوسط: عاصفة

الدكتاتورية والديموقراطية بل قوى محركة للتطورات، ومستعدة لاتخاذ اكثر الخطوات تشددا، ومن بينها الإجراءات العسكرية من اجل الاطاحة بالأنظمة التي ترسخت طوال العقود الماضية.

ولم يكن المظهر العام للولايات المتحدة وحلفائها بجديد، إذ أننا لمسنا ممارساتها هذه في حقبة ما بعد الاتحاد السوفييتي في كل من يوغوسلافيا، وافغانستان، والعراق. وذلك من خلال زرع الديمقراطية وحقوق الانسان المزعومة بقوة «الحديد والنار».

وعموما منذ مطلع التسعينيات بدأ المحافظون الجدد (النيوكونيون) «ثورة ديمقراطية عالمية» غير معلنة بغرض ايصال حقوق الانسان الى المنطقة (وبشكل انتقائي للغاية) وبغرض الاشراف على مصير الشعوب والإغداق عليها بالقوة.

أما الشيء الجديد، الذي جاءت به الدول الغربية سنة 2011 كان التدخل المسلح وبشكل يمتد الى حدود بعيدة عن نطاق الصلاحيات، التي استحصلت عليها من مجلس الامن الدولي بموجب القرار رقم 1973 ، وذلك عقب ان أصبح واضحا للعيان ان الجهود التي تبذلها هذه الدول في كل من افغانستان والعراق أو في اي بقعة اخرى من العالم قد افضت الى نتائج مغايرة كليا للأهداف المعلنة.

وتجدر الإشارة الى ان الظاهرة الجديدة الاخرى في ممارسات الغرب هذه المرة كان التخلي المفاجئ عن الانظمة الحليفة مثل النظام التونسي او المصري، او الأنظمة مثل نظام القذافي، التي كانت الدول الغربية قد اعلنت للتو عن التراضي معها وعنها، وبشكل يتناقض مع الوجه العام الغربي، الذي دأب خلال الفترة الممتدة بين عامي 1991 و2010 على توجيه الضربات واستهداف البدان التي اعلنها «منبوذة» او البلدان المعادية له.

والشيء الآخر الأكثر غرابة هو اقدام الغرب على النزاع المسلح مع ليبيا في الحقبة، التي بدأت فيها المنظومة الرأسمالية تدخل مرحلة من الأزمة الاقتصادية الشاملة، التي لا يمكنها إلا أن تنعكس على النظام السياسي

وما ميز التغيرات الحالية في الوطن العربي وبشكل جدي كانت صيغة الضغوط الخارجية المؤثرة على هذه التحولات والشخصيات، التي تلعب الادوار في مسرحها، والتي شكلت دور الرافعة. امتازت هذه الصيغة بعصريتها البالغة وغير المسبوقة مقارنة مع فترة الخمسينيات من القرن الماضي، إذ تشكلت من مزيج من مختلف التكنولوجيات المعلوماتية والاعلامية، نشرت بشكل غير مباشر على مواقع التواصل الاجتماعي مثل تويتر، وفيسبوك الى جانب وسائل اخرى للتنظيم الذاتي وتجميع الاهواء الاحتجاجية، ناهيك عن ظهور المعلومات الارشادية والتوضيحية في عدد من وسائل الاعلام الغربية، التي تتحدث عن كيفية التصرف خلال المشاركة في اعمال الاحتجاج والمسيرات وكيفية التصدي للوسائل الامنية والشرطية. وعلى هذا الصعيد لا يمكن تجاهل الدور الكبير، الذي لعبته قناة «الجزيرة» القطرية والتي كشفت وكالة «ويكيليكس» عن علاقات حميمة بينها والاستخبارات العسكرية الامريكية، (والاستقالة المفاجئة لوضاح خنفر المدير العام لشبكة الجزيرة، والتي ربطت مجلة «اكونومست» البريطانية بينها وتسرب المعلومات الى «ويكيليكس»[2])، ناهيك عن الدور، الذي لعبته «ويكيليكس» هي الاخرى من خلال نشرها معلومات فضحت عبرها خفايا غامضة من حياة زعماء الشرق الاوسط وفي مقدمتهم الزعماء التونسي والمصري والليبي.

ويسعنا الآن من خلال العودة الى بدايات الاحداث، اي الى ما قبل نيسان/ابريل 2011، استنتاج ان التأثير الخارجي على التطورات في المنطقة العربية لم يحمل طابع الشريك أو المحرك للأحداث وإنما اقتصر على التأثير البسيكولوجي بما فيه ترويج الشعارات الاكثر راديكالية وتركيز الرأي العام على الاحتجاجات، لتتكشف الاقنعة بعد صدور قرار مجلس الامن الدولي رقم 1973 القاضي بفرض منطقة حظر جوي على ليبيا في 17 آذار/مارس 2011، وصار من الواضح ان الدول الغربية تحت راية حلف الاطلسي والولايات المتحدة ليست مراقبات غير مبالية تختار بين

والقضاء على البطالة والارتقاء بمستوى بالمعيشة، في حين تغلب المطالب السياسية يتم التركيز بشكل خاص على ضرورة تنحي الرؤساء والقادة.
ولا يمكن في خضم ذلك تجاهل حقيقة ان التحولات الحالية خلافا لانقلابات الخمسينيات والستينيات اتسمت بعدم مبادرة العسكريين ، او باكتفاء الجيش بالوقوف متفرجا على ما يحدث وساعيا منه للحفاظ على مقاليد السلطة الاساسية كما كانت الحال في كل من تونس ومصر، في حين انقسم الجيش في ليبيا واليمن بين مؤيد للنظام الحاكم ومعارض له رغم انجراره في نهاية المطاف وراء الاحداث. اما الشعب فتلخصت مطالبه في ان يسلم الجيش الحكم لاحقا للهيئات المنتخبة ، وهذا ما بدا واضحا بشكل خاص في الحالة المصرية.
وما ميز الاحداث الحالية عن سابقاتها في القرن الماضي هو انهماك القوى الاسلامية ومشاركتها الفعالة في التطورات السياسية عقب ان كان معظم هذه القوى في صف المعارضة للانظمة السابقة حيث كانت تتعرض للمضايقات او التهميش او حتى الحظر الرسمي كما هو حال حزب النهضة الاسلامي في تونس، وحزب الاخوان المسلمين في مصر. والملفت في دور هذه الاوساط والاحزاب والتيارات هو انها كانت تفضل البقاء على حياد إبان اندلاع الاحداث وعزفت عن المطالبة بالسلطة شأنها في ذلك شأن الجيش وكانت تتحين فرصة سقوط النظام الحاكم لتعلن عن نفسها وبصوت عال في اعقاب ذلك، ولتذهب في بعض الاحيان الى تزعم الاحتجاجات الشعبية وقيادتها.
ولا بد هنا من الاشارة الى ان الانتخابات التشريعية التونسية في الرابع والعشرين من تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي، واعلان مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الوطني الانتقالي الليبي يوم الثالث والعشرين من نفس الشهر عن أن الشريعة الاسلامية ستكون المورد الاساسي للتشريعات والقوانين ، قد بينت أن الظاهرة الاسلامية باتت في قمة الصعود.

أما احداث سنة 2011 فانها تحمل طابعا دمويا وشرسا مغايرا لما وقع سابقا، ما يشير الى ان الشرق الاوسط الجديد يشهد ولادة جديدة متعسرة مترافقة بالنزيف وبنتائج مجهولة المآل.

وفي هذا السياق يمكن لأي مراقب مطلع التماس حزمة كبيرة من الظواهر الجديدة المرافقة للتحولات مقارنة مع تلك، التي شهدها الشرق الاوسط في القرن الماضي.

وما يميز الحقبة الحالية هي الاحتجاجات الجماهيرية غير المنهجة على الانظمة المتكونة في كثير من بلدان الرق الاوسط في غضون الاعوام والعقود الاخيرة.

والملفت في التحولات العربية الحالية هو انها تطبق وفقا لسيناريو موحد يقوم على قاعدة موحدة تشبه على سبيل المثال انتحار البائع التونسي حارقا نفسه، يتبعها احتجاجات شعبية كبيرة تطالب بادئ الامر بإحداث الاصلاحات الجذرية، وتنتقل فورا الى المطالبة بإسقاط النظام من خلال اطلاق الشعارات المتشابهة فيما بينها مثل «الطاغية ابعد» أو «الشعب يريد اسقاط النظام».

فإن هذه الاحتجاجات لا تشبه الثورة، بل يمكننا اعتبارها فتنة ، وهذا ما تحدث عنه دكتور العلوم التاريخية، عميد كلية الدراسات الشرقية بجامعة بطرسبورغ الحكومية يفغيني زيلينيف\١١\ في مقالته الصادرة مؤخرا.

والدليل الدامغ على ان هذه الاضطرابات ليست الا فتنة بحتة هو غياب الاطر التقليدية التي اتخذتها الحركات السياسية في لقرن الماضي، اي غياب القادة والاحزاب والبرامج والايديولوجيات المفهومة والتكتلات او الاحلاف السياسية. أما الشعارات المواكبة للمرحلة الحالية فهي مكونة من خليط من النداءات المطالبة بتغيير السلطة وبإجراء الانتخابات النزيهة وتوسيع الحقوق المدنية والحريات والغاء الرقابة ووقف ارتفاع الاسعار

بشار الاسد، ناهيك عن ان الاصلاحات التي تشهدها الاردن تستمر بشكل متعسر ومعقد.

وتجدر الاشارة الى ان العالم العربي كان قد عايش مثل هذه التحولات والتغيرات منذ حوالي أربعين عاما حيث وصلت القوى القومية العربية المصبوغة بالصبغة الاشتراكية الى الحكم على ضوء صعود الحركات التحررية والثورية هناك. ولا يمكن هنا اهمال دور الاتحاد السوفييتي، الذي تبنى هذه الحركات والتحولات وقدم لها شتى اشكال الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي ولمعنوي، وذلك على خلفية انهيار المنظومة الاستعمارية الناجم عن النصر الساحق الذي حققه الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية ما افضى الى ظهور عالم متعدد الالوان والصبغات مكون من الكيانات الوطنية الجديدة.

وجرت التحولات والانقلابات العسكرية في العالم العربي في تلك الحقبة دون اراقة للدماء وبمعزل عن الحروب الاهلية كما كان الحال في الانقلاب الناصري في مصر العربية سنة 1953، والانقلاب الذي قام به القذافي على النظام الملكي 1969، ووصول حافظ الاسد السلمي الى السلطة في سورية في أعقاب الحركة التصحيحية سنة 1970. وعموما فإن هذه الحركات لم تكن إلا انقلابات عسكرية قامت بها قمم القيادات العسكرية، وحظيت القوى الجديدة بتأييد جماهيري واسع نسبيا لها، إذ عولت الجماهير على التحولات الاجتماعية والسياسية. والملفت في هذه الانقلابات كان التخلي شبه الصامت للملوك والحكام عن مناصبهم وتركها للاواط العسكرية. ولا بد هنا من الاشارة الى ان كافة هذه الحركات كانت علمانية واستغلت بشكل واسع الاهواء المناهضة للاستعمار وقامت على الايديولوجيا القومية والماركسية متخذة من الوحدة العربية شعارا وطنيا لها ما اتفق وروح العصر.

اوليغ بافلوف

خبير سياسي

هل العالم العربي وقع ضحية فتنة مفتعلة والى اين تسير التطورات في الشرق الاوسط

انقضى على انطلاقة ما بات يعرف بالربيع العربي حوالي السنة ما يحض على التمعن بالنتائج الاولية لما شهدته «القارة العربية» من تطورات واحداث منذ الشرارة الاولى للربيع العربي، التي انطلقت في كانون الاول /ديسمبر/ 2010 عقب احراق بائع الخضار التونسي محمد البوعزيزي نفسه احتجاجا على مضايقات الشرطة ورفضا منه للبطالة ، ما تسبب بتحريك كوم الثلج المتراكم ليأتي على كل شيء.

وتوالت الاحداث السياسية في المنطقة، وراحت الانظمة العربية تتهاوى واحدا تلو الآخر بعد ان احدا لم يكن يشكك في متانتها وقدرتها على الاستمرار. وعقبت سقوط نظام زين العابدين بن علي في تونس الاطاحة «بالشيخين السياسيين» الحسني مبارك ومعمر القذافي. وفقد هذا الاخير مع «عرشه» حياته وعددا من ابنائه ومقربيه. وفي هذه الاثناء راح نظام الرئيس اليمني علي عبد الله صالح يترنح أيضا، في الوقت، الذي اصبح فيه العاهل البحريني حمد بن عيسى آل خليفة يعاني من ضغوطات شعبية كبيرة ضد نظام حكمه يشاطره في ذلك نظام الرئيس السوري

اوليغ بافلوف: « والدليل الدامغ على ان هذه الاضطرابات ليست الا فتنة بحتة هو غياب الاطر التقليدية التي اتخذتها الحركات السياسية في لقرن الماضي، اي غياب القادة والاحزاب والبرامج والايديولوجيات المفهومة والتكتلات او الاحلاف السياسية. أما الشعارات المواكبة للمرحلة الحالية فهي مكونة من خليط من النداءات المطالبة بتغيير السلطة وبإجراء الانتخابات النزيهة وتوسيع الحقوق المدنية والحريات والغاء الرقابة ووقف ارتفاع الاسعار والقضاء على البطالة والارتقاء بمستوى بالمعيشة، في حين تغلب المطالب السياسية يتم التركيز بشكل خاص على ضرورة تنحي الرؤساء والقادة.»

أليكسي بوغوسلافسكي: «وتسببت العمليات العسكرية بإضاعة الفرصة على جهود الوساطة لحل الازمة الليبية ما ادى في نهاية المطاف الى تقليص رقعة الحلول التي كان من الممكن التوصل اليها بمعزل عن الحل العسكري. وعندما وصلت بعثة الاتحاد الافريقي برئاسة رئيس جنوب إفريقيا جاكوب زوما طرابلس يوم العاشر من نيسان/ابريل، وتوجهت، في غياب زوما، في اليوم التالي الى بنغازي، تبين تصميم طرفي النزاع على عدم البدء بالمفاوضات دون فرض الشروط وتقديم المطالب المسبقة.»

فلاديمير كوزنيتشيفسكي: «الآن لم تبق سوى روسيا تمتلك موقفا رسميا واضحا يمكن له تحريك هذه العملية من نقطة الجمود .وفي الوثائق الحكومية الروسية فقط تم تدوين التعاطي المبدئي والموضوعي في مواجهة الحالات المشابهة لتلك التي عايشتها ليبيا. ويتجلى ذلك بشكل خاص بالنهج المعلن للسياسة الخارجية لروسيا الاتحادية والتي تنص على انه «يتعين على منظمة الامم المتحدة ان تكون في القرن الحادي والعشرين مركزا ناظما للعلاقات الدولية ولتنسيق السياسة الدولية، وذلك لان منظمة الامم المتحدة قد اثبتت شرعيتها وأكدت على عدم وجود البديل لها.»

الكلمات الرئيسية: استراتيجيا الاتحاد الاوربي في آسيا الوسطى، «حوار اليابان وآسيا الوسطى»، منطقة آسيا الوسطى، حركة أوزبكستان الاسلامية، منظمة معاهدة الامن الجماعي، مفهوم آسيا الوسطى الكبرى.

24. *См.*: Братерский М. В. Указ. соч. С. 62.

م. براتيرسكي. انسجام ص. 62.

25. *См.*: Зиглер Чарльз Э. Указ. соч. С. 19-21.

تشارلز زيغلير. انسجام. ص. 19-21.

26. Чуфрин Г. И. Россия в Центральной Азии. Алматы: Казахстанский институт стратегических исследований при Президенте РК, 2010. С. 28.

غ. تشوفرين. روسيا في آسيا الوسطى. آلماتي: المعهد الكازاخستاني للابحاث الاستراتيجية، التابع لرعاية رئيس جمهورية كازاخستان، 2010. ص. 28.

27. Там же. С. 29-30.

هناك أيضا. ص. 29-30.

28. *См.*: Стар Фредерик. Партнерство для Центральной Азии // Россия в глобальной политике. июль-август 2005. №4. (http://globalaffairs.ru/numbers/15)

فريدريك ستار. الشراكة من اجل آسيا الوسطى // روسيا في السياسة العالمية. حزيران-آب 2005. رقم 4.

29. *См.*: Годы, которые изменили Центральную Азию. М.: Центр стратегических и политических исследований. Институт востоковедения РАН, 2009. С. 298.

الأعوام التي غيرت آسيا الوسطى. موسكو: مركز الابحاث الاستراتيجية والسياسية. معهد الدراسات الشرقية لدى أكاديمية العلوم الروسية، 2009. ص. 298.

30. *См.*: Зиглер Чарльз Э. Указ. соч. С. 21-22.

تشارلز زيغلير. انسجام. ص. 21-22.

18. *См.*: Братерский М. В. Политика США в Средней Азии: итоги десятилетия // США и Канада. 2002. № 9. С. 56.

م. ف. براتيرسكي. سياسة الولايات المتحدة في آسيا الوسطى: نتائج العقد//الولايات المتحدة وكندا. 2002. رقم 9. ص.56.

19. *См.*: Николаев С. Россия – Центральная Азия: стремление к процветанию и безопасности. // Международная жизнь. 2009. №6. С. 37.

س. نيكولايف روسيا-آسيا الوسطى: سعيا وراء الازدهار والأمن. //الاحداث السياسية الدولية. 2009. رقم 6. ص. 37.

20. Заявление Президента Российской Федерации В. В. Путина от 24 сентября 2001 г. // Внешняя политика России: Сборник документов. 2001 / Министерство иностранных дел Российской Федерации. М.: Московская типография №2, 2007. С. 311.

بيان رئيس روسيا الاتحادية فلاديمير بوتين 24 أيلول 2001. //السياسة الخارجية الروسية: مجموعة وثائق. 2001 /وزارة الخارجية في روسيا الاتحادية. موسكو: دار موسكو للطباعة رقم 2، 2007. ص. 311.

21. *См.*: Лавров Сергей. В одной лодке // Итоги. 2010. №46. С. 17.

سيرغي لافروف. في قارب واحد // نتائج. 2010. رقم 46. ص.17.

22. *См.*: Олкотт М. Б. Второй шанс Центральной Азии // Московский центр Карнеги. Москва – Вашингтон, 2005. С. 19.

22: م. ب. اولكوت. الفرصة الثانية لآسيا الوسطى // مركز كارنيغي. موسكو-واشنطن، 2005. ص. 19.

23. *См.*: Зиглер Чарльз Э. Стратегия США в Центральной Азии и Шанхайская организация сотрудничества. // Мировая экономика и международные отношения. 2005. №4. С. 18-19.

تشارلز زيغلير. استراتيجيا الولايات المتحدة في آسيا الوسطى ومنظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي. // الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية. 2005. رقم 4. ص. 18-19.

11. Указ Президента Российской Федерации от 14 сентября 1995 г. №940.

مرسوم رئيس روسيا الاتحادية 14 أيلول لعام 1995 رقم 940.

12. *См.*: Рогов С.М. Администрация Клинтона: подводить итоги еще рано. // США и Канада. 2000. № 2. С. 13.

س. م. روغوف. ادارة كلينتون: من البكر اجمال النتائج. // الولايات المتحدة وكندا. 2000. رقم 2. ص. 13.

13. *См.*: Симония Н. Нефть в политике США // Международная жизнь. 2008. №3. С. 70.

ن. سيمونيا النفط في السياسة الامريكية //الاحداث السياسية الدولية. 2008. رقم 3. ص. 70.

14. *См.*: Коэн Ариэль. Дорога независимости: энергетическая политика Казахстана. Алматы: Атамура, 2007. С. 40-41.

14: كوان اريل. الطريق نحو الاستقلال: سياسة الطاقة في كازاخستان. ألماتا: اتامورا، 2007. ص. 40-41.

15. Токаев К.-Ж. Указ. соч. С. 204.

ك. ج. توكايف انسجام. ص. 204.

16. *См.*: Жизнин С.З. Энергетическая дипломатия США // США и Канада. 2000. №2. С. 78-79.

16: س. ز. جيزنين. دبلوماسية الطاقة الامريكية // الولايات المتحدة وكندا. 2000. رقم 2. ص.78-79.

17. *См.*: Жильцов С.С., Зонн И.С. США в погоне за Каспием. М.: Международные отношения, 2009.

س. س. جيلتسوف، ي. س. زون الولايات المتحدة تلهث وراء قزوين. موسكو. العلاقات الدولية، 2009.

2. Макиндер Х. Дж. Географическая ось истории // Полис. 1995. №4. С. 162-169.

هالفورد ماكيندر المحور الجغرافي للتاريخ // قطب. 1995. رقم 4. ص. 162-169.

3. Mackinder H. J. Democratic Ideals and Reality. N. Y.: Pelican Books, 1944. P. 113.

4. *См.*: Николаев С. Центральноазиатский вектор внешней политики Японии.//Дипломатическая служба. 2009. № 6. С. 15.

س. نيكولايف نهج السياسة الخارجية اليابانية حيال آسيا الوسطى.//الادارة الدبلوماسية. 2009 رقم 6. ص. 15.

5. Бжезинский З. Великая шахматная доска. Американское превосходство и его геостратегические императивы. М.: Международные отношения, 2010. С. 54.

ز. بجيزينسكي رقعة الشطرنج الكبرى. التفوق الامريكي ومفرزاته الجيوسياسية. موسكو: العلاقات الدولية، 2010 الصفحة 54.

6. هناك أيضا. ص. 54-55.

7. هناك أيضا. ص. 149-180.

8. Хопкирк П. Большая игра. На секретной службе в Центральной Азии. М., 2004. С. 18-19. (Цит. по: Мясников В.С. Указ. соч. С. 7.)

ب. هوبكيرك اللعبة الكبرى. الخدمة السرية في آسيا الوسطى. موسكو، ص.18-19، حرفا عن ف. س. مياسنيكوف.

9. Бжезинский З. Указ. Соч. С. 109.

ز. بجيزينسكي. ص. 109.

10. Токаев К.-Ж. Свет и Тень. Очерки казахстанского политика. М.: Восток-Запад, 2008. С. 195-203.

ك. ج. توكايف نور وظلام. مقالات لسياسي كازاخستاني. موسكو: شرق-غرب، 2008. ص.195-203.

ظهرت في المنطقة وتجذرت بشكل مفاجئ أجهزة تكاملية بمشاركة روسية مثل منتدى أوراسيا للتعاون الاقتصادي، ومنظمة معاهدة الامن الجماعي، وومنظمة شنغهاي للتعاون، في ظل غياب الآلية الامريكية الرامية الى التعاون المشترك طويل الامد مع جمهوريات آسيا الوسطى. والى جانب ذلك الخط الذي رسم للانتقال العاجل في هذه الدول نحو الديمقراطية لم يأت بثماره وليس نتيجة ان هذه الجمهوريات قد رفضت بشكل قاطع تطبيق التحولات الديمقراطية، وإنما لأن هذا الخط قد تجاهل خصوصيات وطبائع شعوب هذه الدول وأعرافها، إذ ان المجتمعات الشرقية كانت على الدوام تتمسك بالاستمرارية وترفض التحولات المستعجلة.

وورثت الادارة الامريكية الجديدة برئاسة باراك اوباما كافة هذه المشكلات من الادارة السابقة للبيت الابيض، وتحاول مراكز الابحاث الامريكية في الفترة الراهنة اعادة التمعن باستراتيجيا واشنطن في آسيا الوسطى مقتربة بها من الواقع الجيوسياسي المعاصر القائم في المنطقة. وعلى ما يبدو فإن هذه المحاولات تسعى وراء تحويل هذه المنطقة الى حلبة للتعاون الدولي المكثف بهدف الحفاظ على الأمن وتحقيق التنمية الاقتصادية المتوازنة في آسيا الوسطى. ونهج «إعادة التشغيل» في العلاقات بين موسكو وواشنطن يفتح ضمن اطار هذه المساعي «الأبواب على مصراعيها امام الامكانيات» كافة. وعموما، فإنه لا يمكن التشكيك بوجود المصالح المشتركة بين روسيا والولايات المتحدة في آسيا الوسطى، والمستقبل سيظهر لنا الى أي مدى سيتم تحقيق هذه المصالح. وروسيا بدورها مستعدة لإطلاق هذا العمل المشترك.

---

1. *См.*: Мясников В. С. Предисловие к книге Постникова А. В. Становление рубежей России в Центральной и Средней Азии (XVIII-XIX вв.). М., 2007. С. 4-5.

ف. س. مياسنيكوف مقدمة لكتاب أ. ف. بوستنيكوف نشوء حدود روسيا في آسيا الوسطى خلال (القرنين XIX-XVIII). موسكو 2007 ص. 4-5.

الصادر سنة 2009 والذين تحدثوا فيه عن ان مفهوم «آسيا الوسطى الكبرى» لم يلزم الولايات المتحدة من اجل رعاية بذور الديمقراطية وانباتها بقدر ما هو لازم من اجل التحكم بكافة العمليات الاقتصادية والسياسية في المنطقة دون ان يزاحمها في ذلك اللاعبون الكبار الآخرون (مثل روسيا والصين) والمنظمات الاقليمية التي تتزعمها هاتان الدولتان (مثل منظمة معاهدة الامن الجماعي، ومنظمة شنغهاي للتعاون). وفي هذا السياق فقد حددت سياسة ادارة الرئيس جورج بوش وبشكل مسبق من خلال التركيز على نشر الديمقراطية في دول آسيا الوسطى على المنوال الغربي، ومن خلال محاولات ردع موسكو وبكين في المنطقة، حددت وبشكل مسبق فشل سياستها هذه وتسببت بتدني مستوى الجدوى من النهج الذي اتبعته نتيجة ان اقتصاديات دول المنطقة المعتمدة على الترانزيت تتطلب أشكالا أخرى من الاجراءات ومن التعاطيات معها\[29].

وتسعنا هنا الاشارة الى ان تطبيق هذا المشروع الامريكي الطموح «بإيجابياته» الاقتصادية و«بسلبياته» العسكرية السياسية غير قابل للتطبيق وفي أي حال من الاحوال دون تسوية الاوضاع في افغانستان.

ويمكننا من خلال إجمال ما تقدم تحديد عدد من القضايا التي رسمت إبان الانتخابات الرئاسية الامريكية سنة 2008. وعليه فإن واشنطن لم تتمكن من خلال ميثاقها «الواقعية العدوانية» من حل معادلة «القيم والمصالح»، الى جانب ان الاولويات الامريكية في آسيا الوسطى كانت تتبدل على الدوام ما حال دون بناء هرم تصاعدي يرتب هذه الاولويات. والسؤال الذي لم تتم الاجابة عنه حتى الآن يتمثل في ما هو الاهم بالنسبة الى واشنطن، مصادر الطاقة أم الوجود العسكري والتعاون في الميدان الامني مع دول آسيا الوسطى أم شفافية الانتخابات وحرية وسائل الاعلام في هذه الدول. وفي الوقت الذي استمرت فيه النقاشات في الولايات المتحدة حول ضعف الدور الروسي في آسيا الوسطى\[30]

وفي الخامس من تموز/يوليو سنة 2005 تم التوصل خلال اعمال قمة منظمة شنغهاي للتعاون التي استضافتها استانا بكازاخستان الى اتفاق خرج بتوصيات وجهت الى دول التحالف الدولي في افغانستان تدعو الى تحديد مدد بقاء القوات العسكرية الاجنبية على اراضي جمهوريات آسيا الوسطى. وفي هذا السياق ابلغت اوزبكستان بتاريخ 29 تموز/يوليو 2005 واشنطن بأنها تمهلها مدة ستة اشهر حتى مغادرة قاعدتها الجوية في خان آباد، وتم الاعلان رسميا بتاريخ 22 تشرين الثاني/نوفمبر من نفس العام عن اغلاق هذه القاعدة وانسحاب القوات الامريكية منها. وقامت مراكز الابحاث الامريكية الرائدة بإعداد ما سمي بمفهوم «آسيا الوسطى الكبرى». وتضمن هذا المفهوم تشكيل مجال موحد يشمل وسط وجنوب آسيا تدخل ضمن نطاقه كازاخستان وقرغيزيا وطاجكستان وتركمانيا واوزبكستان بالاضافة الى افغانستان والهند وباكستان. والرأس المدبرة التي دأبت على وضع هذا المفهوم واعداده كان فريديرك ستار الذي صاغ اهداف الولايات المتحدة المتعلقة بتطبيق هذا المشروع من خلال ما يلي: 1) اطلاق حرب هجومية على الارهاب وخلق منظومات امنية تطوق الولايات المتحدة. 2) منح افغانستان والدول المجاورة لها امكانية الدفاع عن الذات في وجه الاسلام المتطرف وتجار المخدرات. 3) العمل على تعزيز الاقتصاد الاقليمي والمؤسسات الحكومية ذات الاهمية الى مستوى تصبح فيه المنطقة قادرة على التحول الى جسر اقتصادي وسياسي يربط بين منطقة الشرق الاوسط وجنوب آسيا وشرقها. 4) العمل على تعزيز العلاقات التجارية الاقليمية وايجاد البنية التحتية المواصلاتية المناسبة. 5) تشجيع النظم الديمقراطية والسياسية القادرة على اظهار مثل يحتذى من قبل الدول الاخرى ذات الأغلبية السكانية المسلمة\[28]\. ودارت الاحاديث المطولة حول هذا المفهوم ولكن دعونا نتوقف عند وجهة النظر التي تقدم بها مؤلفو كتاب «الأعوام التي غيرت آسيا الوسطى»

الجهات على تمويل المنظمات غير الحكومية في جهوريات آسيا الوسطى، وعلى اصدار ونشر المواد الترويجية الى جانب تقديمها الدعم للقوى المعارضة ذات التوجهات الغربية.

وفي آذار/مارس 2005 تمخضت عن «ثورة التولب» في قرغيزيا الاطاحة بنظام الرئيس عسكر آكايف الذي كانت واشنطن تعتبره مثلا يحتذى في اللبرالية. واستغلت «الاوضاع الثورية» في الجمهورية العناصر الاجرامية والجماعات المتشددة التي عاثت فسادا بالبلاد ونهبت وسرقت ما سرقته. ولم تمض مدة طويلة حتى اندلعت احداث مشابهة في مدينة انديجان بأوزبكستان، حيث استولى المتمردون المرتبطون بحركة «أكرمية» الاسلامية على الاسلحة في المدينة واحتجزوا الرهائن ما اضطر السلطات الى استخدام القوة لإعادة الامن والاستقرار الى المدينة ومحيطها.

وأكدت الاحداث التي شهدتها قرغيزيا واوزبكستان على ان تحديات الاستقرار في المنطقة ناجمة عن التطرف الاسلامي والارهاب الدولي وعن الولايات المتحدة عينها التي وقفت على طريق تصدير الديمقراطية وتقديم الدعم المباشر لما عرف «بالثورات الملونة»\[27]. واثارت هذه الأحداث مخاوف مبررة لدى قيادات جمهوريات آسيا الوسطى الى جانب بروز القلق حيالها من قبل كل من موسكو وبكين.

وعقبت هذه الاحداث حملة مدوية من الانتقادات التي انهالت بها الدول الغربية على السلطات الأوزبكية وعلى رئيس الجمهورية اسلام كريموف نتيجة «الانتهاكات الصارخة لحقوق الانسان والاستخدام المفرط للقوة ضد السكان المدنيين» خلال التعاطي مع الاحداث التي شهدتها مدينة انديجان. وما أضفى صبغة خاصة على هذه الحملة كان التدهور الذي حصل في العلاقات بين واشنطن وطشقند والذي استمر لفترة طويلة. وبرزت الشكوك تراود الكثيرين من الساسة في آسيا الوسطى حول امكانية اسهام الوجود العسكري الامريكي بتعزيز الاستقرار الامني في المنطقة.

الاحيان التعتيم على الملاحظات الحرجة التي تصدر عن الدبلوماسيين. وفي هذا السياق يستبعد زيغلير تمكن الادارة الامريكية وبغض النظر ان كانت جمهورية أم ديمقراطية من ازالة التناقضات القائمة في السياسة الخارجية لواشنطن بين الحاجة الى تحقيق الامن والمساعي الرامية الى الاسهام في تطبيق الديمقراطية وحقوق الانسان في المنطقة وذلك لأن هذا النزاع بين العسكر والدبلوماسية كان قد ظهر قبل وقت طويل من اعلان الحرب على الارهاب\25\.

وعموما حاولت الولايات المتحدة خلال الفترة ما بين عامي 2003 و2005 الخروج من هذه الحالة من خلال الاستناد الى المقولة القاضية بأن نجاح سياسة الولايات المتحدة في المنطقة سيعتمد بالدرجة الاولى على مدى عمق الجذور التي يمكن للديمقراطية مدها في دول المنطقة، ولهذا السبب تقرر العمل على تفعيل العمليات الديمقراطية في هذه الدول. وجرى التأكيد بشكل متزامن على ان ذلك سيسهم في تعزيز الامن الاقليمي وفي رفع الجدوى من المعركة المدارة على الارهاب في أفغانستان.

ويرى العالم الروسي غ. تشوفرين ان الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة وعلى ضوء نشوة «الثورات الملونة» في كل من جورجيا واوكرانيا حاولت استغلال امتعاض شرائح شعبية واسعة في جمهوريات آسيا الوسطى لتسخير ذلك في تغيير الانظمة الحاكمة لتحل محلها انظمة موالية للغرب وذلك تحت شعار تنمية الديمقراطية\26\.

وقامت واشنطن بغرض تحقيق هذه الاهداف بتوظيف صناع السياسة المخضرمين والمنظمات الامريكية الحكومية والعامة الدائبة في العالم على نشر القيم الديمقراطية. ومن بين المنظمات الامريكية التي سخرت لهذه الاغراض كان مكتب المسائل الديمقراطية وحقوق الانسان والعمل التابع لوزارة الخارجية الامريكية، والوكالة الفدرالية الامريكية للتنمية الدولية، والصندوق الوطني للديمقراطية، وصندوق سوروس، حيث عملت هذه

والتي تحولت آسيا الوسطى الى معبر لها الى رابطة الدول المستقلة وفي مقدمتها روسيا ومن بعدها أوربا.

ولم تنجز الولايات المتحدة حربها على افغانستان حتى بدأت حربا جديدة لها في آذار/مارس 2003 كان العراق هدفها. وتطلبت عمليات واشنطن العسكرية على جبهتين في آن واحد بذل الاموال الطائلة التي انفق جلها على حرب العراق، ما أدى الى خبو الآمال في استمرار تدفق المساعدات المالية الامريكية على دول آسيا الوسطى وخاصة تلك منها التي كان من الممكن انفاقها على مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية في هذه الدول.

وأفرزت سياسة «العدوانية الواقعية» مجددا معادلة «القيم والمصالح». ويرى تشارلز زيغلير عميد كلية السياسة في جامعة لويس فيل في الولايات المتحدة أنه كان من الصعب على الولايات المتحدة خلال عهد كلينتون وبوش توحيد الجهود الرامية الى جر دول آسيا الوسطى للتعاون في الميدان الامني من خلال ممارسة الضغوطات على هذه الدول عبر قضايا حقوق الانسان والاصلاحات السياسية والاقتصادية، في حين تباين تعامل وزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين مع «تسوية» هذه المسألة، حيث كانت ترى وزارة الخارجية ان مسألة تطوير الديمقراطية في المنطقة تحظى بأهمية أكبر من اهمية القضايا الامنية في الوقت الذي كانت فيه الوزارة في الخطوط الامامية للحرب على الارهاب. وكانت برامج الخارجية الامريكية تسعى الى تقديم الدعم والتمويل اللازمين لخلق التعددية السياسية وحرية وسائل الاعلام وحماية سيادة القانون والحريات الدينية. وكانت الخارجية الامريكية تنهال في تقاريرها حول حقوق الانسان في دول آسيا الوسطى، تنهال بالانتقادات اللاذعة على هذه الدول. أما وزارة الدفاع الامريكية فعلى العكس من ذلك فقد كانت تركز بالدرجة الاولى على أهمية التعاون مع هذه الدول في الميدان الامني وكانت تحاول في معظم

وبالطبع فلقد كان لموسكو وبكين نظرتهما ازاء الوجود العسكري الامريكي في آسيا الوسطى ولا يمكننا ايضا تجاهل تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون سنة 2001 والتي ضمت في صفوفها روسيا والصين وكازاخستان وقرغيزيا وطاجكستان واوزبكستان، وتحولت مع الوقت الى عامل فاعل في مجمل السياسة بآسيا الوسطى. وفي سياق هذه التحولات أعلن في ايار مايو سنة 2002 عن تأسيس منظمة معاهدة الامن الجماعي التي وضعت في مقدمة اولوياتها الحفاظ على الاستقرار في آسيا الوسطى، إذ انضمت الى هذه المنظمة والى جانب روسيا وبيلوروسيا وارمينيا كل من كازاخستان وقرغيزيا وطاجكستان. وتم الاعلان في تشرين الاول/أكتوبر 2003 عن افتتاح قاعدة كانت العسكرية الروسية في قرغيزيا وعلى مقربة من عاصمة الجمهورية بيشكيك التي اقيمت فيها قاعدة جوية امريكية. ولم تفضي الانتصارات العسكرية الاولى الساحقة على «طالبان» في افغانستان، لم تفض مع الاسف الى تهدئة الاوضاع في أفغانستان الى امد طويل، حيث تمكنت «طالبان» في غضون عام ونيف من رأب صدوعها واطلقت حرب عصابات تحولت قوات التحالف الدولي في افغانستان الى اهداف مباشرة لها. وفي هذه الاثناء كانت قوات المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان قد بدأت بتنفيذ مهامها في افغانستان بموجب قرار مجلس الامن الدولي رقم 1386 للعشرين من كانون الاول/ديسمبر 2001، والتي تسلم حلف الناتو قيادتها في آب/أغسطس 2003. وكانت صلاحيات هذه القوات تشمل العاصمة كابل في بادئ الامر وفي تشرين الاول/أكتوبر 2003 تقرر توسيع مهام هذه القوات لتخرج عن نطاق كابل. ورغم ذلك فلم تتمكن الولايات المتحدة وقوات المساعدة الدولية لإرساء الأمن في أفغانستان من كسر مقاومة «طالبان» ولم يتم القضاء على مصادر الارهاب في أفغانستان ناهيك عن ازدهار انتاج المخدرات في هذا البلد

الحملة العسكرية التي سعت الى القضاء على الارهاب في افغانستان والدعم الذي حصلت عليه واشنطن في الجبهة الداخلية للحرب على الارهاب والتي حصلت عليها من دول آسيا الوسطى ارشدت واشنطن الى ضرورة تكريس اهتمام جدي للحفاظ على الاستقرار في المنطقة، ولما كان للمواقع العسكرية الامريكية في آسيا الوسطى أن تقوم بالمهام المنوطة بها في ظل عدم الاستقرار الامني. وانطلاقا من ذلك دأبت واشنطن خلال عامي 2002-2003 على تطوير التعاون مع هذه الدول في الميدان الدفاعي وبشكل تزامن مع تنام عام في مستوى العلاقات السياسية معها (دون ان يشمل ذلك تركمانيا).

ويمكن من خلال ما تقدم استنتاج ان واشنطن في تلك الحقبة كانت قد دخلت في مرحلة جديدة في التعاطي مع دول آسيا الوسطى بعد الخروج من حالة «النأي» عن شؤون المنطقة.

وأخذت سياسة البيت الابيض منحى اكثر اصرارا تجاه آسيا الوسطى الى درجة ان بعض الخبراء الامريكيين وصف النهج الامريكي الجديد هذا «بالواقعية العدوانية». ولم تعد آسيا الوسطى في تلك المرحلة تعتبر الحديقة الخلفية لروسيا وراحت تحظى بأهمية واشنطن ككيان مستقل. وانطلقت واشنطن في تقييمها الاوضاع في المنطقة من ان محاولات كل من روسيا والصين المشتركة والمنفردة التي سعت وراء تحقيق الاستقرار في المنطقة لم تتكلل بالنجاح، واستنادا الى ذلك أخذت واشنطن على عاتقها تسوية الاوضاع هناك ما يصب في صالح موسكو وبكين\[24]\. ومن الصعب هنا التكهن بالأرضية التي قام عليها التفكير الامريكي هذا، ولكن الامر الذي تأكد فيما بعد تمثل في ان التفكير الامريكي هذا كان مغلوطا. وحتى إذا ما انطلقنا من تلاقي مواقف الدول الثلاث الكبرى حيال الارهاب الدولي فمن الصعب تصور ان موسكو وبكين ستتنصلان من المسؤولية عن تطور الاحداث في آسيا الوسطى وتسلمانها لواشنطن.

	كازاخستان	قرغيزيا	طاجكستان	تركمانيا	أوزبكستان
برامج تطوير الديمقراطية	13,9	13,5	7,3	4,7	14,7
تنفيذ الإصلاحات الإجتماعية والإقتصادية	24,4	19,9	14,3	2,4	18,2
الأمن وحفظ النظام	49,2	10,3	1,1	1,4	30,2
المساعدات الإنسانية	0,5	9,1	21,8	0,5	18,5
المبادرات ما بين القطاعات	5,0	3,8	4,5	2,1	4,5
الإجمالي	92	56,6	49	11,1	86,1

المصدر: الموقع الالكتروني لوزارة الخارجية الامريكية — http://www.state.gov

وأنفقت كازاخستان الاموال المقدمة اليها على تطبيق برنامجها الرامي الى حظر انتشار اسلحة الدمار الشامل، وعلى اغلاق محطة أكتاو الكهروذرية، وعلى تعزيز اجهزة حفظ النظام ومكافحة المخدرات. أما كازاخستان فقد وجهت المعونات المالية الامريكية لتعزيز أمنها الحدودي وعلى منع انتشار الاسلحة البيولوجية وعلى تعزيز قدرات الجمهورية في التصدي للإرهاب والاتجار بالمخدرات. اما قرغيزيا فقد ركزت في انفاق المعونات الامريكية على تنفيذ البرامج التعليمية وتطوير البنى التحتية والقطاع الصحي وعلى تشجيع قطاعي الاعمال الصغرى والمتوسطة في الجمهورية. وفي طاجكستان تم انفاق حوالي نصف اجمالي المساعدات على الاغراض الانسانية من خلال شراء المواد الطبية والأغذية واللباس والإسكان الى جانب التركيز ايضا على تعزيز الحدود للتصدي للارهاب ومكافحة الاتجار بالمخدرات[23]. ولا بد من الاشارة أيضا الى ان المساعدات الامريكية لهذه الدول قد استمرت في فترات لاحقة وبنسب متفاوتة.

الى ان الالتزامات الاستراتيجية للولايات المتحدة في منطقة آسيا الوسطى كانت قبل اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر محصورة ضمن نطاق استراتيجيا الطاقة، ما مكن الشركات الامريكية من شغل مواقع متقدمة في استثمار حقول النفط والغاز في منطقة قزوين[22]، في حين أظهرت اعتداءات سبتمبر انه لا شيء يعرقل الارتقاء بالتعاون بين واشنطن ودول آسيا الوسطى الى مستوى اكثر شفافية.

ولكن المسألة الاساسية تكمن في أنه هل من الممكن الحفاظ على التوازن ما بين الدول التي تلاقت مصالحها في المنطقة على مسارات معينة وتباينت على أخرى وبشكل جدي. والى جانب ذلك لا يمكن هنا تجاهل العوامل الاخرى التي تجسدت في ان البيت الابيض راح ينظر الى مجمل العلاقات مع دول آسيا الوسطى من خلال منظور واشنطن السياسي على المسار الافغاني ما حض على تركيز الاهتمام على الناحية الامنية في هذا التعاون.

وما يؤكد بروز هذه العوامل هو الجدول الوارد ادناه والذي يكشف عن حجم المساعدات التي قدمتها المنظمات الحكومية الامريكية لدول آسيا الوسطى ضمن اطار برنامج المعونات المالية الامريكي لعام 2003. (الأرقام واردة بملايين الدولارات).

وكما يتضح من الجدول فإن حجم هذه المعونات ليس كبيرا، في حين انها قد وجهت الى تلك الدول التي لمست الولايات المتحدة فيها أهمية أكبر من غيرها فيما يتعلق بأمن الطاقة والامن العسكري لواشنطن، وتأتي في مقدمة هذه الدول كل من كازاخستان وأوزبكستان. واكثر من نصف اجمالي المساعدات التي حصلت عليها كازاخستان وأكثر من ثلث ما وجه الى اوزبكستان تم تخصيصها للأنفاق على تعزيز الأمن والنشاطات الامنية في هذين البلدين.

أسهم هذا الموقف الروسي وبشكل كبير في تشكيل جبهة موسعة من الدول التي وحدتها المعركة على الارهاب.

وطالب الرئيس الامريكي جورج بوش في اعقاب اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001، طالب حركة «طالبان» التي تسلمت السلطة في افغانستان منذ أيلول/سبتمر 1996 وبلهجة تحذيرية بتسليم الولايات المتحدة قادة تنظيم «القاعدة» المتواجدين على الاراضي الافغانية وعلى رأسهم اسامة بن لادن. وبدأت الولايات المتحدة حملتها العسكرية على «طالبان» في السابع من تشرين الاول/اكتوبر عقب رفض السلطات الافغانية الانصياع للتهديدات الامريكية. وانضمت الى الحملة العسكرية على «طالبان» قوات التحالف الشمالي الافغانية التي كانت تحظى بدعم موسكو من خلال تقديم الأسلحة والمعدات العسكرية لها. واضطرت قوات «طالبان» تحت وطأة القصف الجوي العنيف الى الانسحاب من كابل العاصمة في 13 من تشرين الثاني/نوفمبر وفي 25 منه انسحبت أيضا من قندوز، وتمكنت القوات الجيش الامريكي في السابع من كانون الاول/ ديسمبر سنة 2001 من الاستيلاء على قندهار لتعلن بذلك الاطاحة التامة بنظام «طالبان» في أفغانستان. واسفر عن اندحار «طالبان» تشتت حركة اوزبكستان الاسلامية وتشرذم فلولها بعد تفانيها في القتال الى جانب «طالبان» وعقب ان كانت اخطر حركة تطرفية اسلامية بين مثيلاتها في آسيا الوسطى. وتمخض عن الحملة العسكرية على الارهاب ونجاحها الخاطف انحسار الاخطار الامنية وبشكل كبير في آسيا الوسطى والتي كانت تفوح عليها من افغانستان، ما أدى في نهاية المطاف الى تنامي الاستقرار على التخوم الجنوبية للفضاء الروسي الجيوسياسي.

ولقد حصلت الولايات المتحدة وعلى ضوء الاوضاع التي تبلورت في تلك الفترة، حصلت على فرصة حقيقية لتكثيف التعاون مع دول آسيا الوسطى. وتشير مارتا اولكوت الخبيرة الامريكية في شؤون آسيا الوسطى

على ان قيادات هذه الدول اتخذت قراراتها المشاركة في هذه الحملة بشكل مستقل.

وحصل طيران التحالف الذي شكلته الولايات المتحدة في أعقاب ذلك على فرصة استخدام البنى التحتية في دول آسيا الوسطى لدعم عمليات التحالف المستهدفة لتنظيم القاعدة.

وتضمنت الاتفاقات المبرمة مع هذه الدول وفي معظم الاحيان فتح الاجواء امام عبور الطائرات اضافة الى تزويدها بالوقود، في حين تم افتتاح قاعدتين جويتين امريكيتين في كل من مطار ماناس في بيشكيك بقرغيزيا، وفي مطار خان آباد بأوزبكستان.

وأدى ظهورعساكر الولايات المتحدة وحلف الناتو العسكري في آسيا الوسطى، في حين كان الحلف يواصل رسم خطط توسعه نحوالشرق، ادى الى ردود أفعال متباينة. ففي روسيا على سبيل المثال رأى عدد كبير من السياسيين أنه كان من غير المجدي السماح للتطورات بأن تسير على هذا النحو. واعتبر الكثيرون من الخبراء في الولايات المتحدة ان هذه التطورات جاءت على خلفية انحسار تأثير موسكو على المنطقة. ولكن الامر من وجهة نظرنا يتمثل في ان القيادة الروسية قد اتخذت موقفا واضحا من المنظورين السياسي والأخلاقي في اعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر. وكما ذكر وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في مقالة له نشرتها مجلة «ايتوغي» الروسية سنة 2010 فإن روسيا عندما مدت يد العون للولايات المتحدة في أعقاب مصيبة اعتداءات سبتمبر كان أقل ما فكرت به وجود التزامات تحالفية تربطها بواشنطن أم لا. وعليه فإن قرار موسكو هذا كان نابعا من قناعة توصلت اليها بأن الآليات التحالفية أصبحت في عالمنا المعاصر ضربا من ضروب التخلف يعرقل استغلال الإمكانيات المتاحة للإفادة في تعزيز الامن المشترك\21\.

و1996)، والتي لكان لها آثار من المتعذر التكهن بعقباها على منطقة آسيا الوسطى، إذ سخرت روسيا كافة ما بحوزتحا الى جانب ثقلها السياسي على الحلبة الدولية بغرض تحقيق وقف الحرب الاهلية في طاجكستان. وتمخض عن هذه المساعي التي اوقفت الحرب الاهلية في الجمهورية الحفاظ على وحدة اراضيها وتسوية النزاع السياسي الداخلي فيها. وضمن الجهود الروسية للحفاظ على الاستقرار في آسيا الوسطى كان الدعم الذي قدمته موسكو الى قرغيزيا عقب تسلل العناصر المسلحة من حركة اوزبكستان الاسلامية الى منطقتي تشون ألايسكي، وباتكينسكي فيها ومساعدتها على احباط هجمة الاسلاميين المتطرفين\19\، وذلك خلال الفترة ما بين آب/أغسطس، وايلول/ستمبر 1999.

وأفضت اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر الى تنامي الاهتمام بمنطقة آسيا الوسطى، حيث اصبحت هذه المنطقة في الخطوط لحرب مكافحة الارهاب. وحضت هذه الاعتداءات واشنطن على اعادة النظر بالمكانة التي تشغلها آسيا الوسطى في لائحة أولويات السياسة الخارجية لواشنطن، وحظيت آسيا الوسطى بالأهمية الخاصة من قبل الولايات المتحدة في حملتها العسكرية على أفغانستان.

وفي هذه الاثناء راحت روسيا ودول آسيا الوسطى من خلال ادراكها حجم الاخطار الكبيرة الناجمة عن الارهاب الدولي تبدي تمسكها بضرورة التصدي لهذا الخطر العالمي.

وأعربت روسيا عن استعدادها لفتح أجوائها أمام نقل الشحنات المدنية الى المناطق التي تشهد عمليات مكافحة الارهاب. ورغم ذلك فقد اكدت موسكو على ان اجراءاتها هذه جاءت بالتنسيق مع حلفائها في آسيا الوسطى الذين أعربوا بدورهم عن استعداهم لتقديم مطاراتهم\20\ لاستخدامها ضمن اطار الحملة على الارهاب. ولا بد هنا من التأكيد

اولا: الحيلولة دون تمكن دولة معينة أو ومجموعة من الدول مثل روسيا والصين من بسط نفوذها على هذه المنطقة لدرجة يمكن لها ان تلغي الوجود الامريكي هناك.
ثانيا: التصدي لإمكانية تحول منطقة آسيا الوسطى لقاعدة تنتشر منها القوى الاسلامية المتشددة.
ثالثا: الحيلولة دون تحول المنطقة الى ممر يتم عبره نشر المخدرات غير الشرعي.
رابعا: فسح المجال امام وصول الشركات الامريكية الى مصادر الطاقة في آسيا الوسطى.
خامسا: المساعدة في دول المنطقة على تشكل المجتمع المدني وتحقيق سيادة القانون وظهور اقتصاد السوق الشفاف\18\.
ورغم كل هذه المساعي فإن السياسة الامريكية حيال آسيا الوسطى حتى بداية الألفية الجديدة لم تحمل طابعا متكاملا لها. ورغم أن الولايات المتحدة تمكنت من تعزيز نفوذها في المنطقة، إلا انها عجزت عن الحصول على امتيازات أفضل من تلك التي تحظى بها موسكو ، ويمكن هنا تصوير اللعبة بين الكبيرين على انها حتى الآن لم تخرج إلا بنتيجة التعادل بين اللاعبين.
واستمرت العلاقات التجارية الاقتصادية التي أسس لها بين روسيا ودول آسيا الوسطى في عهد الاتحاد السوفييتي، استمرت في التطور. وبغض النظر عن التعاون الذي نشأ بين دول المنطقة وحلف الناتو منذ عام 1994 ضمن اطار برنامج «الشراكة من اجل السلام»، لا تزال هذه الدول توجه اهتماماتها الى موسكو في التعاون التقني العسكري وفي اقتناء الاسلحة، في حين بدت المواقف الروسية فيما يتعلق بالحفاظ على الامن الاقليمي متينة وثابتة. وروسيا بالذات أسهمت بشكل حاسم في انهاء الحرب الاهلية في طاجكستان (والتي استمرت بين عامي 1992

هذه الجمهوريات. وتكون بذلك قد بدأت مرحلة جديدة من سياسة الطاقة الامريكية وصفها العالمان الروسيان س. جيلتسوف، و ي. زون بأنها «سباق على قزوين»\17\، حيث أن الولايات المتحدة وضعت نصب عينيها استكشاف الهيدروكربونات واستخراجها في منطقة آسيا الوسطى ونقلها من هناك الى الاسواق العالمية، وشرعت واشنطن الى جانب ذلك في اعداد مشاريع نقل الثروات من آسيا الوسطى عبر خطوط وممرات لا تمر عبر الاراضي الروسية.

وتم خلال عهد الرئيس كلينتون تفعيل عناصر «الديمقراطية» وحماية حقوق الانسان في نهج الولايات المتحدة تجاه آسيا الوسطى، وراحت الولايات المتحدة تربط بشكل او بآخر بين تقديمها المساعدات الاقتصادية والمالية لدول هذه المنطقة وبين مدى تفعيل المشاريع الامريكية في مجال الطاقة في هذه الدول. ونظرا لأن النجاحات التي تمكنت واشنطن من تحقيقها على هذا المسار في هذه الدول كانت محدودة، فإن حجم المساعدات الامريكية المقدمة الى هذه الدول كانت هي الاخرى متواضعة. وبهذه الصورة تكون المعادلة الامريكية المعروفة، وهي معادلة «القيم والمصالح» كانت تحل في تلك الحقبة وفي غالب الاحيان في صالح القيم العامة في آسيا الوسطى، وذلك نتيجة الخصوصية التي تتمتع بها آسيا الوسطى ما أدى الى التخفيف من شهرة السياسة الامريكية وانتشارها. وأدى كل ذلك في نهاية المطاف الى أخذ العلاقات بين دول آسيا الوسطى والولايات المتحدة طابعا متموجا بين صعود وهبوط.

وتشكلت معالم مهام الولايات المتحدة في منطقة آسيا الوسطى أواخر القرن العشرين مطلع القرن الحادي والعشرين، تشكلت على النحو التقريبي التالي:

في العالم، لم تتمكن من الامتناع عن «النظر» بطمع الى هذه المنطقة بثرواتها\13\ الطبيعية الهائلة، وشرعت شركة «شيفرون» النفطية الامريكية بالعمل في حقل تينغيزسكي النفطي في الجزء الكازاخستاني من قزوين، حيث كانت هذه الشركة قد وقعت مع الحكومة الكازاخستانية في نيسان/ابريل 1993 على اتفاقية تقضي بتشكيل شركة «تينغيزشيفرويل» المساهمة معلنة بذلك عن دخول رأس المال الامريكي الى مجال الاتحاد السوفييتي السابق\14\. وتتابعت عقب ذلك الشركات الامريكية الكبرى للطاقة مثل «موبيل»، واكسون»، و»آموكو»، تتابعت في الدخول الى السوق الكازاخستانية واحتلت الولايات المتحدة بذلك المرتبة الاولى بين دول العالم من حيث الاستثمارات الخارجية الموظفة في اقتصاد كازاخستان\15\. وأظهرت الابحاث الاضافية التي اجراها الخبراء الغربيون ان قاع قزوين يمتلك احتياطيات كبرى من النفط والغاز الطبيعي، وأطلعت الخارجية الامريكية الكونغرس على هذه المعلومات سنة 1997. وصارت الولايات المتحدة تنظر الى ثروات قزوين من الهيدروكربونات على انها عامل جدي في تخفيف اعتماد الولايات المتحدة على استيراد الخامات من دول الخليج، ما حض واشنطن على ادراج منطقة قزوين ضمن قائمة المناطق ذات الاهمية الاستراتيجية بالنسبة الى الولايات المتحدة. وبالمناسبة الحقت واشنطن بمنطقة قزوين هذه كافة جمهوريات آسيا الوسطى الى جانب كل من كازاخستان وتركمانيا الواقعتين على حوض قزوين. وقدمت الخارجية الامريكية دعما منقطع النظير لشركات النفط والغاز الامريكية التي شرعت باستثمار الثروات الباطنية في منطقة قزوين. وتمكنت هذه الشركات من حل المشاكل التي تعاني منها وراحت تسهم في تحقيق الغايات السياسية لواشنطن، والتي تمثلت في تعزيز استقلالية دول آسيا الوسطى /والتخفيف من تبعيتها لموسكو/ وتقريبها من الغرب\16\، وذلك من خلال استغلال المشاركة في تطوير قطاعات النفط والغاز في

وعموما لم تكن الولايات المتحدة حتى نهاية النصف الاول من التسعينيات تتعاطى مع منطقة آسيا الوسطى على انها منطقة تضم في طياتها نوعا من المصالح الامريكية المحددة وواضحة المعالم. وكان يفضل الامريكان الانتظار حتى يتم تحديد هذه المصالح وذلك لعدة أسباب من بينها انشغال روسيا بمشاكلها الداخلية وما سينجم عن ذلك من فقدان تدريجي لموسكو لمواقعها في آسيا الوسطى.

وأخذت ملامح نهج التعاطي الامريكي مع آسيا الوسطى تتغير شيئا فشيئا منذ سنة 1995 نتيجة حزمة كبيرة من التطورات، في مقدمتها تراجع السعي الروسي الحثيث نحو التقارب والارتماء في أحضان الغرب. وأكد الرئيس بوريس يلتسين بمرسومه الرئاسي في الرابع عشر من ايلول/سبتمبر 1995 النهج الاستراتيجي للسياسة الخارجية الروسية المتجسد بالتوجه نحو الدول الاعضاء في رابطة الدول المستقلة التي تكونت على أنقاض الاتحاد السوفييتي. ونص هذا المرسوم على ان المهمة الاساسية لسياسة موسكو حيال رابطة الدول المستقلة\11\ «تتمثل في تعزيز مواقع روسيا كقوة تقود تشكل منظومة جديدة للعلاقات الدولية والسياسية والاقتصادية على امتداد دول الاتحاد السوفييتي السابق»، ما اعتبر في البيت الابيض ظاهرة تنم عن «الأطماع الإمبريالية الجديدة» لدى روسيا.

ونتجية لذلك ظهر مجال جديد للتوتر بين موسكو وواشنطن انطلق مع بداية الولاية الرئاسية الثانية لبيل كلينتون سنة 1997 «وامتد ليشمل نطاق دول الاتحاد السوفييتي السابق» ويمكن بدءا من هذه اللحظة التحدث عن انتقال الادارة الامريكية الى مزاحمة موسكو.\12\ على الهيمنة في منطقة آسيا الوسطى.

ومنذ ذلك الحين أخذت دبلوماسية الطاقة الامريكية تكثف نشاطاتها في آسيا الوسطى، ودخلت منطقة قزوين حيز الاهتمام الامريكي، حيث لم تتمكن الولايات المتحدة من خلال مفهوم «الدولة العظمى المتفردة»

ولفت الدبلوماسي الكازاخستاني ك. توكايف الى ان المشكلة التي قضت مضاجع البيت الابيض كانت الترسانة النووية السوفييتية التي بقيت في كازاخستان عقب انحلال الاتحاد السوفييتي، وكانت هذه القضية في مقدمة المسائل التي بحثها الرئيس الكازاخستاني نورسلطان نزاربايف خلال الزيارة الرسمية التي قام بها الى الولايات المتحدة سنة 1992، إذ ان كازاخستان قد تحولت على خلفية ذلك بين ليلة وضحاها الى دولة نووية، خاصة وان معظم الصواريخ النووية التي كانت منصوبة في هذه الجمهورية كانت موجهة لتستهدف الولايات المتحدة. ولعبت هذه المسألة الدور الاساس في الحيلولة دون تطور العلاقات الاقتصادية بين كازاخستان والولايات المتحدة. وضمن هذا الاطار وقعت كازاخستان سنة 1992 على بروتوكول لشبونة لمعاهدة الاسلحة الهجومية الاستراتيجية الالى، وانضمت الى اتفاقية حظر انتشار الاسلحة الهجومية الاستراتيجية متعهدة بذلك نقل الاسلحة النووية الموجودة لديها الى اراضي روسيا الاتحادية. وحصلت كازاخستان على المساعدات الامريكية لتمكينها من تنفيذ هذه الخطة وفقا لبرنامج خفض الخطر النووي الصادر عن دول ما بعد الاتحاد السو فييتي. وفي كانون الاول/ديسمبر 1994 قدمت كل من روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة الضمانات الامنية لكازاخستان كمكافئة على تخليها عن السلاح النووي وذلك لأن هذه الدول الثلاث كانت قد وقعت فيما بينها على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية. ووقع على مذكرة بذلك كل من الرئيس الروسي بوريس يلتسين، والرئيس الامريكي بيل كلينتون، ورئيس الحكومة البريطاني جورج ميجر وذلك خلال أعمال قمة منظمة الامن والتعاون الاوربي في العاصمة المجرية بودابيست، وفي وقت لاحق قدمت كل من الصين\[10]\ وفرنسا ضمانات امنية مشابهة لكازاخستان، وتم في أعقاب ذلك نقل آخر رأس نووية من كازاخستان الى الاراضي الروسية.

على الساسة الامريكيين التكهن بما ستؤول اليه. وتقرر بناءا على هذا الواقع الجديد الاهتمام بالدرجة الاولى «بالتحول الديمقراطي» في روسيا، في حين تقرر إرجاء معالجة كافة القضايا الأخرى والتي من بينها قضايا آسيا الوسطى الى أجل غير مسمى. ويأتي هذا التأجيل نتيجة جهل الولايات المتحدة لمنطقة آسيا الوسطى، حيث اقتصر تعاطي واشنطن معها على انها الريف النائي للامبراطورية السوفييتية السابقة الذي ستترافق فيه العمليات الديمقراطية والانتقال الى اقتصاد السوق بعقبات ومشاكل أكبر بكثير مما هي الحال في روسيا. ومن جهة أخرى أكدت واشنطن من خلال اعترافها بالدول الجديدة التي ظهرت في منطقة آسيا الوسطى على استعدادها لتقديم الدعم لهذه الدول وذلك من أجل تمكينها على تحقيق الأهداف الديمقراطية ومساعدتها على الانتقال الى العمل باقتصاد السوق، لكن واشنطن في الواقع لم تبد أية نشاطات باهرة على هذا الصعيد.

وجرى تفسير الموقف الامريكي هذا بأن آسيا الوسطى لم تشكل أهمية اقتصادية كبرى بالنسبة الى واشنطن وذلك لأنه لم يكن قد تم الكشف بعد عن الاحتياطيات الهائلة من الثروات الباطنية في هذه المنطقة رغم أنه قد كشف خلال عهد الاتحاد السوفييتي عن وجود الثروات الباطنية في منطقة قزوين. والأمر الثاني الذي يفسر ضعف الاهتمام الامريكي بآسيا الوسطى كانت العقبات التي برزت على طريق الاستغلال الاقتصادي للمنطقة والتي تمثلت في عدم الاستقرار السياسي فيها. والحرب الاهلية التي اندلعت سنة 1992 في طاجكستان لم تثبت ذلك فحسب وإنما أثارت مخاوف واشنطن حيال امكانية وقوع كافة منطقة آسيا الوسطى في قبضة الاسلاميين الاصوليين المدعومين حسب الولايات المتحدة من ايران المجاورة. ولهذا السبب فقد ركز الامريكان على تلك المشاكل التي كانت حسب رؤيتهم تعرقل تحقيق «الهدوء» في منطقة آسيا الوسطى.

مع دول آسيا الوسطى وتتعاون معها فيما يتعلق بالقضايا الامنية في المنطقة. وتركز واشنطن الاهتمام في الفترة الراهنة على التعاون الشامل في التعاطي مع سبل تسوية النزاع في افغانستان. وانطلاقا مما تقدم نرى انه من المجدي محاولة فهم المد الامريكي في الجيوسياسة الاقليمية. فمن خلال تحليل الاستراتيجيا الامريكية في آسيا الوسطى المعاصرة يحاول الخبراء تحديد عدد من المراحل الاساسية للتحولات التي شهدتها الاستراتيجية الامريكية في هذه المنطقة. لقد مر على تفكك الاتحاد السوفييتي وبروز دول مستقلة في آسيا الوسطى عشرون عاما ونيف. وتعاقب على إدارة البيت الابيض خلال هذه الحقبة كل من جورج بوش الأب، وبيل كلينتون، وجورج بوش الابن، وها هو الرئيس الرابع للولايات المتحدة خلال هذه الفترة باراك اوباما يتربع على كرسي الرئاسة الامريكي. وخلال العقدين الماضيين حدثت التغيرات على الساحة الدولية عموما وفي منطقة آسيا الوسطى ومحيطها خصوصا. والحدث الاهم الذي يمكن ادراجه ضمن هذه المتغيرات تأتي اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر على الولايات المتحدة سنة 2001 التي وضعت بداية للحملة العالمية على الارهاب. ونرى انه يمكن فعلا أخذ هذه الاعتداءات واعتبارها نقطة انطلاق جديدة لتحليل نهج واشنطن في منطقة آسيا الوسطى بشكل مرحلي تدخل ضمنه ايضا هجمات تنظيم القاعدة على الولايات المتحدة ومصالحها.

ان تفكك المنظومة السوفييتية كان هدفا استراتيجيا طالما حلمت به الولايات المتحدة، حدث هذا التفكك بشكل متسارع الى درجة ان واشنطن، بعد ان فقدت منافسها الابدى في العالم ثنائي القطب، باتت مذهولة حيال هذه المفاجأة ودخلت مرحلة من النشوة والارتباك. وأثار مجال ما بعد الاتحاد السوفييتي الذي ظهر على الساحة الدولية والذي وصفه بجيزينسكي «بالثقب الاسود»[9]، أثار هلع الولايات المتحدة بأبعاده وبتعددية وتباين العمليات التي انطلقت ضمنه والتي كان من الصعب

وكتب هوبكيرك بهذا الصدد أن «منطقة آسيا الوسطى تشهد اليوم اندلاع صراع جديد بين الدول الواقعة خارج نطاقها والتي بدأت تتناحر على سد الفراغ السياسي والاقتصادي الذي ظهر فجأة على خلفية انسحاب موسكو من هذه المنطقة. وأخذ المحللون السياسيون يتحدثون مجددا عن لعبة كبرى جديدة. ومن المعروف للجميع ان منطقة آسيا الوسطى تمتلك واحدا من أكبر كنوز القرن العشرين المتمثل في الاحتياطيات النفطية ومكامن الغاز الطبيعي وبكميات اكبر بكثير من الاحتياطيات التي تمتلكها المملكة العربية السعودية ودول الخليج الاخرى. والى جانب ذلك تمتلك المنطقة الاحتياطيات الهائلة من الذهب والفضة والنحاس والتوتياء والرصاص وفلزات الحديد ناهيك عن الفحم والأقطان. وسيصبح من الواضح ايضا السبب الذي يقف وراء الاهتمام البالغ الذي تبديه القوى الخارجية بقيادات دول منطقة آسيا الوسطى»[18].

والخارطة الجيوسياسية لمنطقة آسيا الوسطى تتميز اليوم بتنوع غير مسبوق، فتحظى هذه المنطقة بالاهتمام البالغ من قبل عدد كبير من اللاعبين المؤثرين على الساحة الدولية.

وتشغل روسيا وبشكل تقليدي موقعا ثابتا في هذه المنطقة. والصين يزداد تأثيرها هناك مع التنامي الحاصل في دور بكين على الحلبة الدولية. اما الاتحاد الاوربي فقد شرع في تطبيق نهج جديد خاص به في المنطقة متجسد في استراتيجيا الشراكة الجديدة. واليابان تدأب على تفعيل علاقات التعاون بينها ودول المنطقة عبر ما يعرف بآلية «حوار اليابان وآسيا الوسطى». والى جانب هذه الدول تسعى تركيا وايران والهند وباكستان وجمهورية كوريا وعدد من الدول العربية، تسعى الى تطوير علاقاتها مع دول منطقة آسيا الوسطى.

ولا بد هنا من الاشارة الى ان واشنطن هي الاخرى لا تقف متفرجة على ما يحدث حيث تسعى الى توسيع العلاقات الاقتصادية والسياسية

لا تزال تؤثر على صياغة الخطوط الاستراتيجية لنهج الدول الغربية في التعاطي مع منطقة آسيا الوسطى[14].

ومن بين الشخصيات التي أخذت بنظر الاعتبار الافكار التي تقدم بها هالفورد ماكيندر، كان ز. بجيزينسكي أحد صناع السياسة الخارجية للولايات المتحدة في القرن العشرين، والذي توقف في كتابه تحت عنوان «رقعة الشطرنج العظمى» وخلال تناوله مكانة آوراسيا في منظومة العلاقات الدولية، توقف عند مفهوم «هارتلاند»[15]. ولا بد من الاشارة هنا الى ان ز. بجيزينسكي يحاول الى حد ما تصحيح المعلومات التي اوردها هالفورد ماكيندر، مؤكدا على ان «المسألة الجيوسياسية اليوم لم تعد تقتصر على أي من الاجزاء التي لا بد من السيطرة عليها لتكون نقطة انطلاق لفرض السيادة على القارة، ولم تعد تقتصر ايضا، وهذا هو المهم، لم تعد تقتصر على: ان كانت السيطرة مطلوبة على الماء أم على البر. فالجيوسياسة قد اتسعت لتخرج عن النطاق الاقليمي لتشمل النطاق العالمي، رغم ان السيطرة على مجمل القارة الأوروآسيوية تشكل الأساس المركزي لفرض السيادة على العالم»[16].

وفي هذا السياق يصف بجيزينسكي ما سماه بمنطقة «البلقان الاوروآسيوية» التي تضم كلا من جمهوريات آسيا الوسطى الخمس اضافة الى أذربيجان وأرمينيا وجورجيا وافغانستان، يصفها بأهم منطقة في القارة الأوروآسيوية لما تحتويه من ثروات طبيعية وللمكانة الجيواستراتيجية الهامة التي تشغلها. ويشدد الخبير السياسي الامريكي على ان هذه المنطقة ليست إلا حلبة لتزاحم متعدد الاقطاب ونقطة ارتكاز هامة لتحقيق الهيمنة على العالم[17].

ولا يقل اهمية عما ذكره الخبير السياسي الامريكي ما أشار اليه رجل الاستخبارات البريطاني بيتر هوبكيرك فيما كتبه حول الأوضاع التي ستتشكل في هذه المنطقة الهامة من العالم على خلفية تفكك الاتحاد السوفييتي.

الوثيق بين الجغرافيا والتاريخ والسياسة. وينظر الى التقرير الذي تقدم به هالفورد ماكيندر كنطقة انطلاق لتطور الجيوسياسة لتتحول لعلم، (رغم ان مصطلح الجيوساسة لم يذكر في تقرير هالفورد ماكيندر). ويتكهن ماكيندر في تقريره خلال تناوله التوازن ما بين الدول الكبرى البرية والبحرية، يتكهن بأن كفة هذا الميزان وبدءا من عام 1900 الذي وضع نهاية للفتوحات الجغرافية العظمى سترجح في صالح الدول الكبرى بريا، وسيتكلل هذا الرجوح بظهور ما سيعرف بأوراسيا الغنية بثرواتها وبمنطقتها الشمالية الشرقية التي تشمل منطقة آسيا الوسطى المحاطة بالجبال من كل حدب وصوب والتي لن يتمكن الاسطول البحري من وصولها الى جانب احتوائها أجزاءا من منطقة الاورال وسيبيريا التي ستشهد تطورا عالي الوتيرة في مد السكك الحديدية العابرة للقارات. ويصف ماكيندر هذه المنطقة «بالمنطقة المحورية» في السياسة العالمية مؤكدا على ان الدور الرئيسي في هذه المنطقة سيكون في قبضة روسيا[12]. وفي عام 1919 يستبدل العالم الجغرافي البريطاني تسمية «المنطقة المحورية» بما سماه «هارتلاند»، أي («الارض التي تحمل شكل القلب»، و«الاراضي الوسطى»)، وظهرت في تلك الفترة ايضا الصيغة المعروفة التي وضعها وهي «من يتحكم بأوربا الشرقية سيتمكن من السيطرة على هارتلاند، ومن يتحكم بهارتلاند سيكون قادرا على السيطرة على الجزيرة العالمية، اي (أوراسيا وإفريقيا)، وان من يدير الجزيرة العالمية سيكون قادرا على التحكم بالعالم»[13].

والافكار التي تقدم بها هذا العالم وجدت صدى لها فيما طرحه عدد كبير من العلماء والخبراء الجيوسياسيين والذين من بينهم الامريكي ن. سبايكمان، والالماني ك. هاوسهوفر، حيث ان المفاهيم التي تقدم بها هذان العالمان لا تزال حتى يومنا هذا تحظى بالاهتمام في الغرب وبمعنى آخر

آسيا الوسطى. ومنظمة الامن والتعاون الاوربي تعتبر آسيا الوسطى منطقة محصورة ضمن اطار الجمهوريات السوفييتية السابقة آنفة الذكر. وفي هذا السياق تمكن الاشارة الى المفاهيم المعروفة للاختصاصيين والتي من بينها استراتيجيا الاتحاد الاوربي في منطقة آسيا الوسطى، و»حوار اليابان وآسيا الوسطى».

ودعونا دون التعمق في الماضي السحيق لهذه المنطقة، دعونا نتوقف عند بعض النقاط الاساسية لولوج آسيا الوسطى الى حلبة الجيوسياسة. وربما تم تناول آسيا الوسطى وبجدية للمرة الاولى عقب أن قررت الامبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر رسم حدودها الجنوبية، إذ أن الرغبة الروسية لم تكن نابعة من العلاقات التي تربطها بجيرانها الآسياويين، اي امبراطورية تشينغ الصينية وأفغانستان وايران وتركيا، بل ومن علاقاتها مع الدول الاوربية ايضا، وفي مقدمتها الامبراطورية البريطانية التي كانت تسعى لتوسيع نطاق تأثيرها الاستعماري على حساب المناطق المتاخمة للهند. واصطدمت المصالح الروسية والبريطانية على اراضي آسيا الوسطى في اواسط القرن التاسع عشر وأواخره. وتشكلت عقب تصادم العملاقين وبحثهما عن حلول وسطى ترضي كلا منهما، تشكلت ما راحت تعرف «باللعبة الكبيرة»[1]، ولا يزال هذا المصطلح يستخدم حتى يومنا هذا عندما يتعلق الامر بتزاحم الدول الكبرى على فرض نفوذها في منطقة آسيا الوسطى.

وأخذت الاهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة تسلك منحى جديدا لها منذ مطلع القرن العشرين، ولا يمكن على هذا الصعيد تجاهل الافكار التي تقدم بها واحد من خيرة الخبراء الكلاسيكيين في الشؤون الجيوسياسية وهو الخبير الجغرافي والمؤرخ البريطاني هالفورد ماكيندر، الذي تقدم بتاريخ 25 كانون الثاني/يناير 1904 الى الجمعية الملكية البريطانية الجغرافية بتقرير تحت عنوان «المحور الجغرافي للتاريخ» تحدث فيه عن الرابط

سيرغي نيقولايف

نائب مدير الدائرة الثالثة لدى وزارة الخارجية الروسية لشؤون رابطة الدول المستقلة، دكتور في العلوم السياسية

آسيا الوسطى في الجيوسياسة: المد الامريكي (بين عامي 1991-2008)

رأي شخصي للمؤلف

تحظى منطقة آسيا الوسطى بتاريخ ثري وحافل بالأحداث والتطورات الى جانب طريق الحرير العظيم الذي كانت التجارة تعبره بين أوربا والصين. وشهدت اراضي آسيا الوسطى الحروب الطاحنة التي خاضتها الجيوش الصينية والمنغولية والفارسية والتركية والعربية، وقامت الحضارات واندثرت على أراضيها وشيدت المدن فيها وتوسعت الامبراطوريات وتقهقرت. وانطلاقا من ذلك كان ينظر الى آسيا الوسطى من مختلف مناظير ابحاث الجغرافيا وغيرها باهتمام منقطع النظير.

وتحولت منطقة آسيا الوسطى في اعقاب تفكك الاتحاد السوفييتي الى كيان جيوسياسي مستقل يضم ضمن نطاقه كلا من كازاخستان وقرغيزيا وطاجكستان وتركمانيا واوزبكستان. وترسخ هذا الكيان في المنظور الروسي الجديد (رغم ان منطقة آسيا الوسطى كانت تسمى في عهد الاتحاد السوفييتي بمنطقة آسيا الوسطى وكازاخستان)، والاغلبية الساحقة من الخبراء الغربيين والشرقيين أيضا تتعاطى وفقا لهذا المنظور مع منطقة

وأعلم بوجود العراقيل التي تعتري عبور المعابر، ولكن هذه العقبات يمكن تحملها، ولهذا السبب أود انتهاز الفرصة والتوجه الى مواطني بلادنا بالقول: إن عقدت العزم على زيارة الأراضي المقدسة، فزرها!

«**الاحداث السياسية الدولية**»: حدثنا لو تكرمت عن الصفة التي ستمنح للأراضي الأرثوذوكسية الروسية في فلسطين، وعن سبل تطوير هذه الاراضي واستغلالها.

ستيباشين: في أريحا تم انجاز كافة الاجراءات والأراضي التي خصصت في هذه المدينة اصبحت من ممتلكات روسيا الاتحادية. وقررت الحكومة الروسية تخصيص الاموال من الموازنة العامة من أجل هذه الاغراض، والإدارة المعنية بشؤون هذه الاراضي تواصل الجهود اللازمة لتطويرها وما يوجد عليها. أما في الخليل فقد تم تثبيت ملكية بلادنا على جزء من الأراضي المخصصة، في حين جرى بحث مصير الاراضي الاخرى المخصصة خلال اللقاء الذي عقده الرئيس محمود عباس مع قداسة البطريرك كيريل بطريرك موسكو وسائر روسيا. وفي بيت لحم فقد تم الحصول على ترخيص بالأراضي المخصصة وسيتم في غضون بضعة أشهر انجاز كافة الاجراءات القانونية لإنهاء كافة الحيثيات المتعلقة بالحصول التام على ملكيتها. والى جانب ذلك يسعني هنا تسليط الضوء على وجود عدة جهات مستعدة لتقديم الاموال لاستثمارها في تنمية هذه الاراضي المقدسة وتطويرها.

الكلمات الرئيسية: فلسطين، الجمعية الامبراطورية الارثوذوكسية الفلسطينية، الأراضي المقدسة، أريحا، بيت لحم، الخليل، قطاع غزة، القدس، إسرائيل.

موحدة وهذا ما يدركه جيدا الرئيس عباس. وآمل أن يدرك ذلك ايضا كل من بيده القرار في قيادة حماس بالقطاع. وهذه المسائل من وجهة نظري تشكل المشكلة الاولى على هذا الصعيد، واقول ذلك انطلاقا من رجل عمل في السياسية وقام بزيارة فلسطين وإسرائيل ولأكثر من مرة وتحدث للقادة السياسيين، حيث التقيت عمليا بكافة القادة السياسيين الفلسطينيين والاسرائيليين.

ومن خلال ذلك ارى ان عباس محق في الجهود التي يبذلها وأعرب عن تأييدي له على هذا المسار وأعتقد ان معظم دول الشرق الاوسط تشاطر هذا الموقف. أما ايران فلها موقفها الخاص، وارى انه يتعين على روسيا الاتحادية ان تجري حوارا أنشط مع طهران، وليس على صعيد برنامج ايران النووي فحسب، وإنما فيما يتعلق بالمسائل الفلسطينية ايضا. وإذا ما اردنا التحدث في صلب هذه المسائل فأرى انه يتعين على بلادنا والولايات المتحدة ان تلعبا الدور الحاسم في تحقيق التسوية في الشرق الاوسط.

«الاحداث السياسية الدولية»: لوحظ في الآونة الاخيرة ازدياد النشاطات الرياضية الروسية الفلسطينية المشتركة. هل ترجح تطور هذه النشاطات؟

ستيباشين: بكل تأكيد. ولقد اتفقنا على استضافة فريق كرة القدم الفلسطيني في بلادنا، وليرى هؤلاء الرياضيون الملاعب الموجودة عندنا. ولكنني اريد الاشارة هنا الى انه لا يتعين علينا الاكتفاء بتفعيل النشاطات الرياضية فحسب، إذ أن تطوير السياحة يحظى بأهمية بالغة. وإنني على علم أكثر من غيري بشوق الروس لزيارة الاراضي المقدسة وفي مقدمتها القدس وبيت لحم ما لهما من قدسية دينية خاصة حيث ولد عيسى عليه السلام وترعرع وأمضى حياته فيهما. أما الخليل فعدد من يعرفها قليل، في حين أريحا تكاد لا تكون معروفة بالنسبة الى الجميع. ولا بد لي هنا من التنويه بالمشاعر الحارة التي يكنها الفلسطينيون لمواطني بلادنا كما كانت الحال في العهد السوفييتي، وأذكر بأن الفلسطينيين بانتظارنا.

الارثوذوكسية الشرقية وغيرها على الاراضي الفلسطينية مع الاسلام جنبا الى جنب. وتشكل المواطنات الروسيات والسوفيتيات من قبلهن اللائي تزوجن من فلسطينيين، تشكلن نسبة لا بأس بها من مسيحيي الاراضي الفلسطينية. وهنا أريد القول ان الامر لا يقتصر على النواحي الدينية حيث ان الفلسطينيين يكنون قدرا كبيرا من الاحترام لروسيا ومواطنيها. وهم لا ينسون الاتحاد السوفييتي ويحبون ثقافتنا وفنوننا.

وتواصل هيئتنا اليوم تعاونها مع ادارة الحسابات العامة الفلسطينية التي يعمل فيها حوالي 100 موظف من ذوي الكفاءات العالية والذين انهوا تعليمهم في الاردن ولبنان وفي دول اخرى. واجرينا الحسابات المشتركة مع هذه الادارة، وعندما تتبعنا سبل انفاق الاموال التي تقدمها بلادنا الى الاراضي الفلسطينية، وجدنا أن هذه الاموال تنفق على قطاعات الصحة والتعليم وتحققنا من انها قد انفقت بشكل مجدي وعلى الأغراض المخصصة من أجلها. وبالمناسبة قد أطلعت بنيامين نتنياهو على ذلك خلال اللقاء الذي عقدته معه. واعرب نتنياهو عن دهشته وقال بشكل مفاجئ: «أمر حسن انكم تقومون بإجراء الحسابات بشكل مشترك، ويمكننا الاطمئنان الآن حيال ان هذه الاموال لا يتم توجيهها لتمويل الارهابيين». ولقد اتفقنا والرئيس عباس على مواصلة مثل هذه النشاطات المشتركة في الحسابات وتتبع الاموال.

«الاحداث السياسية الدولية»: من المعروف الآن ان العقبة الاساسية التي تعتري طريق التسوية في الشرق الأوسط هي الاعتراف بالدولة الفلسطينية المستقلة. والموقف الدولي حيال ذلك معروف. فما رأيك الشخصي حول هذه المسألة، وهل ان الاوضاع الداخلية الفلسطينية تتعرض للتغيير؟

ستيباشين: من الصعب علي الآن الحكم لأنني قد زرت قطاع غزة آخر مرة سنة 1998 حيث كان الرئيس الراحل ياسر عرفات على قيد الحياة. ولكن من الواضح انه من المتعذر دون حل مشكلة حركة حماس، وبدون حل مشاكل قطاع غزة، من المتعذر التحدث عن دولة فلسطينية

اكتوبر 2010 بمرور عشرة آلاف عام على انطلاقة الحياة واستمرارها فيها. وأريد التأكيد على ان هيئة الرقابة والتفتيش الفدرالية الروسية ستسهم في الحفاظ على شجرة الجميز في هذه المدينة الخالدة، إذ ان هذه الشجرة هي الشاهد الوحيد الحي على وجود المسيح عليه السلام. وذكر في العهد الجديد ان زكا العشار كان رئيس العشارين (جامعي الضرائب) في عهد الإمبراطورية الرومانية التي كانت تحكم فلسطين. وحينما كان يسير عيسى عليه السلام في اريحا ذات يوم وكانت الحشود تحيط به، صعد زكا العشار الى شجرة الجميز التي لا تزال واقفة في اريحا حتى يومنا هذا، صعد اليها ليتمكن من رؤية المسيح الذي ناداه قائلا: انزل من على الشجرة لأنني اريد اليوم المكوث في بيتك. فأسرع ونزل وقلبه فرحا، فلما رأى الجميع ذلك تذمروا قائلين انه دخل ليبيت عند رجل خاطئ. فوقف زكا وقال للرب ها أنا يارب أعطي نصف اموالي للمساكين وإن كنت قد وشيت بأحد ارد اربعة اضعاف. فقال له يسوع: اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو ايضا ابن ابراهيم. لأن ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك. ويمكن مما ذكرته عن شجرة الجميز هذه التقريب بين حقائق التاريخ الغابر وواقع يومنا المعاصر، ويمكننا هنا القول ان زكا العشار كان كبير محاسبي عيسى عليه السلام وهذه الصفة تشبه المهام التي تقوم بها اليوم الهيئة الفدرالية الروسية للرقابة والتفتيش.

وتجدر الاشارة الى اننا قد شيدنا في أريحا مركزا ثقافيا روسيا بدأ العمل فيه وراح يستقبل الزوار. أما في بيت لحم فقد تم تخصيص قطعة ارض والاجراءات القانونية مستمرة لتثبيت الملكية عليها.

ولا بد من التذكير هنا ايضا بأن الرئيس عباس شأنه شأن اقطاب السلطة الفلسطينية والمواطنين الفلسطينيين العاديين معني بعودة الثقافة الروسية الى الاراضي الفلسطينية كما كانت الحال عليه في العهد السوفييتي بما في ذلك المدارس والتعليم واللغة والتقاليد الروسية. وتتعايش المسيحية

سيرغي ستيباشين

رئيس الهيئة الفدرالية الروسية للرقابة والتفتيش،
رئيس الجمعية الامبراطورية الارثوذوكسية الفلسطينية

إن عقدت العزم على زيارة الأراضي المقدسة، فزرها

مجلة «الاحداث السياسية الدولية»: حدثنا لو سمحت بصفتك رئيس الجمعية الامبراطورية الارثوذوكسية الفلسطينية حول العلاقات التي تكونت لديك مع فلسطين، وعن العلاقات الشخصية التي تربطك بسعادة محمود عباس رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية.

ستيباشين: في مستهل الحديث أعلق ما اشرت اليه حول السيد محمود عباس الذي اسميه «الرئيس عباس»، في حين هو يناديني «الرفيق سرغي». وأنا على معرفة قديمة به في موسكو وفي فلسطين، والتقينا والرئيس عباس لمرات عدة، وتربطنا علاقات الود المتبادل والصداقة.

وتناولنا خلال اللقاءات المتعددة التي جمعتنا في الآونة الاخيرة، تناولنا المسائل المتعلقة بالاراضي التي اعادتها وهبتها فلسطين من جديد لبلادنا في الاراضي المقدسة، في كل من اريحا وبيت لحم وفي الخليل ايضا. ويسعني هنا التذكير بأن بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح. اما اريحا فهي من اقدم مدن العالم، حيث احتفل في العاشر من تشرين الاول/

سيرغي ستيباشين: «إنني على علم أكثر من غيري بشوق الروس لزيارة الاراضي المقدسة وفي مقدمتها القدس وبيت لحم ما لهما من قدسية دينية خاصة حيث ولد عيسى عليه السلام وترعرع وأمضى حياته فيهما. أما الخليل فعدد من يعرفها قليل، في حين أريحا تكاد لا تكون معروفة بالنسبة الى الجميع. ولا بد لي هنا من التنويه بالمشاعر الحارة التي يكنها الفلسطينيون لمواطني بلادنا كما كانت الحال في العهد السوفييتي، وأذكر بأن الفلسطينيين بانتظارنا. وأعلم بوجود العراقيل التي تعتري عبور المعابر، ولكن هذه العقبات يمكن تحملها، ولهذا السبب أود انتهاز الفرصة والتوجه الى مواطني بلادنا بالقول: إن عقدت العزم على زيارة الأراضي المقدسة، فزرها!»

سيرغي نيقولايف: «أظهرت الابحاث الاضافية التي اجراها الخبراء الغربيون ان قاع قزوين يمتلك كبرى من النفط والغاز الطبيعي، وأطلعت الخارجية الامريكية الكونغرس على هذه المعلومات سنة 1997. وصارت الولايات المتحدة تنظر الى ثروات قزوين من الهيدروكربونات على انها عامل جدي في تخفيف اعتماد الولايات المتحدة على استيراد الخامات من دول الخليج، ما حض واشنطن على ادراج منطقة قزوين ضمن قائمة المناطق ذات الاهمية الاستراتيجية بالنسبة الى الولايات المتحدة.»

وان عملية قتل القذافي، والتعامل مع جثته الهامدة لا بد لها من ان تكون عبرة لمن يعتبر ليس من الدكتاتوريين والمستبدين فحسب، وإنما عبرة لكل من يعتبر نفسه إنسانا.

الكلمات الرئيسية: قتل القذافي، الفساد في ليبيا، السفراء الروس في ليبيا.

تشرك قوات الحركات الفسطينية في حروبها في إفريقيا مثل الحرب التي خاضتها طرابلس مع تشاد. وكان الجانب الليبي ايضا على علم بمعلومات كثيرة عن علاقات الاستخبارات الدولية بالمنظمات الارهابية.

وكان القذافي الى جانب ذلك يقدم التمويل المباشر للجيش الجمهوري الايرلندي، ولحركة من اجل الحقوق المدنية للسود في الولايات المتحدة، وللحملة الانتخابية لنيكولا ساركوزي، الى جانب القسط الذي حصل عليه من التمويل الانتخابي توني بلير.

وكانت تقدر ثروة القذافي حتى بدء الاحداث في بلاده بحوالي 110 مليارات دولار. وبقيت حوالي 38 مليار دولار في حوزة ورثة القذافي في البنوك الآسيوية والافريقية وفي بنوك بعض دول أمريكا اللاتينية وذلك عقب تجميد الاموال الليبية في البنوك الغربية.

وكان الفساد في ليبيا في ظل حكم القذافي يحمل طابعا أسريا وعائليا ومنهجيا، حيث كانت الجماهيرية في عهده مجرد مؤسسة يديرها معمر القذافي وابناؤه، وخيوط هذا الفساد كانت تمتد الى مناطق بعيدة خارج نطاق حدود ليبيا.

ولو انه تم اعتقال القذافي وتقديمه الى محكمة الجنايات الدولية، لشكل إعلانه في المحكمة عن الاستغلال الجائر للثروات الليبية والافريقية نوعا من الحرج للدول الغربية. اما حالات الفساد والرشوة التي كان القذافي على علم بها، كانت ستفجر فضائح كبيرة ومدوية ربما لها ان تطال الكثيرين، وهذه هي الاسباب التي يؤكد الدبلوماسيون الروس على انها سعت الى الحيلولة دون تقديم القذافي لمحكمة الجنايات الدولية.

وكان من غير المقبول في اليوم التالي لعملية قتل القذافي التزام الصمت وعدم الإعراب عن الامتعاض والشجب للوحشية التي قتل بها زعيم الجماهيرية، والتأكيد على الامتعاض جراء ان مشاهد القتل هذه اصبحت في متناول الجميع، وهذا ما أعرب عنه الرئيس الامريكي باراك اوباما.

وعقدت مؤخرا مجلة «الاحداث الدولية» ومعهد الابحاث الدولية التابع لجامعة موسكو الحكومية للعلاقات الدولية جلسة شارك فيها سفراء سوفييت وروس لدى ليبيا التي عملوا فيها طوال العقدين المنصرمين. وطرح على السفراء في الجلسة السؤال التالي: «عماذا كان للقذافي ان يفصح لمحكمة الجنايات الدولية؟».

وكان رد الخبراء على النحو التالي: ان القذافي كان على اطلاع كبير على قضية تفجير الطائرة الفرنسية سنة 1989 في اجواء النيجر، حيث استطاع الفرنسيون الاستحصال منه على التعويضات المالية عن حياة ضحايا كارثة تحطم الطائرة رغم ان هذه التعويضات كانت اقل بكثير من تلك التي قدمتها ليبيا فيما بعد لأهالي ضحايا كارثة طائرة لوكربي.

ولا تزال قضية كارثة لوكربي ملفوفة بالضبابية حتى الآن رغم التحقيقات التي اجريت للكشف عن ملابساتها. ولم يكن التوصل الى حل لقضية لوكربي إلا صفقة أبرمت بين طرابلس ولندن تم من خلالها الإفراج عن عبد الباسط المقرحي المتهم الليبي الوحيد والمدان بتورطه بقضية لوكربي والذي استقبل في ليبيا استقبال الابطال سنة 2009. وحصلت بريطانيا مقابل الافراج عن المقرحي، حصلت بالدرجة الاولى على عقود لشركة «بي بي» االنفطية لاستخراج النفط والغاز في ليبيا قدرت بحوالي 18 مليار دولار.

وفي سياق العلاقات الشائكة بين ليبيا والغرب لا يمكن تجاهل اتهام ليبيا بالتفجير الذي استهدف الجنود الامريكيين في ناد ليلي بألمانيا، وتوجيه طائرات الولايات المتحدة وبريطانيا على إثر هذه الاتهامات ضربات جوية لطرابلس وبنغازي في نيسان/ابريل 1986.

والى جانب ذلك كانت تربط الجماهيرية علاقات وطيدة بمختلف المنظمات والحركات الفسطينية، وبالدرجة الاولى بالزعيم الحركي الفلسطيني ابو نضال، وبجبهة التحرير الفلسطينية، حيث كانت ليبيا في بعض الاحيان

وكما أشرت أعلاه لا توجد اسرار نفطية محضة، إذ ان هذه الاسرار تختلط دوما بالسياسة. وأجرت الدول الغربية والولايات المتحدة في مقدمتها المساومات السياسية والاقتصادية مع القذافي. وكانت الاموال الطائلة التي جمعتها ليبيا من عائدات النفط كافية لتمكين القذافي من حل المشاكل الداخلية لليبيا وجعل البلاد اكثر استقطابا للعمالة المصرية، والتونسية وغيرها، ما يمكن القذافي بهذه الصورة استغلال هذه العمالة لتسخير تأييدها السياسي له في بلدانها.

وكان القذافي مولعا بالوقوف أمام خارطة بلاده واخذ الصور التذكارية وتسجيل المشاهد والمقابلات التلفزيونية امامها، وهو يرتدي الأزياء الشعبية الافريقية اللافتة، وصار القذافي في الآونة الاخيرة من حقبته يشعر بنفسه قائدا ومدافعا عن مصالح القارة الافريقية. وشرع القذافي في السنوات الاخيرة في تطبيق خطة جريئة فريدة من نوعها من خلال وضع برنامج عام لتقديم القروض بنسب زهيدة وفي بعض الاحيان دون نسب للدول الافريقية معتمدا على الاموال الطائلة التي تكدست لدى بلاده، ملحقا بذلك ضربة قوية بالتأثير السياسي والاقتصادي لصندوق النقد الدولي على العالم.

أما الولايات المتحدة فقد كانت متخوفة بشكل خاص من خطط القذافي الرامية الى اصدار عملة افريقية موحدة كان لها ان توجه ضربة قاصمة للدولار الامريكي. ولا بد من التذكير بأن افريقيا تمتلك الثروات الهائلة التي يمكن القول إنها الاخيرة في العالم والتي لا تزال كامنة وبحاجة الى استثمارها. ومن هنا فإن محاولات الزعيم الليبي السابق بسط سيطرته على هذه المقدرات كانت أمرا غير مسبوق ومرفوض قطعا من قبل دول الغرب، ناهيك عن امكانية عقد القذافي في المستقبل تحالفا متينا مع الصين التي راح يوجه الانظار نحوها في الآونة الاخيرة.

الليبي من افضل الانواع. وصارت بادية للعيان اليوم حقيقة تتمثل في إن كنت قريبا من النفط، فإنك ستصبح قريبا من السياسة الدولية، وسيصبح في حوزتك الكثير من وسائل الضغط التي يمكنك استخدامها في تحقيق مآربك، وليتسع بذلك نطاق تواصلك مع النخب السياسية السلطوية ونخب الاعمال على امتداد العالم.

ومن كان لا يتمنى مصافحة زعيم الجماهيرية الليبية وقائد ثورتها القذافي من الملوك والرؤساء، ومدراء الشركات النفطية وكبار المتاجرين بالبترول ومن ضمنهم شركة «تي ان كا» الروسية. ولا يسعنا في هذا السياق إلا التذكير بأن الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف تقدم مرة الى سلم الطائرة شخصيا لاستقبال القذافي في موسكو خارقا بذلك كافة تقاليد البروتوكول في مثل هذه الحالات، وعجالة رئيس الحكومة الايطالي سيلفيو برلوسكوني بمصافحة القذافي وعناقه بحرارة تعبيرا منه عن الحب والتقدير الذي يكنه له.

وتشير الاحصائيات المعلنة الى ان ليبيا تمتلك اكبر احتياطيات نفطية في افريقيا، والى ان حجم النفط الليبي المستخرج بمساعدة الشركات الامريكية حتى عام 2008 وصل الى ثلث كميات النفط الليبي المستخرجة. ولكن ما كشفت عنه وكالة «ويكيليكس» قبيل زيارة وزيرة الخارجية الامريكية كونداليزا رايس الى الجماهيرة سنة 2008 اشار الى «تنامي النزعة الوطنية الليبية» وهذا ما نشرته «ويكيليكس» نقلا عن مراسلات دبلوماسية امريكية. وكان القذافي في تلك الفترة عازما على زيادة ايرادات بلاده النفطية من خلال زيادة نسب التعويضات المالية الاولية المفروضة على الشركات النفطية الاجنبية العاملة في ليبيا. وقال القذافي بهذا الصدد: ان الشركات النفطية الليبية باتت خاضعة لإدارة الاجانب الذين حصدوا الملايين، وحان الوقت الآن كي يحل الليبيون محل هؤلاء الاجانب ويجمعون بأنفسهم هذه الاموال.

وان كان المقصود إفزاع الرئيسين السوري بشار الاسد واليمني علي عبد الله صالح، فإن العبرة هنا لا تحمل اي معنى لها. الولايات المتحدة تعجلت في تسليم رأس محمد حسني مبارك الى المعارضة، متناسية ان مبارك كان حليفا قويا للولايات المتحدة لسنوات طويلة. وهنا يمكن ترجيح عكس ذلك، إذ ان الدكتاتوريين عقب رؤيتهم لما حل بالقذافي سيشرعون بمحاربة المعارضة حتى الرمق الاخير، وفي حالة سورية فإن خروج الاوضاع فيها عن السيطرة ينذر بإراقة كبيرة للدماء.

ومع ذلك كنا نسمع اصوات منفردة خجولة. وفي خضم الأحداث في ليبيا اعترف الخبير الاجتماعي جان تسيغلير بأنه كان يأمل في ان يتم القاء القبض على القذافي وتقديمه لمحكمة الجنايات الدولية. والملفت على هذا الصعيد ان أيا من زعماء وقادة قوات التحالف الدولي ضد ليبيا لم يتفوه ولو بكلمة واحدة من هذا القبيل، ولم يعرب عن تعطشه لرؤية القذافي وراء قضبان محكمة الجنايات الدولية، فما الاسباب من وراء هذا الصمت؟

السؤال الذي يطرح تلقائيا هنا يتلخص في التالي: «وما كان للقذافي ان يفصح عنه للمحكمة الدولية؟». عرفت عن الزعيم الليبي مهاراته الخطابية والفصاحية، وبالإضافة الى ذلك عرفت عن القذافي ايضا وبتأكيدات ميخائيل غوسمان الذي أجرى معه مقابلة للتلفزيون الروسي، عرفت عنه طريقته في التحدث عما يروق له والتأكيد على المواقف التي يتبناها بغض النظر على الاسئلة التي يطرحها عليه محاوره.

ولم تكن المقارنة بين القذافي وميلوشوفيتش في صالح الأخير عقب صدور قرار الامم المتحدة بحق القذافي.

ولكن وعلى ما يبدو فإن الامر لا يتعلق بالقدرات الخطابية التي كان يتمتع بها القذافي. ومن المعروف ان صربيا ليست غنية بالنفط، في الوقت الذي تمتلك فيه ليبيا احتياطيات ضخمة منه، خاصة وان النفط

أرمين أوغانيسيان

رئيس تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»

oganessian@interaffairs.ru

عماذا كان للقذافي
ان يفصح لمحكمة الجنايات الدولية؟

هذه المادة تنشر ضمن إطار مشروع «من المصدر» لوكالة «ريا نوفوستي»

//www.rian.ru/anthois/20100204/207658418.html

تلقفت الصحافة الغربية (ربما باستثناء الصحافة الالمانية) وبلهفة العبارة التي أطلقها الرئيس الامريكي اوباما حينما وصف عملية قتل القذافي بأنها عبرة للدكتاتوريين، تلقفتها وراحت تتناقله. وبناءا على ذلك يطرح هنا السؤال نفسه حول «ما هي العبرة التي يعنيها اوباما على وجه التحديد؟»، وما العبرة التي كانت اكبر في التاريخ هل في تعليق موسوليني وعشيقته في ايطاليا رأسا على عقب، ام محاكمة نيورنبيرغ التي كشفت عن وجه النازية الحقيقي المعادي للإنسانية؟ ارى ان الاجابة على هذا السؤال غير قابلة للتأويل وذلك لتعذر المقارنة التاريخية بين الشخصيات التي يراد استخلاص العبر من مصائرها.

عامود رئيس التحرير

ارمين اوغانيسين: «صارت بادية للعيان اليوم حقيقة تتمثل في إن كنت قريبا من النفط، فإنك ستصبح قريبا من السياسة الدولية، وسيصبح في حوزتك الكثير من وسائل الضغط التي يمكنك استخدامها في تحقيق مآربك، وليتسع بذلك نطاق تواصلك مع النخب السياسية السلطوية ونخب الاعمال على امتداد العالم. ومن كان لا يتمنى مصافحة زعيم الجماهيرية الليبية وقائد ثورتها القذافي من الملوك والرؤساء، ومدراء الشركات النفطية وكبار المتاجرين بالبترول ومن ضمنهم شركة «تي ان كا» الروسية. ولا يسعنا في هذا السياق إلا التذكير بأن الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف تقدم مرة الى سلم الطائرة شخصيا لاستقبال القذافي في موسكو خارقا بذلك كافة تقاليد البروتوكول في مثل هذه الحالات، وعجالة رئيس الحكومة الايطالي سيلفيو برلوسكوني بمصافحة القذافي وعناقه بحرارة تعبيرا منه عن الحب والتقدير الذي يكنه له.»

الى غير رجعة. ورغم ذلك يوجد التحالف الامريكي الياباني، الى جانب العلاقات المتميزة، التي تربط بين واشنطن واوستراليا، وبينها وجمهورية كوريا الجنوبية. وتواصل الولايات المتحدة تأكيداتها على نيتها تطوير العلاقات التحالفية بينها وهذه الدول، وفي الميدان الامني ايضا. وتم على هذا المسار اتخاذ حزمة من الخطوات العملية من بينها على سبيل المثال قرار نشر قوات عسكرية كبيرة في اوستراليا. ونتيجة لذلك لا نرى تحالفات بعينها، وإنما نلمس وجود صيغ متعددة الهيكليات للحوار والتعاون المشترك في قضايا معينة.

اقترحت موسكو ومنذ فترة طويلة وضع آليات جماعية لمعالجة القضايا الامنية، وعلى سبيل المثال في منطقة شمال شرقي آسيا، إضافة الى اقتراحات بلادنا المتعلقة باتخاذ قدر معين من الاجراءات الهادفة لخلق الثقة. وهذه الخطوات تتقاطع مع ما تم اتخاذه في عدد من المناطق الاخرى في العالم، بيد أن هذه الخطوات لا تعبر عن انتقال آلي لأي من الظواهر، التي يمكن تعميمها على ما يخص المناطق الاخرى. وربما يمكن وصف مثل هذه الاجراءات بأنها ليست إلا تسهيلا لحل القضايا العالقة، في حين لا بد من حل المشاكل بطرق ترضي كافة الاطراف.

الكلمات الرئيسية: الدفاع الصاروخي، معاهدة الاسلحة الهجومية الاستراتيجية، معاهدة الأسلحة التقليدية في أوربا، مجموعة «بريكس»، «آسيان».

الإشارة الى ان الحوار السياسي بين موسكو ودول المنطقة يشهد تفاعلا ملحوظا. وأجريت في موسكو يومي السابع والثامن من كانون الأول / ديسمبر فعاليات هامة خلصت الى تشكيل لجنة رفيعة المستوى للعمل المشترك بين موسكو وفنزويلا. ويومي 12 و13 منه انعقدت في المكسيك اعمال جلسة اللجنة الروسية المكسيكية الحكومية المشتركة، وتمخضت عنها نتائج جيدة.

ارمين اوغانيسيان: سؤال من مينسك. الولايات المتحدة أضحت اليوم تضع منطقة آسيا والمحيط الهادي ضمن نطاق اولوياتها الاستراتيجية، على صدى إعلان وزيرة الخارجية الامريكية ان المستقبل الجيوسياسي يتحدد في آسيا. والسؤال، الذي يطرح نفسه هل من الممكن التعاون بين موسكو وواشنطن على هذا الصعيد، ام انهما سنضطران للمجابهة مجددا؟

سيرغي ريابكوف: إننا نتعاون منذ فترة بشكل مكثف على اصعدة عدة من ضمنها ما يتعلق بقضايا منطقة آسيا والمحيط الهادي. والولايات المتحدة تترأس العام الجاري منتدى منطقة آسيا والمحيط الهادي للتعاون الاقتصادي، وستنتقل الرئاسة السنة المقبلة الى بلادنا.

ونحن نتعاون بشكل لا بأس به مع واشنطن ضمن اطار منظمة «آسيان». ولا يمكن للتواجد الروسي والامريكي في كافة اصقاع العالم ان يشكل مادة للمنافسة المستمرة. نواجه الصعوبات، التي لا مفر منها، بيد ان هذه الصعوبات ليست على غرار، التي واجهناها في السابق خلال حقبة المجابهة العالمية.

ارمين اوغانيسيان: سؤال من ريغا. هل من الممكن تشكيل منظمة عسكرية كبرى في منطقة آسيا والمحيط الهادي تحت رعاية الولايات المتحدة، وهل يمكن لمثل هذا الحلف في حال تشكله استهداف كل من روسيا والصين؟

سيرغي ريابكوف: إننا نعارض بشكل تام كافة اشكال التعاطيات التحالفية. وهذه العبارات ليست دبلوماسية إلا انني سأستخدمها لانها تعكس لب التعاطي المقصود. وانطلاقا من ذلك نرى ان عهد الاحلاف قد مضى

بالمهنية وبعيدا عن التحيز، وأنه لا يسمح لنفسه بالانجرار الى مثل هذه اللعب السياسية.

ارمين اوغانيسيان: سؤال من سفيتلوغورسك. كيف لكم ان تقيموا مستوى تطور العلاقات بين روسيا ودول امريكا اللاتينية خلال العام 2011؟

سيرغي ريابكوف: تشهد العلاقات مع دول أمريكا اللاتينية عموما تطورا لا بأس به. ولقد استمر في العام المنصرم العمل على تطبيق المشاريع، التي جرى الإعداد لها خلال بضعة اعوام مع دول مثل البرازيل، والارجنتين، وكوبا، ونيكاراغوا، وفنزويلا ودول اخرى. ولا بد بهذه المناسبة من الاشارة الى توريد المعدات والاجهزة اللازمة لتشييد محطة كهرومائية في الاكوادور، حيث تم التوقيع على الاتفاقيات ذات الشأن، وتم ايجاد مصادر التمويل، وتوريد المعدات والاجهزة مستمر على قدم وساق، ناهيك عن الطموحات الرامية الى المشاركة في عطاءات اخرى في هذا الميدان. ويشغل حقل توريد الطائرات المروحية الروسية الى دول امريكا اللاتينية، وتنويع المستوردات الروسية من هذه الدول، يشغل حيزا واسعا في التعاون. والى جانب ذلك تواصل شركة «روسآل» الروسية توسيع نشاطاتها في غويانا، وفي جمايكا، إذ يعتبر ذلك توظيفا كبيرا في التعزيز العام لعلاقات التعاون بين روسيا ودول المنطقة ليشمل ذلك توسيع الوجود السياسي الروسي هناك. اما التعاون مع كوبا فيتسم بالنشاط في عدة مجالات في مقدمتها ميدان استخراج النفط والغاز. ولا بد من التنويه بتمكن شركة «Yota» العاملة في حقل تصنيع وإدخال شبكات الاتصال الخليوي من الجيل الرابع من تعزيز مواقعها في امريكا الوسطى، إذ من الممكن عبر نيكاراغوا الوصول بنشاطات هذه الشركة لتطال الدول المجاورة، والملفت في هذا المشروع انه تجاري ولا يقوم على اساس من التمويل الحكومي. ورغم ذلك لا يسعنا هنا تجاهل التدخل الحكومي في تطبيق المشروعات بالمنطقة، حيث قامت روسيا بتوريد الحبوب الى كوبا ونيكاراغوا على شكل مساعدات انسانية، وتجدر

الى عكس ذلك. اما الولايات المتحدة فهي مصرة على ان إحياء الثقة ببرنامج ايران النووي غير ممكن إلا عن طريق تشديد العقوبات على الجمهورية الاسلامية، حيث تسعى واشنطن من خلال ممارسة الضغوطات الى إرغام ايران على تغيير نهجها السياسي وحضها عمليا على تقديم التنازلات. ونحن نرى ان هذا السبيل سيصل الى طريق مسدود، لأن طهران لن تقدم اية تنازلات تحت الضغوط ولا يمكن للعقوبات إلا ان تعقد الاوضاع عوضا عن حلها. ونحن نرى ان هذه العملية غاية في الخطورة، إذ يتعين بذل أكبر قدر من الجهود من اجل التوصل الى اتفاق يجد مخرجا من هذا المأزق.

ارمين اوغانيسيان: سؤال من دونيتسك بأوكرانيا. ما الأسباب من وراء عدم ثقة روسيا بالتقرير الذي قدم لدورة مجلس الوكالة الدولية للطاقة الذرية حول برنامج طهران النووي؟

سيرغي ريابكوف: ان الأمر لا يقتصر على اننا لا نصدق بما ورد في هذا التقرير أم نثق به. الامر متعلق بما ورد فيه من وقائع جديدة، وبالغرض، الذي اصدر هذا التقرير من اجله، حيث ان المعلومات، التي تم جمعها وقدمت الى دورة مجلس الوكالة الدولية للطاقة الذرية كنا على علم بها منذ وقت بعيد. ولكن في حال تم جمع السلبيات والمشاكل وأدراجها في تقرير مكون من عشرين صفحة، فعندها ستكون الغاية من وراء ذلك خلق أثر سياسي تم ادخاره. والملفت انه يتم تسخين المشاهد في تلك اللحظة، التي اعلن فيها الجانب الايراني عن استعداده لاستئناف المفاوضات، والعمل بالمقترحات، التي تقدمت بها روسيا الاتحادية للخروج من ازمة برنامج طهران النووي. ويمكن هنا استنتاج حقيقة انه تم استخدام الوقائع المعلومة سابقا لجعلها أداة سياسية تستخدم في إجهاض المفاوضات. وهذا ما لم يحظ برضانا، وأعلنا عن ذلك رسميا لإدارة الوكالة الدولية للطاقة الذرية. ونحن نرى في الوكالة جهازا يتحلى

ارمين اوغانيسيان: سؤال من كالينينغراد. لقد تبادل كل من وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ونظيرته الامريكية هيلاري كلينتون بتاريخ 19 من تشرين الثاني/نوفمبر مذكرات تخفيف وطأة نظام الفيزا المعمول به بين البلدين. حدثنا معالي نائب الوزير عن فحوى ما اتفق عليه الوزيران.

سيرغي ريابكوف: البند الاهم في هذه الاتفاقية يتمثل في الانتقال الى العمل بنظام اوسع لتأشيرات العبور متعددة المفعول، أي توسيع رقعة الفئات التي تمنح مثل هذه التأشيرات، إضافة الى تمديد سريان مفعولها ليصل الى ثلاث سنوات.

ارمين اوغانيسيان: وعلى من ينسحب هذا التمديد؟

سيرغي ريابكوف: سيشمل هذا النظام الجديد العلماء والطلاب والصحفيين ورجال الاعمال. وان النظام الجديد يطال عمليا كافة نواحي التبادل الحاصل في حركة المواطنين بين البلدين. اما الشريحة السياحية من المواطنين فستنظم بشكل مستقل، ويسعني هنا التشديد على اننا عقب المصادقة على هذه الاتفاقية لن نكتفي بما تم تحقيقه، بل سنسعى الى احراز تقدم اوسع من ذلك على هذا المسار، إذ يتعين علينا مواصلة السير قدما حتى إزالة نظام الفيزا نهائيا في العبور بين البلدين.

ارمين اوغانيسيان: سؤال من المانيا. ما هي المخاوف الروسية والامريكية إزاء برنامج طهران النووي، وفيما تكمن التناقضات في التعاطي مع هذه المسألة وفيما تتجسد نقاط التقارب؟

سيرغي ريابكوف: يتمثل الموقف المشترك بين البلدين بهذا الخصوص في المخاوف المتنامية حيال برنامج طهران النووي. ونرى انه على الجانب الايراني التعاون بشكل اكبر مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وذلك من اجل محاولة التخلص من كافة المسائل التي لا تزال عالقة حتى الآن. ونرى ان نظام حظر انتشار السلاح النووي سيتعرض لضربة في الصميم في حال تم الكشف عن ان برنامج طهران النووي يحمل طابعا عسكريا له، في حين ان المعلومات المتوافرة لدى روسيا الاتحادية تشير حتى الآن

والسعي معها الى العثور على الحلول الوسط. وهنا لا يمكن تجاهل هذا الواقع.

ارمين اوغانيسيان: ان ما يثير الدهشة هو ان دول مجموعة «بريكس» على اختلافها تمكنت من التطابق في مواقفها إزاء ما حدث في ليبيا والاوضاع في سورية، فكيف تم التوصل الى وحدة المواقف هذه؟

سيرغي ريابكوف: تحليل الأوضاع الدولية يخلص الى ان دول المجموعة تتقارب موضوعيا في تقييمها للاحداث الدولية. والتطورات في شمال افريقيا وفي منطقة الشرق الاوسط تندرج ضمن مكونات التقارب الموضوعي الحاصل ضمن نطاق المجموعة. ولقد شهدت موسكو مؤخرا انعقاد المشاورات الدولية الهامة حول الاوضاع في شمال افريقيا والشرق الاوسط على مستوى وزراء الخارجية، وتم تحديد المواقف وصدر بيان خاص عن المشاورات. وما المهم هنا بالنسبة الى روسيا؟ كنا شاهدين في الفترة الاخيرة على ان حلف الناتو عموما ومجموعة من الدول، التي تضم كلا من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وعددا آخر من الدول الى جانب من يشد على ايديها، راحت تبدي سهولا مدهشا في ابعد الحدود بمبادئ القانون الدولي. وإذا ما تتبعنا التطورات منذ اواخر التسعينيات حتى يومنا هذا فإننا نلمس حزمة من السلوكيات غير المسبوقة، التي قامت بها هذه الدول في كل من البلقان وفي الشرقين الادنى والاوسط، حيث ضربت هذه الدول عرض الحائط بالاعراف والمبادئ الدولية التي كانت قائمة طوال عشرات السنين. أما دول مجموعة «بريكس» ورغم تعاطيها المتباين مع القضايا الدولية وتحت مظلة كم هائل من الحيثيات المتعلقة بحقوق الانسان متمسكة بالرأي القاضي بأن الديمقراطية والالتزام بمبادئ القانون الدولي تحظى بأهمية لا يمكن تجاهلها فيما يتعلق بالحياة الداخلية للدولة. والملفت على هذا الصعيد هو أننا نضطر أحيانا لإيضاح ذلك عن طريق اللجوء الى استخدام حق النقض الفيتو في مجلس الامن الدولي.

محلها اتفاق جديد ينظم الرقابة على نشر الاسلحة التقليدية في اوربا، وبشكل يتماهى مع التغيرات الامنية والتغيرات متعددة الخطط، التي شهدها العقدان المنصرمان في القارة الأوربية، والتي من بينها على وجه التحديد توسع الناتو شرقا واقترابه من حدودنا. وان تقديم المعلومات او عدمه لبلادنا ضمن نطاق معاهدة الاسلحة التقليدية في اوربا بات يعتمد على أعضاء الناتو. وبالنسبة الينا امر سواء إن كانوا سيقدمون لنا المعلومات ام لا.

ارمين اوغانيسيان: سؤال من مستمع. كيف تنظر الولايات المتحدة الى مجموعة «بريكس»، والى اي مدى يحترم الغرب هذه المجموعة الجديدة على الخارطة السياسية، وهل يرى الغرب في «بريكس» انها منظمة تجابهه؟

سيرغي ريابكوف: ان الولايات المتحدة تبدي اهتماما بالغا لما يحدث ضمن نطاق «بريكس». ولا اريد اطلاق التقييمات نيابة عن الجانب الامريكي فيما يخص «بريكس»، وإنما سأتحدث انطلاقا من الاستنتاجات، اتي توصلت اليها من خلال الحوارات، التي أجريتها مع الزملاء الامريكيان على هذا الصعيد، والتي اجريتها ايضا مع الزملاء من «بريكس». وفي هذا السياق سأسلط الضوء على التطور، الذي شهدته المجموعة في السنوات الاخيرة حيث انطلق تعزيز بنيان هذه المجموعة من معالجة المسائل ذات الطابع المالي الاقتصادي. وراحت المجموعة في الآونة الاخيرة تحظى بطابع اكثر تنوعا في هيكليتها، حيث توسعت حقيبة قضايا التعاون لتشمل المسائل السياسية وبشكل مستمر، ما يعني ان المجموعة صارت تحظى بأهمية اكبر ما يحض على احترامها وإدراجها ضمن الحسابات. وتشكل مجموعة «بريكس» مجموعة غير رسمية، وراحت تشكل عنصرا مكونا لنظام دولي متعدد الاقطاب، وصارت عاملا فاعلا في شبكة الدبلوماسية الدولية. ونرجح ان تقبل الولايات المتحدة ودول غربية اخرى بمجموعة «بريكس» كحقيقة قائمة، وان تشرع بالتشاور معها وببحث القضايا

والولايات المتحدة مكونة من مادة معقدة ومتعددة الطبقات، وتسجل هذه العلاقات صعودا وهبوطا مستمرين.

والاوضاع تتغير بشكل معقد في عدد من الولايات الباكستانية، ونحن على علم تام بقدر الاهتمام الامريكي بهذه التطورات. ونأمل في الا ينعكس الصدى السلبي للعلاقات بين البلدين على مناطق خارج نطاق هذه المنطقة من آسيا، وخاصة في هذه المرحلة، التي غدا فيها افغانستان يعايش مرحلة انتقالية غاية في الحساسية، إذ أن انتقال المسؤوليات الامنية في هذا البلد يحدث في ظل انسحاب القوات الدولية لدعم السلام من أفغانستان.

وها هو للتو قد انعقد مؤتمر بون حول افغانستان (في ظل مقاطعة باكستان له)، حيث تقدم وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ببرنامج يحدد معالم الاجراءات اللازم اتخاذها في أفغانستان من اجل تعزيز المستوى الامني فيه، وتسعنا هنا الاشارة الى التنامي المستمر للدور الروسي في العمليات ذات الشأن في هذا البلد. ويربطنا بإسلام آباد حوار مكثف، إذ تجرى المشاورات على ارفع المستويات بين البلدين، وتعاون البلدين مستمر على مسارات عدة بشكل مترافق بالحوار مع الجانب الامريكي على مختلف الاصعدة ذات الشأن. ولا نريد حصول خلل على غرار ذاك، الذي أدى الى وقوع مأساة انسانية كبرى مثل تلك، التي حدثت مؤخرا في باكستان.

ارمين اوغانيسيان: سؤال من نيجني نوفغورود. لقد اعلنت الولايات المتحدة مؤخرا عن قرارها الامتناع عن تزويد موسكو بالمعلومات السنوية العسكرية، وعن نيتها عدم تطبيق حزمة من التزاماتها ضمن اطار معاهدة الاسلحة التقليدية في اوربا. ما هو تقييم الخارجية الروسية لآفاق هذه المعاهدة؟

سيرغي ريابكوف: إن اردنا التحدث عن ذلك باختصار، فإننا لا نلمس اي مستقبل لهذه المعاهدة، ونرى انها قد تقادمت، وأنه لا بد من ان يحل

ومن رؤية العلاقات مع موسكو من المنظور الامريكي. ان هذه العلاقات تحظى باهتمام بالغ من وسائل الاعلام والخبراء والمحللين السياسيين. وعندما تنظر الى العلاقات بين البلدين من خلال العدسة المكبرة فإنك سترى قدرا كبيرا من الشوائب والعيوب، التي يتعذر «تجميلها». وان تقديم التنازلات يكون امرا لا بد منه في بعض الاحيان، والتنازلات في العلاقات بين موسكو وواشنطن لا يمكن لها إلا ان تقدم بصورة متكافئة وبشكل متبادل يسمح لكل من البلدين تقييم ما سيتم الحصول عليه من خلال التنازلات المقدمة. وأرى أن مصادقة البلدين على معاهدة الاسلحة الهجومية الاستراتيجية كانت خير مثال على التنازلات المتوازنة والمتبادلة، التي قدمها الطرفان. ولم نتخل عن المصالح الأساسية، حيث تمكنا في بعض النواحي من حماية مصالحنا بشكل أفضل قياسا بما كانت عليه الحال قبل التوقيع على معاهدة الاسلحة الهجومية الاستراتيجية، في ظل تحقيق الجانب الأمريكي ايضا المكاسب الاضافية جراء التوقيع على الاتفاقية والمصادقة عليها. وربما للإنسان غير المطلع ان ينظر الى مثل هذه الايجابيات بنوع من الدهشة. وأؤكد لكم وبشدة على ان الأمر كما أوضحت، وأن الصلابة، التي نبديها في التعاطي مع الدفاع الصاروخي ليست إلا ردا على الموقف الأمريكي المتزمت على هذا الصعيد.

وإن كان الجانبان لا يزالان عاجزين عن التوصل الى الاتفاق حول قضية معينة، فإن ذلك لا يعني انه لا يمكننا التحرك قدما على الاصعدة الاخرى.

ارمين وغانيسيان: سؤال آخر من بطرسبورغ. راح عدد كبير من وسائل الاعلام في الآونة الاخيرة يركز على تدهور العلاقات بين واشنطن وباكستان الشريك الهام للولايات المتحدة في سياستها الخارجية. هل للولايات المتحدة ان تتمكن من رأب الصدع الحاصل في علاقاتها مع اسلام آباد؟

سيرغي ريابكوف: لقد أصدرنا تعليقا رسميا بهذا الصدد، واشرنا الى اهمية تجنب إطلاق عنان أي من التغيرات، التي يمكن لها زعزعة الاوضاع في هذه المنطقة الغاية في التوتر من العالم، سيما ان العلاقات بين باكستان

صعيد الدفاع الصاروخي والتوصل الى حل وسط يرضي الطرفين فإن ذلك سيشكل ودون مبالغة خطوة كبيرة الى الامام على طريق تعزيز الثقة بين البلدين. وفي حال عدم احراز التقدم على هذا المسار فإن منطق اجراءات الرد هو الذي سيغلب، وسيتعين على الجانب الآخر تحديد ما هو الأجدى بالنسبة اليه. إما التوقف والعثور على نوع من التوازن في المصالح، وإما العودة الى قياس اجراءات الرد التي يمكن اتخاذها. ولن يكون هذا الخيار خيارنا حيث اننا لا نسعى الى اطلاق سباق التسلح الجديد.

وفي هذا السياق لفت دميتري روغوزين الممثل الروسي الدائم لدى حلف الناتو في نفس اليوم، الذي تحدث به الرئيس ميدفيديف حول اجراءات الرد الروسي على خطط الدفاع الصاروخي، لفت في مؤتمر صحفي عقده بمقر وكالة «انترفاكس» الى ان الرد الروسي على الخطوات الامريكية المتسلسلة المرحلية سيكون باتخاذ موسكو الخطوات المتسلسة المرحلية. ولا يتعين على بلادنا في ذلك الخروج في خطواتها عن الحد، الذي يرسم خطوات الجانب الامريكي، وسنقوم بوزن اجراءاتنا بالقسطاس لتكون مماثلة لما ستقوم به واشنطن.

ارمين أوغانيسيان: سؤال من بطرسبورغ. هل يمكن للسياسة الروسية الصلبة ان تكبت سياسة «إعادة التشغيل»، التي اعلنتها ادارة الرئيس الامريكي باراك اوباما، والتي تتضمن تقديم واشنطن التنازلات لموسكو مقابل تحسين العلاقات معها. وهل نحن سذج الى درجة اننا نعلق الآمال على ايجاد محادث امريكي اكثر مرونة من ادارة الرئيس اوباما، وما هي الأخطار، التي يتعين على بلادنا تجنبها خلال ترتيب العلاقات مع واشنطن؟

سيرغي ريابكوف: لا أرى أنه يتعين علينا الاكتفاء بالاشارة الى التنازلات، التي نقدمها الى بعضنا البعض حينما نتحدث عن العلاقات مع واشنطن. ودعونا نبدأ من رؤية العلاقات مع الولايات المتحدة بالمنظور الروسي

وان اقتضى الامر فسننسحب من معاهدة الاسلحة الهجومية الاستراتيجية الموقعة مع واشنطن، ولكننا لا نؤيد تطور الاحداث على هذا النحو.

ارمين أوغانيسيان: سؤال آخر من موسكو. ثمة الرأي ان الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي راحا يطوقان بلادنا من كل الجهات حتى من منطقة القطب الشمالي بنشر القوات النووية الضاربة، وينشئا الدرع الصاروخية الامريكية لتعطيل قدراتنا على الرد. ومن جهة اخرى يمكن لكافة التكهنات بوجود المساعي الامريكية التي تستهدف القدرات العسكرية الروسية، يمكن لها ان تكون مجرد بدعة للترهيب تستخدم على غرار ما اعلن عنه فترة الثمانينيات فيما يتعلق بحرب النجوم، التي ظهر فيما بعد انها من محض الخيال، في حين ان الاتحاد السوفيتي خسر سباق التسلح. وهنا يكمن التساؤل حول هل أن الولايات المتحدة تدير اللعبة من جديد لتحريضنا على خوض سباق التسلح لتقصم بذلك ظهر اقتصادنا؟

سيرغي ريابكوف: اريد الإشارة الى اننا لا نراقب العمليات الذكورة في مقدمة هذا السؤال والمتعلقة بتطويق روسيا بقوى نووية إضافية. بل على العكس من ذلك فإن معاهدة الأسلحة الهجومية الاستراتيجية ليست إلا اداة لتقليصها والحد منها، خاصة وان الجانب الامريكي يبدي التقيد التام ببنود هذه المعاهدة ما يدعونا الى الاشادة بهذا النهج.

ونحن مدركون لمخاطر سلوك التطورات المنحى اللولبي، الذي يمكن لمسألة سلبية واحدة ضمنه اثارة الرد السلبي الذي يعقبه رد جديد من الجانب الآخر وهكذا دواليك.

الوصول بالعلاقات بين البلدين الى الثقة التامة يشكل معضلة كبيرة. ورغم ذلك فقد شهدت العلاقات في السنوات الاخيرة تحسنا ملموسا وحققنا النتائج الايجابية، بيد ان السؤال المطروح هو هل ان هذا المستوى من الثقة كاف، وهل الوتيرة، التي تتطور بها العلاقات مرضية؟ هذا أمر لا يزال غامضا بالنسبة الينا. وإذا ما تمكنا من احراز تقدم على

المتحدة حول استعداد بلادنا الى الرد على التهديدات التي تلمسها في نشر واشنطن منظومة الدفاع المضاد للصواريخ في اوربا؟ وهل ان مرحلة نهج «إعادة التشغيل» في العلاقات بين موسكو وواشنطن قد انتهت؟

سيرغي ريابكوف: لم اكن ابدا من مؤيدي استخدام مصطلح «إعادة التشغيل» في العلاقات بين البلدين، رغم الانتشار الواسع لهذا المصطلح في الفضاء الاعلامي وطبعا بدعم امريكي لذلك. لا بد من الاشارة الى اننا لم نكن نعول كثيرا على تحسن باهر في مستوى العلاقات مع واشنطن، إذ ان الصعوبات في علاقات البلدين لا بد لها من ان تطفو على السطح في مجال او آخر.

وعمليا فإن «إعادة التشغيل» ليست إلا عملية آنية لا يمكن لها الاستمرار الى ما لا نهاية، بيد أننا نعلق الآمال على ألا تتنامي مشاكل الدفاع الصاروخي الى حد تبدأ عنده العلاقات بين البلدين بالتراجع الفعلي، وتدخل مرحلة البرودة الملموسة والمعمقة، حتى ان تصل العلاقات الى وضع يمكن وصفه «بالحقبة الجليدية».

ارمين أوغانيسيان: وما هي الخطوات الملموسة التي ستتخذها بلادنا ردا على نشر منظومة الدفاع الصاروخي في اوربا؟

سيرغي ريابكوف: بالمختصر المفيد فإننا سنقوم باتخاذ خطوات الرد قياسا بما ستقوم به الولايات المتحدة من خطوات عملية على هذا المسار. ونحن لا نسعى الى اطلاق سباق التسلح الجديد، وإنما نتخذ اجراءات الرد المماثلة. وجدير بالذكر، ان الخطى الاولى على هذا المسار تم قطعها حيث نشرنا منظومة الرادارات في كالينينغراد وبدأت هذه المنظومة عملها. والى جانب ذلك لفت الرئيس ميدفيديف الى إمكانية نشر منظومة «اسكندر» الصاروخية في المحافظة المذكورة. ويسعني التأكيد هنا على ان المعنى، الذي تضمنه ما اعلنه الرئيس الروسي في خطابه يهدف الى حض الأمريكان على التفاوض حول ايجاد مخرج من هذا المأزق. وإن لم يتم العثور على حل فإننا سنتخذ اجراءات اخرى،

سيرغي ريابكوف

نائب وزير الخارجية الروسي

عام حافل بالإيجابيات، ولا محل للشكوى

مقابلة ضمن اطار مشروع أعده راديو «صوت روسيا» تحت عنوان «وجها لوجه مع العالم»
http://rus.ruvr.ru/radio_broadcast/2227329/

ارمين أوغانيسيان، رئيس تحرير مجلة «الحياة الدولية»:معالي نائب الوزير، لقد حلت نهاية العام وحان الوقت للوقوف على الاحداث التي شهدها. حدثنا من فضلك عن رؤيتك للتطورات، التي شهدها عامنا المنصرم.

سيرغي ريابكوف، نائب وزير الخارجية الروسي: لقد كانت هذه السنة جيدة عموما، ولا يسعنا التأفف مما شهدته من تطورات، باستثناء بعض القضايا التي لم تجد لها حلا وفي مقدمتها مسائل الدفاع الصاروخي الامريكي، إذ لا يمكننا حل هذه القضية إلا عبر التوصل الى اتفاق بصددها مع الجانب الآخر او عبر اتخاذنا حزمة من اجراءات الرد ذات الطابع التقني العسكري، والتي أعلنها رئيس البلاد دميتري ميدفيديف يوم 23 تشرين الثاني/نوفمبر.

ارمين أوغانيسيان: السؤال من موسكو. هل ان اعلان روسيا عن نصب منظومة الرادارات في كالينينغراد الروسية يشكل إشارة موجهة الى الولايات

وكانت الأحوال مشابهة لذلك فيما يتعلق بتونس التي استتبت فيها الاوضاع الآن.

أوغانيسيان: وما عن سورية، التي عدد سياحنا اليها قليل نسبيا؟

بوغدانوف: بالطبع عدد السياح الروس الذين يفضلون زيارة سورية أقل نسبيا من أعدادهم الى مصر وتونس، رغم وجود عدد كبير من الاماكن التاريخية والفريدة من نوعها والأوابد التاريخية والمعالم والتي من بينها مدينة تدمر، الى جانب المناطق الساحلية الجميلة كما في اللاذقية على ساحل المتوسط، ونأمل في ان تتحول سورية بعد هدوء الاوضاع فيها الى بلد له شهرته في اوساط المواطنين الراغبين في السياحة.

أوغانيسيان: وهل يواجه سياحنا المشاكل خلال وجودهم في مصر؟

بوغدانوف: نعم. فقد وصلت أعداد السياح الروس الذين كانوا يتوافدون سنويا على مصر ومنتجعاتها واماكنها التاريخية الى حوالي ثلاثة ملايين سائح قبل اندلاع احداث ثورة يناير هناك. ومن هنا فإنه من الطبيعي أن تظهر المشاكل حين يبلغ عدد السياح هذا الكم الهائل سنويا. وفي مقدمة هذه المشاكل تاتي حوادث السير التي يتعرض لها مواطنونا في مصر، ونعمل منذ فترة طويلة بالتنسيق مع شركائنا المصريين ما ادى الى تحسن الاوضاع من هذه الناحية، بيد انه لا بد من مواصلة العمل على تحقيق الافضل. والى جانب ذلك توجد المشاكل ذات الطابع الآخر والتي كان من بينها ظهور اسماك القرش في مياه الغردقة عقب أنه لم يكن لهذه الاسماك اي وجود من قبل. والى جانب هذه الحالات تحدث احيانا الحوادث المؤسفة التي يتعرض لها السياح. وتضطر السفارة في الكثير من الاحيان الى التدخل المباشر وتحاول جاهدة تقديم المساعدة الفعالة لمواطنينا هناك. غير انها تواجه الصعوبات نتيجة لفشل محاولاتنا حتى الآن بافتتاح ممثليات قنصلية في الغردقة أو في شرم الشيخ. ونواصل العمل على ذلك منذ فترة، ونأمل في ان يتم اتخاذ القرارات الايجابية على هذا الصعيد.

الكلمات الرئيسية: دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا، قرارات مجلس الامن الدولي، الشرق الاوسط الكبير.

«روسيا وافريقيا» باديس ابابا الذي نحسب ان يشترك فيه عدد كبير من ممثلي الشركات الروسية. وتشهد العلاقات على المستوى الثنائي بين موسكو ودول القارة تطورا ديناميكيا. وتعمل في افريقيا كبريات شركاتنا في مجالات النفط والغاز والالومنيوم إلخ. ومن بين الامثلة البينة على ديناميكية العلاقات بين روسيا ودول القارة الافريقية الزيارة التي قام بها مؤخرا الى موسكو رئيس غينيا الاستوائية خلال ترؤس بلاده الاتحاد الافريقي. وقررنا تجديد عمل سفارتنا في غينيا الاستوائية. وتشكلت في القارة الافريقية دولة جديدة هي جنوب السودان، حيث كانت روسيا بين الدول الاولى التي اعترفت باستقلالها ونفكر في الفترة الراهنة بافتتاح سفارة لنا هناك. وتوجد الى جانب ذلك الامكانيات الكبيرة اللازمة للتعاون ذي النفع المتبادل في قطاع التجارة والاقتصاد. وبالطبع فقد اضعنا الكثير في السابق على هذا الصعيد نتيجة الاوضاع التي مرت بها بلادنا.

أوغانيسيان: سؤال من ستافروبول، من المواطنين الروس الذين اعتادوا على قضاء فترة العطلة السنوية والاستجمام في دول الشرق الاوسط: «ما الدول التي تمكن الآن زيارتها، وما هي التي من غير المفضل التوجه اليها، وما هو رأي الخارجية ودبلوماسيينا فيما يتعلق بذلك؟».

بوغدانوف: لا تدخل في صلاحيات الخارجية الروسية عمليات الحظر او المنع، وإنما الوزارة تصدر التوصيات فقط انطلاقا من الاوضاع العسكرية السياسية القائمة في هذه المنطقة او تلك من العالم، او في هذا البلد او ذاك. وكانت التوصيات التي اصدرناها الى مواطنينا في أعقاب اندلاع الاضطرابات في كل من تونس ومصر، كانت بسيطة وتلخصت في الاحتجام عن زيارة هذين البلدين بما فيه لغرض السياحة.

أوغانيسيان: وكيف انقضت فترة اعياد الميلاد وعيد رأس السنة من ناحية الزيارات السياحية لمواطني روسيا الى مصر وتونس؟

بوغدانوف: الأوضاع حتى في خضم الاضطرابات التي عمت مصر كانت برأي سفارتنا مستقرة عموما في منتجعات البحر الاحمر وكان من الممكن هناك الاستجمام. وكنا على اتصال مستمر مع ادارة السياحة الروسية.

أوغانيسيان: هل من الممكن في الدول العربية انطلاقا من طبيعة التفكير ومن القيم الحضارية القائمة فيها، هل من الممكن زرع الطابع الغربي للديمقراطية هناك؟ هذا سؤال اتى من مدينة كولومنا.

بوغدانوف: أتصور انه من غير المرجح ان يتم نقل القيم الغربية وببساطة وغرسها في التربة العربية الاسلامية. هذا أمر صعب لأن طبيعة التفكير، والالعادات والتقاليد والعيش والدين تشير الى ان هذه العمليات لن تتم إلا بشكل تحولي ومتدرج مع الاخذ بالحسبان الخصوصية الحضارية لهذه الدولة والمنطقة او تلك.

أوغانيسيان: سؤال آخر من كولومنا: «هل الصين تبدي اهتماما بمنطقة الشرق الاوسط رغم البعد الجغرافي، وهل ستتدخل الصين في شؤون الشرق الاوسط وشمال افرقيا؟».

بوغدانوف: بالطبع. لقد اجرينا في اواخر سنة 2011 مشاورات في بكين. واطلعنا الزملاء الصينيون على معلومات كشفوا لنا من خلالها عن حجم التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي مع الدول الافريقية، بما فيه دول افريقيا السوداء، ودول الشرق الاوسط مؤكدين على التطور الكبير الذي تحقق على هذا المسار. ولا بد هنا من الاشارة الى ان الامكانيات التي يمتلكها الاقتصاد الصيني تستدعي الغيرة. وتوجد الى جانب ذلك لدينا وشركائنا الصينيين والدول الاعضاء الاخرى في مجموعة «بريكس» الامكانيات الكبيرة اللازمة لتنسيق جهودنا والعمل المشترك على تقديم مصالحنا في المناطق.

أوغانيسيان: سؤال من يكاتيرينبورغ: «النشاط الاقتصادي في افريقيا يحقق بعض النماء. ما هو تقييمكم لمستقبل التعاون مع الدول الفريقية؟».

بوغدانوف: اريد التنويه هنا الى اننا صرنا في الفترة الاخيرة نعمل تحت شعار «عودة روسيا الى افريقيا». وانتم على علم بان الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف قد قام بجولة على الدول الافريقية مؤخرا. وتم تعيين ميخائيل مرغيلوف ممثلا خاصا لروسيا لشؤون افريقيا وهو يجري الآن الاتصالات المكثفة مع زعماء الدول الافريقية من خلال الزيارات المتكررة لى دول القارة. ولا بد هنا من الاشارة الى اعداد المنتدى الاقتصادي

بوغدانوف: تربطنا بتركيا علاقات متطورة ونتعاون معها على مختلف الاصعدة. ونجري حوارا سياسيا مكثفا ومشاورات من بينها تلك التي تجرى عبر قنوات وزارة الخارجية وتتناول المشاورات والاتصالات الاوضاع في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. ونحن على علم بمدى الجهود التي بذلها الاتراك على مسار العلاقات مع كل من ليبيا وسورية ومصر. ومن المعروف ان لانقرة المصالح الكبرى والتقليدية في هذه المنطقة من العالم ومنذ القدم، وهذه العلاقات شهدت تطورا ملموسا لها خلال عهد حزب اردوغان، ومن هنا يمكن استنتاج ان كافة هذه التغيرات ستنعكس على مصالح تركيا مما يحض انقرة على ايلاء اهتمام بالغ لهذه التطورات. ونحن لا نلمس هنا اي شيء خارج على العادة أو اي شيء غامض في محاولات تركيا توطيد علاقات جديدة وتفعيلها.

أوغانيسيان: ألا تلمس مهمة تقوم بها انقرة ضمن اطار استراتيجيات الدول الغربية التي تقلق من تنامي دور الاسلام المتطرف اذ تعتبر تركيا قوة قادرة على اصباغ صبغة علمانية على الاحداث في الشرق الاوسط. ومواقف هذه الدول هنا مطابقة لموقف روسيا، حيث ان التطور على منواله لن يكون افضل منحى تأخذه التحولات في المنطقة.

بوغدانوف: أنا هنا أوافقكم تماما، ويمكنني تعزيز رؤيتي بمثال بسيط هو أنه عقب حدوث ثورة الخامس والعشرين من يناير بمصر كان الرئيس التركي واحدا من أوائل الشخصيات الرسمية الاجنبية التي تزور مصر، حيث التقى بالثوار الشباب هناك وتحدث لهم عن ان لتركيا الخبرة ويمكنها تقديم النصائح حول كيفية بعث البلاد على اسس جديدة التي من بينها الاسس الاسلامية. وذكر الرئيس التركي انه هو شخصيا كان قد سجن وانطلاقا من ذلك توجد لديه تصوراته الشخصية والافكار. وأعرب الرئيس التركي عن استعداد بلاده لتقاسم الخبرات مع مصر في مجالات عدة حتى في صياغة الدستور والتشريعات واجراء الاصلاحات الاجتماعية والسياسية الشاملة وذلك عقب سنوات طويلة من قيادة قوة سياسية واحدة تمثلت في الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان على رأسه مبارك. وما ذكرته يعزز ما تحدثتم به واشرتم الى وجود مثل هذه المهمة.

المنطقة. ومن ها فإن الافكار الاسلامية، والاسلام السياسي اخذت تحظى بشعبية واسعة في الأوساط الاجتماعية، خاصة وان هذه الافكار اكثر وضوحا وبساطة. وعلى سبيل المثال كان من بين الشعارات التي اطلقها «الاخوان المسلمون» شعار: في الاسلام الحل. والمواطن العادي، خاصة وان نصف عدد السكان هم من الأميين يتقبل هذا الشعار على انه وصفة شافية لحل كافة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية. وهل الواقع على هذا الشكل؟ المستقبل سيجيب لنا عن هذا السؤال.

أوغانيسيان: معظم سكان الدول الاسلامية الكبرى متمسكون بنظام الشريعة، وهل هذا يعني أن الارضية الاجتماعية للأفكار الاسلامية واسعة؟

بوغدانوف: يمكننا الى جانب التجربة التونسية ذكر الكثير من الامثلة على ذلك. فلنأخذ الفلسطينيين، حيث اسفرت الانتخابات الديمقراطية التي اجريت في الاراضي الفلسطينية تحت الرقابة الدولية سنة 2006 الى فوز حركة «حماس» الاسلامية في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني. وها هي السلطة في ليبيا تسلمت زمام الامور بدعم من الغرب وازملاء في الناتو، في حين تؤكد زعماؤها على ان القوانين والحياة العامة في ليبيا ستستقى من الشريعة الاسلامية. وتم هناك فورا الغاء التشريعات التي كانت تحظر تعدد الزوجات. وصرحت هذه السلطات علنا بانها ستعمل وفقا لتعاليم الشريعة الاسلامية. ونتائج الانتخابات التونسية تؤكد هي الاخرى على ان افكار الاسلام السياسي يشتد عودها. وإنني على قناعة تامة بأن شخصيات مختلفة وتطلعات متباينة تلقى وجودا لها في صوفوف هذه التيارات والكثيرون يمتثلون التجربة التركية اي الاسلام المعتدل الذي تقاد البلاد وفقا لتعاليمه.

أوغانيسيان: وها نحن قد عرجنا على تركيا التي ذكرتموها. ووردنا عدد كبير من الاسئلة التي اخترت واحدا منها من مينسك: «رئيس الوزراء التركي أردوغان قد جال عمليا على كافة دول الربيع العربي بدءا من ليبيا وتونس وصولا الى مصر، وأعرب عن تاييد بلاده للسلطات الجديدة في هذه الدول. فهل هذا يعني العودة الى تأثيرانقرة على أراضي الامبراطورية العثمانية؟».

أوغانيسيان: سؤال من أرخانغيلسك حول العلاقات بين القاهرة وتل أبيب: «هل لوصول الاحزاب والتيارات الاسلامية في مصر ان يؤثر على موقف القاهرة حيال اسرائيل، خاصة وان احد المتنافسين على منصب الرئاسة المصرية قد صرح بأنه سيلغي اتفاقية كامب ديفيد المبرمة مع تل أبيب، وهل ان اسرائيل قلقة حيال هذه المسألة؟».

بوغدانوف: قلقة طبعا. عندما عملت في القاهرة كنا نحافظ على علاقات عمل مع السفارة الاسرائيلية هناك. وكان زملاؤنا الاسرائيليون يؤكدون على قلقهم ازاء تغيب القيادة المصرية التي كانت متمسكة بخط السلام مع الدولة العبرية. وتقبل الشركاء الاسرائيليون التحولات التي شهدتها مصر بقلق بالغ. وفي مقدمة المخاوف الاسرائيلية تاتي امكانية تدهور العلاقات مع القاهرة ومصير اتفاقية كامب ديفيد المعمول بها بين البلدين. ونرى ان هذه الاتفاقية والعلاقات بين القاهرة وتل أبيب تشكل حجر الزاوية لكافة البنيان الشرق اوسطي القائم وللسلم والاستقرار في المنطقة. واعتقد ان المصريين عموما، ومعظم القوى السياسية وبينها التيارات الاسلامية سيلتزمون بالتعهدات الدولية التي قطعتها على نفسها البلاد. واتفاقية كامب ديفيد والسلام بين البلدين يلبي بشكل كبير مصالح الشعب المصري وكافة القيادات المصرية ستنطلق من هذا المبدأ في التعامل.

أوغانيسيان: سؤال من تشيريبوفيتس: «لقد تحدثت عن ان الاسلام يعزز وجوده في مختلف الصيغ بين المعتدلة والاكثر تشددا. الى اي مدى يمكن ان يصل مستقبل تعزيز الاسلام السياسي في دول الشرق الاوسط كما حدث ذلك في تونس؟».

بوغدانوف: عموما يوجد الخبراء الأكثر اطلاعا على هذا الصعيد، الى جانب المحللين المختصين الذين يدابون على دراسة الظواهر الحاصلة في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا. أما رأيي الشخصي فيتمثل في أنه عقب انتقال الافكار الاشتراكية والقومية العربية الى المركز الثاني، وعقب خيبة الامل في الكثير من التعاطيات الغربية تشكل فراغ ايديولوجي معين في

الاجتماعية السياية في الجمهورية، بقي حتى الايام الاخيرة في سدة الحكم. واعلن المجلس العسكري المصري عن بدء مرحلة انتقالية وعن الاعداد للانتخابات التي سيتمخض عنها انتخاب قيادة شرعية ومدنية للبلاد ومجلس شعب وشورى جديدينن ورئيس جديد لمصر. وتواصل الجمهورية العمل على هذا المسار وبشكل حثيث، واعني هنا خروج مختلف التيارات السياسية الى المسرح السياسي عقب ان كانت محاصرة في ظل النظام السابق، وكان بعضها محظورا كما جماعة «الاخوان المسلمين» على سبيل المثال. ويشهد المسرح السياسي الآن هناك عملية اعادة توزيع القوى، وتستحدث الاحزاب السياسية الجديدة والتي من بينها تلك القائمة على الايديولوجية الاسلامية.

ونأمل في ان تشغل القوى السياسية الجديدة في الجمهورية مواقف معتدلة. وتؤكد هذه القوى على الكثير من المواقف المبدئية فيما يتعلق بالتطور الديمقراطي للمجتمع المصري، وتعرب عن تمسكها بتلك النقاط التي يقوم عليها نجه السياسة الخارجية المصرية والتي من بينها أسس التعاون والصداقة مع روسيا الاتحادية ومع الدول الاخرى الى جانب التقيد باتفاقية السلام المبرمة مع تل ابيب. ولكن المعركة تشتد، والقوى الاسلامية تحظى بتأييد شعبي واسع وفقا لتصوراتي.

ولا بد هنا من الاشارة الى تونس التي اجريت فيها الانتخابات التي اوصلت حزب النهضة الاسلامي الى السلطة من خلال الحصول على اغلبية المقاعد في الجمعية التاسيسية للجمهورية. ومن المحتمل ان يحدث الشيء نفسه فى مصر ايضا مما مما سياثر على السياسة الداخلية والخارجية لهذا البلد الكبير. وأؤكد مرة اخرى على العلاقات الثرية والتاريخية التي تربط بلادنا بمصر العربية، ولا بد هنا من الاشارة الى القوى والتيارات المصرية التي كانت ولا تزال على الدوام تؤيد الصداقة مع بلادنا، وآعتقد اننا سنتمكن من توطيد للعلاقات مع السلطات الجديدة في مصر.

أوغانيسيان: والى اي مدى يمكن اعتبار ايران فعلا أنها تشكل تهديدا نوويا؟

بوغدانوف: عندما عملت منذ 15 عاما تقريا سفيرا لبلادنا في اسرائيل كان شركاؤنا الاسرائيليون يؤكدون على ان ايران سيحصل في القريب العاجل على القنبلة الذرية. فاين هذه القنبلة الآن؟

لقد واصل خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية على مدى سنوات عدة العمل في ايران التي كانوا يتوجهون اليها ويراقبون كافة نشاطاتها في ميدان الطاقة الذرية السلمية. ولم يتمكن مراقبو الوكالة حتى الآن من تقديم أية أدلة دامغة تؤكد على قيام ايران بالعمل على الحصول على سلاح نووي. ونأمل في ان يستمر العمل عبر قنوات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وان تستانف المفاوضات على مختلف المسارات وضمن اطار السداسية الدولية. وكافة هذه التكهنات لا يمكن لها ان تشكل اساسا لاتخاذ القرارات الهامة وبالخصوص القرارات العسكرية السياسية المصيرية.

أوغانيسيان: دعنا نعود وإياكم الى الاوضاع في مصر، وأجبنا لو تكرمت عن السؤال الوارد من سفيتلوغورسك: «ما هي الطموحات المفتوحة الآن امام مصر، وها هي الانتخابات قد اجريت وبعض القوى قد افصحت عن ذاتها... وما هي تصوراتكم لمآل الاوضاع في هذا البلد؟».

بوغدانوف: ان مصر كانت ولا زالت أكبر دولة عربية. واقتضت التطورات التاريخية ان يكون هذا البلد يحظى بالدور الريادي في العالمين العربي والاسلامي، الى جانب الدور الفعال الذي تلعبه مصر في منظمة المؤتمر الاسلامي التي اصبحت تسمى الان منظمة التعاون الاسلامي، ناهيك عن الدور المصري في جامعة الدول العربية وفي حركة عدم الانحياز. أما اليوم فان مصر تعايش مرحلة من التغيرات الجذرية الكبرى. ولقد انتهت حقبة حسني مبارك التي امتدت طوال ثلاثة عقود، انتهت بشكل محزن للغاية، بيد ان الجيش المصري الذي لعب منذ عام 1952 وفي ظل عهد جمال عبد الناصر وفي عهد السادات دورا هاما في الحياة

بوغدانوف: نعم، لقد حدثت مثل هذه السابقات التي امتازت بمأساوية ما خلصت اليه. وأعتقد أنه في حال اخذنا بالحسبان الدرس الليبي، والمتغيرات التي حصلت على الساحة الدولية في الآونة الاخيرة، وطبيعة علاقاتنا بزملائنا الغربيين، فإن ذلك لن يحدث ولن يتم تنفيذ اية عمليات عسكرية ضد سورية او ضد ايران على سبيل المثال. ولهذا السبب بالذات نقوم وزملاؤنا الصينيون وبالتنسيق مع بعض الاعضاء الاخرين في مجلس الامن، وبالتعاون بالدرجة الاولى مع دول مجموعة «بريكس» ولبنان وحلنا دون تمرير القرار ضد سورية والذي اعدت الدول الغربية نصه. ولقد قدمنا مشروع قرار روسي صيني بصدد سورية ولا يزال هذا المشروع على طاولة مجلس الامن. ونأمل في تنسيق العمل البناء بغرض التوصل الى اعداد قرار دولي بشأن سورية في حال دعت الحاجة الى ذلك.

أوغانيسيان: وما هو موقف بلادنا من التصريحات المتعلقة بإمكانية توجيه ضربة جوية لإيران؟

بوغدانوف: ان مثل هذه التصريحات صدرت ولاكثر من مرة عن عدد من المسؤولين الاسرائيليين، وفي بعض الاحيان ايضا عن الزملاء الامريكان. ومن المؤكد اننا لن نؤيد مثل هذه الأهواء. ولكن صدرت تصريحات اخرى عن الزملاء الغربيين وعن زعماء عدد من الدول الاعضاء في يدركون الاثار التي يمكن لها ان تنجم في حال سارت التطورات على النحو الذي يتم التعبير عنه في هذه التصريحات، إذ انه يمكن ان تتمخض عن مثل هذه الضربة آثار كارثية على المنطقة والعالم. ونرى انه لا يمكن في اي حال من الاحوال السماح بحدوث ذلك. وتوجد الصيغ الدبلوماسية السياسية للعمل الى جانب وجود مختلف الساحات والحلبات الدولية التي يمكن العمل ضمن نطاقها. وفي نهاية المطاف توجد القنوات الثنائية والمتعددة للاتصال حيث يمكن عبر هذه السبل ان يغلب التعاطي المتوازن والعقلاني.

السابقة، وعملنا مع المقربين من القذافي على التوصل الى وقف عاجل لكافة اشكال العنف وحماية السكان المدنيين. ونظرا لأن هذه الدعوات لم تلق آذان صاغية لها في تلك الفترة، وانطلاقا من أهمية الحفاظ على امن حياة الابرياء في ليبيا، تقرر في موسكو تاييد قرار مجلس الامن الدولي رقم 1970، ومن ثم الامتناع عن استخدام حق الفيتو فيما يخص القرار رقم 1973 لمجلس الامن بصدد ليبيا.

ويسعني هنا التاكيد على ان قمنا بهذه الخطوة عن وعي بغرض التوصل الى هدف واحد يتجسد في وقف ارقاة الدماء وإزالة المعاناة عن كاهل الشعب الليبي. ولكن عندما رأينا ان الدول التي تعهدت بتنفيذ القرار رقم 1973، وقبل كل شيء اعضاء الناتو وبعض الدول العربية، قد اخذت تفسره على هواها وتستغله لخدمة أهداف لا تتماشى مع الاهداف الذي استصدر القرار من اجلها، عندها شجبت روسيا وبشدة هذا النوع من التحول وراحت تطالب بالتقيد التام بجملة وتفصيل ما نص عليه القرار. وأكدنا على اهمية تثبيت الدور المركزي للأمم المتحدة ومجلس الامن فيما يتعلق بالتسوية الليبية، وشرعنا في مجلس الامن بالمطالبة بإلغاء منطقة الحظر الجوي التي فرضت على ليبيا نتيجة انعدام الحاجة اليها. ونرى ان موافقة مجلس الامن على القرار رقم 2009 القاضي بافتتاح مقر لبعثة للامم المتحدة على الاراضي الليبية، واصدار القرار رقم 2016 القاضي بإلغاء منطقة الحظر الجوي كانت تأكيدا على مبدئية خطنا وصحة موقفنا فيما يتعلق بالشأن الليبي. وهنا الاجابة عن السؤال حول ان كان موقفنا حيال ليبيا خاطئا، أم لا.

أوغانيسيان: سؤال من موسكو: «روسيا رفضت الموافقة على قرار مجلس الامن الدولي الذي يستهدف سورية. وهل يمكن للناتو عقب استعادت قواه وجمع المال في أعقاب حملته على ليبيا، هل يمكن له بدء الحرب على سورية بمعزل عن اية قرارات من مجلس الامن، خاصة وان الاطلسي تصرف على هذا النحو في التعاطي مع يوغوسلافيا؟».

أوغانيسيان: وهل حاولت الولايات المتحدة وحلف الاطلسي اعتلاء موجة هذه الاحداث؟

بوغدانوف: بالطبع. وخير مثال على ذلك هو المنحى الذي اتخذه سير الاحداث في ليبيا. والتدخل الخارجي على وجه التحديد أوصل ليبيا الى ما نراه الآن.

وعموما نحن لسنا مدافعين عن نظام القذافي او عن القيادة السورية، بيد اننا اليوم بتنا شاهدين على الطريقة التي يتم من خلالها تقديم النظام السوري على نحو لا اسوأ منه وكيف ان بعض شركائنا الغربيين يقومون بصب الزيت على نار الاوضاع في هذا البلد. وهذه الممارسات تنفذ بشكل هادف ومنهجي وباضطراد رغم الخطوات التي تقوم بها السلطات السورية والمعارضة بغرض التمهيد للحوار الذي نطالب من جانبنا وبشدة بإطلاقه. وبعض الاوساط الغربية قد وضعت هدفا لها يتمثل في خلخلة الاوضاع في هذا البلد او ذاك. ولقد شاهدنا في ليبيا تدخلا مباشرا للناتو الى جانب طرف واحد من طرفي النزاع ونطالب بألا يتكرر السيناريو الليبي في سورية.

أوغانيسيان: سؤال من بطرسبورغ: «هل أخطأت روسيا خلال التصويت على القرار رقم 1973 بصدد ليبيا في مجلس الامن الدولي حيث خلق هذا القرار ذريعة للناتو لبدء عملياته العسكرية في ليبيا رغم عدم تضمن قرار مجلس الامن ما يشرع ذلك؟».

بوغدانوف: نحن ننطلق في عملنا الان من هذه السابقة في التعاطي على المسار السوري وفي قطاعات اخرى من منطقة الشرق الاوسط الكبرى. وأريد التذكير بأننا كنا طوال فترة الازمة الليبية نؤكد تمسكنا بموقفنا المبدئي الرافض لمثل هذه السيناريوهات. ويمكنني خلال الاجابة عن سؤالكم تكرار ما عبرنا عنه في السابق. لقد كنا نعلن على الدوام رفضنا القاطع لاستخدام القوة ضد المدنيين، وهذا ينسحب على كافة القوى الليبية. وانطلاقا من هذا المفهوم كثفنا العمل مع السلطات الليبية

عدد كبير من دول الشرق الاوسط وشمال افريقا والتي ضاعفتها القدرة الضئيلة على الاصلاحات الاجتماعية، أو حتى غياب الاصلاحات الضرورية منذ زمن بعيد ناهيك عن الفساد المستشري والبطالة والمشاكل الاجتماعية الاخرى. ومن هنا فإن صبر الجماهير قد نفد.

وما يميز الدول العربية هو ان الاغلبية العظمى للسكان فيها هي من الفئات العمرية الشبابية التي لا ترى في أغلب الاحيان مستقبلا لها في ظل غياب المصاعد الاجتماعية بالاضافة الى شعورها بالاجحاف الاجتماعي الممارس بحقها. وكل هذه المؤثرات تثير انتفاضة الشباب وتحض على الاحتجاج في أبشع صوره. الشبكات الاجتماعية والمدونات الالكترونية ووسائل الانترنت الاخرى تعطي طبقة الشباب امكانية المشاركة وتسهل لها حل المسائل التنظيمية، مثل الاتفاق على موعد ومكان الاحتجاجات والشعارات التي سيتم اطلاقها.

ولذلك يمكننا هنا التماس أن كافة هذه التراكمات قد نبعت من الداخل، ومع ذلك بترافق بالتدخل الخارجي. وعادة يظهر عدد كبير من الشخصيات الاجنبية ليعملوا وبمختلف الطرق على اشعال الاحتجاجات، ويدابون من خلال ذلك على وضع الاهداف بعيدة الامد والتي من بينها قلب النظام الحاكم. وليس سرا ان الكثير من الشباب المصريين الذين شاركوا في الاحتجاجات ببلادهم كانوا قد سافروا الى الخارج لتلقي الدورات والتدريبات المختلفة. وعلى وجه التحديد كان يسافر هؤلاء الى صربيا ليتعرفوا هناك على ممثلين لحركة تسمى «التصدي» التي ساهمت في الاطاحة بنظام ميلوشيفيتش، وليكتسبوا منها المهارات والخبرات. وأجريت مثل هذه الدورات التدريبية عبر قنوات مختلف الصناديق الديمقراطية والمنظمات غير الحكومية في مختلف دول العالم وفي الدول الغربية ايضا وضمنها الولايات المتحدة. وبالطبع فإن هذه الدورات قد خلقت الامكانية امام هؤلاء الشباب في العمل بشكل اكثر تنظيما لمناهضة النظام وتنفيذ الحملات المناوئة للحكومة.

المنطقة. والكثير من القضايا على صلة مباشرة بالتسوية وبالاستقرارعموما في الشرق الاوسط.

ونحن ننظر باحترام الى رغبة الشعب العربي بالافصاح عن ارادته وعلى وجه التحديد في تونس ومصر وسورية. ونريد أن تكون دول هذه المنطقة مستقرة ومستقلة وذات سيادة وتمتلك الطموحات نحو التنمية فيما يصب في صالح كافة المواطنين بغض النظر عن الانتماءات الدينية والاثنية. ورغباتنا هذه نابعة من العلاقات طويلة الامد التي تربط روسيا والدول العربية والتي تنم عن المستوى الرفيع للصداقة. وتربطنا وهذه الدول أواصر الشراكة ذات النفع المشترك طويلة الامد، ناهيك عن الاحترام الذي نكنه لعادات وتقاليد هذه الدول واعرافها.

أوغانيسيان: المستمعون من بطرسبورغ وموسكو يتساؤلون حول ان «بعض المراقبين يلمسون اليد الخفية لواشنطن في الاحداث التي تشهدها المنطقة معززين تكهناتهم بالخطط الامريكية الرامية الى اعادة هيكلة المنطقة ورسمها، الى جانب الخرائط التي تنشر والتي تعبر عن طموحات هذه الخطط والتي تبدو عليها عدد من دول المنطقة مقسمة الى دويلات وكيانات صغرى. والملفت ان بعض بنود الخطط الامريكية بات يطبق على أرض الواقع. فما تعليقك على مثل هذه التنبؤات والآراء؟».

بوغدانوف: أنا عموما لا اؤيد نظرية المؤامرات وأود العودة الى ما تحدثنا عنه مطلع الحوار. فالاحداث كانت تنضج والمشاكل تتكدس وكانت تلك عمليات موضوعية في كل دولة مذكورة. ومن المحتمل رؤيتنا لمثل هذه العمليات في دول اخرى بالمنطقة او حتى في مناطق اخرى من العالم. وأعني هنا افريقيا وآسيا. ومن الصعب التاكيد على ان هذه المتراكمات قد صدرت من مركز او محور ما يقع خارج المنطقة. واعتقد ان الامر اعقد من ذلك بكثير، ويتعين تصور الاوضاع بشكل جامع. فرغم اختلاف الاوضاع في البلدان المختلفة توجد عوامل كثيرة مشتركة تربط بينها. والأمر هنا كما يبدو لي يتمثل في نضوج ازمة الانظمة السلطوية في

منذ اضرام بائع تونسي النار بنفسه، مما شكل حافزا للاحداث التي سارت في اعقاب ذلك وفقا لمبدأ الدومينو. لقد تكدست المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في المتطقة طوال عقود. وراحت تتبلور بعض الشكوك في صحة الخط السياسي الذي تمارسه قيادات كل من تونس ومصر وليبيا واليمن التي استمرت في سدة الحكم لعقود. وكان من المتوقع ان يحدث في لحظة ما الانفجار الاجتماعي الاقتصادي في بلدان المنطقة، بيد انه كان من المتعذر التكهن بهذه اللحظة حيث ان التطورات اخذت طابعا تلقائيا لها في بادئ الامر.

وعلى سبيل المثال احداث ما بات يعرف «بثورة الخامس والعشرين من يناير» المصرية كانت قد بدأت يوم الجمعة حينما توافد الشباب على ميدان التحرير في قلب القاهرة للاحتجاج على ممارسات الاجهزة الامنية وتصرفات وزارة الداخلية المصرية، حيث كان هذا اليوم يوما للشرطة. واخذت الاحداث فيما بعد ديناميكية وصارت تتعاظم ككوم ثلج متدحرج. ولقد كانت غير متوقعة نهائيا بالنسبة الينا، اعني السلك الدبلوماسي باكمله، وحتى أنها فاجأت من شارك فيها انفسهم. وتحدث لنا المصريون الذين قدموا الى سفارتنا في القاهرة عن ان احدا لم يكن يتوقع رحيل مبارك عن السلطة بهذه السرعة وان تتغير قيادة البلاد على هذا النحو. ويمكننا القول هنا ان هذه الثورة قد بدأت بيد ان نهايتها لم تحل بعد، ومن المرجح ان تحصل على ما يبدو تحولات داخلية جوهرية يصعب الآن القول بما ستؤول اليه.

أوغانيسيان: وكيف تقييم الاحداث بشكل عام وما هي التغيرات التي يمكن لها ان تنجم عن هذه التطورات في المجال الجيوسياسي؟

بوغدانوف: ان بعض التطورات راحت تحمل طابعا أكثر حدة وغموضا. ومن غير الواضح حتى الآن المنحى الذي ستاخذه التطورات في هذا البلد او ذاك، وكيف لهذه الاحداث ان تنعكس على الاوضاع عموما في

ميخائيل بوغدانوف

نائب وزير الخارجية الروسي

الشرق الاوسط وشمال افريقيا:
منطقة على عتبة تحول داخلي جوهري

اعد الحديث في اطار مشروع «وجها لوجه مع العالم»
للشركة الاذاعية «صوت روسيا»
http://rus.ruvr.ru/radio_broadcast/2227329/

أرمين اوغانيسيان رئيس تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»: انطلاقا من الباع الطويل والخبرة المتراكمة لديك في شؤون الشرق الاوسط، أود ان اتوجه لك بالسؤال عن إن كنت على سبيل المثال قد تكهنت منذ عام مضى بحدوث مثل هذه التطورات الهائلة التي نشهدها اليوم في المنطقة؟

ميخائيل بوغدانوف نائب وزير الخارجية الروسي: لقد عدت من القاهرة في حزيران/يونيو من العام 2011، عقب ان مثلت بلادنا كسفير لها في القاهرة لمدة ستة اعوام ونصف. والاحداث التي انطلقت في المنطقة كنت شاهد عيان عليها. وكما تعلمون فان الشرارة الاولى لها اندلعت

ومدد الفيزا صارت اطول وتم توسيع فئات المواطنين الذين يتم منحهم التأشيرات بالطرق الميسرة.

وفي الآونة الاخيرة تم تسجيل نوع من التقدم على هذا المسار، واصبح على سبيل المثال بمقدور المواطن الروسي الذي يزور الاتحاد الاوربي الحصول على تأشيرة لمرة واحدة، وفي المرة الثانية التي ينوي فيها الحصول على الفيزا تمنح له التأشيرة ثنائية الاستخدام، وفي المرة الثالثة يمنح الفيزا متعددة الاستخدام.

أما ما يتعلق بالانتقال الى العمل بنظام العبور الحر لمواطني الجانبين، فقد أكدنا ولأكثر من مرة على استعدادنا لاعتماد هذا النظام في حين لا يزال شركاؤنا الاوربيون غير مستعدين للقيام بذلك، والحوار على هذا الصعيد لا يزال مستمرا.

والأمر هنا لا يقتصر على اتخاذ قرار سياسي يقضي «بالإلغاء الفوري» لنظام الفيزا، بل ان الامر يتعلق ببرنامج مكلف وبحزمة كبيرة من الاجراءات. وتتجسد هذه الإجراءات في سبل الضبط المحكم للحدود ومن قبل الجانبين على حد سواء، وبالتوقيع على الوثائق الناظمة لكيفية إعادة استقبال مواطني الجانبين والمواطنين الاجانب الذين قدموا من أحد أراضي جانبي الاتفاقية الى داخل حدود الجانب الآخر. وبمعنى آخر توجد حزمة كبيرة من المسائل التي تتطلب حلها، وعلينا الانتظار ريثما تتم تسوية كافة القضايا.

الكلمات الرئيسية: مرحلة عدم الاستقرار، ليبيا، مجلس الامن الدولي، سورية، مجموعة بريكس، منظومة الدفاع الصاروخي، نظام العبور الحر.

ماغنيتسكي، وما هو السبب من وراء هذا المستوى من الحساسية التي تبديها القيادة الامريكية إزاء هذه القضية؟ هل لم ولا يحدث الشيء من هذا القبيل في الولايات المتحدة نفسها؟».

دينيسوف: حدث، بالطبع ويحدث. دعونا نكون صريحين مع أنفسنا، وان نعترف بأن قضية ماغنيتسكي مسألة غير عادية، ولا بد من استمرار التحقيقات فيها، ولا بد من معاقبة المسؤولين عن موت انسان حتى ولو كان هذا الانسان متورطا بارتكاب المخالفات المالية.

وهنا المسألة واضحة كعين الشمس، ولهذا السبب فإن الرئيس الروسي ميدفيديف شخصيا يولي اهتماما كبيرا لسير التحقيقات في هذه القضية، وكلف وبلهجة حادة بالعمل الدؤوب على الكشف عن ملابسات هذه القضية واستخلاص الاستنتاجات مما ستخلص اليه التحقيقات.

ولا بد لي هنا من تسليط الضوء على ان المساعي الحثيثة التي يبذلها مختلف المشرعين الامريكيين بهذا الصدد تثير الشكوك الكبيرة حولها. وربما ممارساتهم هذه ناجمة عن ثقتهم التامة بترفعهم عن الخطأ، ونابعة من ثقتهم المطلقة بأنهم هم الأصح على الدوام وباستطاعة الآخرين فقط الاقتراب من مستوياتهم وبنسب متفاوتة.

وما العمل، إذ أن هذه البادرة ليست الاولى من نوعها، ونأمل في ألا يتكرر مثل هذه البوادر في المستقبل. والمهم بالنسبة الينا هو ادراك حقيقة ان نتائج التحقيقات ستعتمد علينا دون غيرنا.

أوغانيسيان: اسمح لي بالعودة الى الشؤون الاوربية، واريد الاستفسار منك حول سير المفاوضات بين بلادنا والاتحاد الاوربي حول نظام التأشيرة القائم بين الجانبين.

دينيسوف: أريد بادئ الامر ان اشيرالى ان حصول مواطني بلادنا على تأشيرة الدخول الى الاتحاد الاوربي اصبح اسهل بكثير عقب التوقيع بين بلادنا والدول الاعضاء في الاتحاد الاوربي على اتفاقية عام 2006 لتيسير عبور المواطنين بين الجانبين، حيث اصبح الحصول على التأشيرات اسهل

وإنما هو إيجابي على نطاق أوسع. ويحظى هذا التعاون بأهمية سياسية ومعنوية كبرى ويعبر عن المقارنة المرفقة بالثقة. والقدرة على التعاون في الميدان العسكري يعكس امرا هاما متجسدا في وجود نوع من الثقة بين الجانبين اللذين لا ينظران الى بعضهما البعض من خلال مناظير التصويب المتبادل، بل على العكس من ذلك مستعدان للتعاون.

وبالفعل فإن الاتصالات الروسية الامريكية وعلى الصعيد العسكري قد شهدت في الونة الاخيرة تناميا ملحوظا. ومعرض الطيران الاخير قد شهد حضور الطائرات الحربية الامريكية وللمرة الاولى منذ اربع سنوات. ومن جهة ثانية يواصل طيراننا الحربي استعداداته لمناورات عسكرية مشتركة ستجرى على الاراضي الامريكية. وهذه الخطوة صغرى على طريق التعاون بين البلدين بيد انها تحظى بما يميزها.

ويتم عبر أراضي بلادنا واجوائها عبور الشحنات المدنية الامريكية الى افغانستان وفي ذلك عنصر هام ضمن اطار التعاون العسكري القائم بين الجانبين. ويتم بشكل دوري تبادل زيارات الوفود العسكرية، الى جانب دخول السفن الحربية المتبادل الى مياه البلدين. وعموما إذا ما اخذنا التعاون الحاصل بين البلدين على الصعيد العسكري فيمكننا هنا التأكيد على ان نهج اعادة التشغيل في العلاقات بين البلدين لم يطرأ عليه اي تغيير سلبي.

ولكن العلاقات بين بلدينا لا تقتصر على التعاون العسكري، لأن المسار السياسي يبقى المنحى الاهم في العلاقات بين البلدين، ناهيك عن مستوى العلاقات بين قيادتي البلدين وعن مستوى تمكن وزارتي الخارجية الروسية والامريكية من الحفاظ على جو العمل الذي يساعد على حل مختلف المشكلات والمعقدة منها والتي تتباين وجهات نظر الطرفين حيالها.

أوغانيسيان: «قضية ماغنيتسكي» تسببت بنوع من عدم الاستقرار في العلاقات بين موسكو وواشنطن. ويوجد لدينا سؤال من مستمع حول هذه المسألة مفاده: «ما الغاية من وراء الاهتمام الامريكي الكبير بقضية

ولهذه الاسباب فإننا عندما نتحدث ونسمع عن مفهوم مثل منظومة الدفاع المضاد للصواريخ في اوربا، يتوجب علينا ادراك حقيقة ان هذه المنظومة ليست اوربية وإنما منظومة أمريكية مضادة للصواريخ تنشر على اراضي اوربا بموافقة من الدول الاوربية.

أوغانيسيان: وما هو موقف الدول الاوربية في الفترة الراهنة إزاء الدرع الصاروخية الامريكية؟

دينيسوف: إن نظرنا من الناحية المستقبلية فإن مواقف الدول الاوربية ككل بناءة، وذلك لان اوربا معنية بأمنها الشامل، ولأنه لا يفصلها عنا المحيط الاطلسي.

ونحن ايضا اوربيون، نعيش في قارة واحدة والدول الاوربية، ويتعين علينا في نهاية المطاف اقامة نظام أمني مشترك. ولذلك فإن الدول الاوربية لا تناقش معنا هذه القضايا بحدة ملمحة بذلك الى ان هذه المسالة تدخل في حيز الحوار والجدل بين موسكو وواشنطن. ولا تحبذ الدول الاوربي ان تنعكس الحساسية في العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة على المناخ السياسي العام في اوربا. وكما نرى فإن هذه المسألة معقدة بالنسبة الى شركائنا الاوربيين. واريد تجديد التأكيد على ان الدول الاوربية هي نواة معافاة لأوربا القارية، وهي تلعب دورا ايجابيا خلال النقاشات التي تدور حول مسألة الدفاع الصاروخي في أوربا بين موسكو وواشنطن.

أوغانيسيان: بعض وسائل الاعلام الروسية والاجنبية راحت في الآونة الاخيرة تتحدث عن انتهاء نهج إعادة التشغيل في العلاقات بين موسكو وواشنطن، في حين تركز هذه الوسائل على ان وزارتي الدفاع في البلدين هما الوحيدتان اللتان لا تزالان مستمرتين في التعاون. فما تعليقك على ذلك؟

دينيسوف: ما يسعدني هو اشارة وسائل الاعلام الى استمرار التعاون بين وزارتي دفاع البلدين، ودعوني بهذه المناسبة أن الفت الى ان التعاون الفني العسكري بين البلدين لا يحظى باهميته على نطاقه فحسب،

التنسيق خلال نشرها بشكل لا يخل بالمبدأ الاساسي المتمثل من وجهة نظرنا في الطابع العام الامني، وبشكل لا يتم من خلاله الحفاظ على امن دولة معينة على حساب امن دولة اخرى.

نحن من جهتنا لا نعارض الدفاع الصاروخي من حيث المبدأ وتوجد لدينا مثل هذه المنظومات الدفاعية، ولكن الامن يمكن تحقيقه عندما يكون شاملا. وبلادنا بصفتها دولة مستمرة في الحوار مع واشنطن فيما يتعلق بمسائل الدفاع المضاد للصواريخ، لا يتعين عليها الشعور بأي خطر يهددها ينجم عن نشر منظومات الدفاع الامريكية.

وفي ذكرت تتلخص المشكلة بوجه عام. ولهذا السبب على وجه التحديد نسعى الى الاتفاق مع الولايات المتحدة على التقييم المشترك للاخطار الصاروخية. وربما توجد هناك الاخطار بيد انه لا بد من التعاطي معها بجدية ومن وجهة النظر الآنية والمستقبلية. اي يمكننا هنا التكهن بأن هذه الدولة او تلك لا تمتلك اليوم الصواريخ في حين ربما لها ان تحصل على الصواريخ عقب مضي عقد من الزمن، وهذا امر لا يمكن تجاهله ايضا.

وبمعنى آخر لا بد من الحوار والتعاون على تقييم الاخطار المشتركن ومن ثم القيام بالخطوة التالية، ويجب تقييم اخطار يومنا هذا والاخطار التي يمكن لها الظهور مستقبلا.

ويتعين على الدول التي تشكل فيما بينها الاتحادات، يتعين عليها تقديم التعهدات المتلخصة في الا تقوم بالخطوات التي يمكن لصديقك ان يرى فيها تهديدا له.

وفي الواقع الامر على هذا الصعيد مشوب بالتعقيدات الكبرى. ورغم ذلك لا يزال الحوار مستمرا، والمشاورات لا تنقطع وعلى وجه التحديد بين والجانب الامريكي ولأن بلدينا قادران من الناحية التقنية والتكنولوجية على تصميم وتصنيع منظومات الدفاع الصاروخي، وليس بمقدور باقي الدول القيام بذلك.

التقليل من فعالية المجلس وقدرته على العمل وامكانياته فيما يتعلق باتخاذ القرارات.

ولا بد على هذا الصعيد من تسليط الضوء على خصوصية اخرى متمثلة في ان مجلس الامن مكون من الدول دائمة ومؤقتة العضوية. والسؤال هنا: إن كان المجلس سيتوسع فما هي فئات الدول الجديدة التي ستنضم اليه؟ هل سيتم توسيع المجلس مع توسيع العضوية الدائمة فيه أم يمكن توسيعه مع الإبقاء على حاله الذي تشكل بموجب التحولات التاريخية وانضمام دول جديدة اليه مع عدم منحها العضوية الدائمة فيه ما يفسح المجال امام عدد اكبر من دول العالم لتحظى بالعضوية المؤقتة فيه. هذا هو السؤال الخاضع للنقاش ايضا.

أوغانيسيان: الى اي مدى سنقدر على الحيلولة دون نشر عناصر الدرع الصاروخية الامريكية بمحاذات حدود بلادنا، في ظل التأكيدات المستمرة والتي تثير الدهشة على ان هذه الدرع ستتصدى للصواريخ الايرانية. والى مسمع من حسب رأيكم بتم توجه هذه التأكيدات؟

دينيسوف: ان الامريكان حينما يتحدثون عن الخطر الايراني يحاولون إقناع انفسهم بذلك بشكل اكبر من محاولة اقناعنا. الهدف المرسوم لواشنطن يتمثل في السعي وراء فرض الهيمنة الامريكية على العالم. والتفكير القومي الامريكي يتلخص على النحو التالي: يتعين على الولايات المتحدة ان تكون اقوى من اي عدو محتمل، ولا بد لها ان تكزن مطلقة العنان في كل شيء وان تكون ذات نفوذ مطلق في العالم.

وفي الواقع نحن شاهدون في عالمنا المعاصر على ان الامريكيان لا يتمكنون على الدوام من لعب الدور الحاسم. وانظروا الى الولايات المتحدة كيف غرقت بكامل قواها العسكرية في افغانستان، والامر كذلك كان بالنسبة اليها في العراق.

ونرى انه لا بد لمنظومة الدفاع الصاروخي الامريكية في اوربا ان تتشكل انطلاقا من الواقع القائم في العالم المعاصر وعلى اسس جماعية وان يتم

لشح المياه على النطاق العالمي من خلال النشاطات التي تبذلها على هذا المسار. وإن دل ذلك على شيء فإنه سيؤكد على ان الدول الصغيرة ايضا بمقدورها لعب دور كبير على الساحة الدولية أسوة بالدول الكبرى. منظمة الامم المتحدة هيكل عملاق بميزانية تقدر بالمليارات التي لا يتم على الدوام إنفاقها بشكل فعال. وذلك ناجم في بعض الاحيان عن البيروقراطية التي تصنع عمدا في بعض الحالات والتي تتحول في بعض الاحيان الى امر لا يمكن احتماله. ومنظمة الامم المتحدة لا تستطيع على الدوام اللحاق بركب العصر. وهذه حقيقة قائمة ومن هنا فالحاجة قائمة لإصلاح منظمة الامم المتحدة ولكن بصورة تطال سائر منظومة الامم المتحدة.

أوغانيسيان: هل روسيا حقا تطالب بتوسيع نطاق مجلس الامن الدولي ليشمل دولا اخرى؟

دينيسوف: هذه القضية تخفي في ثناياها تناقضات محددة. وبالطبع يمكن لمجلس الامن الدولي ان يتوسع، ولكن في حال التوافق على ذلك او في حال موافقة معظم الدول الاعضاء في منظمة الامم المتحدة على القيام بمثل هذه الخطوة، وموقفنا يسير على هذا النحو.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الغرض من توسيع نطاق مجلس الامن الدولي؟ هل ان المطلوب من ذلك الحصول على التمثيل في المجلس أم ان المطلوب هو جعل جسد مجلس الامن اكثر قدرة على العمل وبشكل لا يتجاهل على النطاق الواسع مختلف الرؤى ووجهات النظر والتعاطيات المتباينة.

نحن شأننا شأن الولايات المتحدة والصين مستعدون للموافقة على توسيع مجلس الامن الدولي وبشكل يكون فيه المجلس قادرا على الحفاظ على قدرته على العمل. وعدد اعضاء المجلس في الفترة الراهنة 15 بلدا عضوا. وإن توسع المجلس ليصبح عدد اعضائه عشرين ونيف، فإن ذلك سيوسع طيف الدول الممثلة في المجلس ولكن دون ان يفضي ذلك الى

السعادة ببنود هذا البرنامج. ونحن نتعاطى مع مثل هذه التمرينات بتحفظ منطلقين من أن مثل هذه المبادرات خارجة عن نطاق المعهود. دعونا نتحدث بجدية ايها الزملاء. منظمة الامم المتحدة منظمة كبيرة للغاية، منظمة تربط بين الدول وهي منظمة حكومية مشتركة بين حكومات دول العالم. ويعمل ضمن اطار الامم المتحدة عدد من الدبلوماسيين، والشخصيات، في الوقت الذي تمثل فيه دول العالم في المنظمة الوفود المنبثقة عن حكومات العالم والتي تمثل دولها في الجمعية العامة للامم المتحدة.

ويوجد مجلس الامن الدولي الذي يتكون من خمسة اعضاء دائمين فيه، ومن عشرة اعضاء ليسوا دائمي العضوية مدة عضوية كل منها سنتان. ويقوم مجلس الامن الدولي باعضائه بإصدار القرارات والبيانات الاخرى إلزامية التنفيذ.

والى جانب ذلك توجد لدى المنظمة شبكة واسعة مما يسمى بامؤسسات الخاصة لدى الامم المتحدة، الى جانب مختلف الدوائر والإدارات. ويوجد لدى المنظمة ايضا برنامج لتنميتها بميزانية كبيرة. ويوجد صندوق الامومة والطفولة. وعموما الأجهزة التابعة للمنظمة تقدر بالعشرات.

وكل من هذه الاجهزة يمارس المهام الموكلة اليه. وتوجد على سبال المثال مؤسسة مكافحة التصحر والجفاف في العالمن والمنظمات التابعة للامم المتحدة والتي تعنى بزراعة الغابات، والأجهزة المختصة بمسائل حماية البيئةن ناهيك عن اللجان الاقتصادية التابعة للمنظمة. وكونوا على ثقة تامة بأن كافة هذه الاجهزة لا تعنى بالقضايا المتعلقة بالحضارات الكونية. وتجدر الاشارة هنا الى الدور الفعال الذي تلعبه طاجكستان من خلال عضويتها في الامم المتحدة فيما يتعلق بقضايا الحصول على المياه العذبة وفيما يخص العثور على مخرج من مآزق شح المياه العذبة في مناطقة كثيرة من العالم. والملفت هنا ان طاجكستان الدولة الصغيرة والتي تعاني من مشاكل المياه كانت سباقة في التطرق الى مسالة التصدي

أوغانيسيان: سؤال حول منظمة الامم المتحدة. «كيف تنظر موسكو الى تجاوز منظمة الامم المتحدة خلال نشاطاتها المواثيق الاساسية التي تبنتها والتي في مقدمتها «ان الهدف الاساسي لمنظمة الامم المتحدة يتمثل في الحفاظ على الامن والسلم الدوليين»، والى ممارسة المنظمة كافة القضايا حتى ان وصل فيها الامر الى الاهتمام بوضع ميثاق ينظم اللقاء بالحضارات الكونية، في ظل اهمالها الاهداف الاساسية لها. فهل حان الوقت برأيكم لإصلاح منظمة الامم المتحدة»؟.

دينيسوف: توجد بعض التجاوزات الجدية وتوجد تلك التي تثير الدهشة. والحضارات الكونية على سبيل المثال تثير الدهشة. بالفعل توجد لجنة للشؤون الفضائية تابعة للأمم المتحدة تعنى بالقضايا الهامة المتعلقة بصياغة المبادئ القانونية لاستغلال المجال الفضائي من قبل مختلف الدول. ومن بين المهام الجدية التي تمارسها منظمة الامم المتحدة. وتم مؤخرا بحث مسألة التواصل مع ممثلي الحضارات الكونية التي يمكن لها الوصول الى الارض وجرى التأكيد على أهمية قيام المنظمة بالتواصل مع هؤلاء القادمين وذلك لعمومية هذه المنظمة كممثل لسائر شعوب الارض. وبرزت الحاجة في هذا السياق الى اختيار ممثل خاص لشعوب الأرض يقوم بإجراء الاتصالات مع ممثلي الحضارات الكونية، إن وجدت طبعا. وأجدد تأكيدي هنا على ان هذا الأمر وبحثه يثير الدهشة. ونصادف احيانا الحالات التي تعبر عن اتساع صدر من يقترحها ومن بينها على سبيل المثال تقديم دولة بوتان الآسيوية الصغيرة مشروع قرار يوضح مفهوم السعادة.

ويوجد لدى الامم المتحدة برنامج تحت عنوان أهداف التنمية الالفية التي تم تدوينها في وثائق الامم المتحدة. والهدف الرئيسي لهذا البرنامج يتمثل في سبل القضاء على الفقر في العالم ونشر التعليم والقضاء على الامراض وحل القضايا الغذائية، في حيت تقترح بوتان الحاق مفهوم

سيمفيروبول حول مدى متانة مبادئ يالطا التي بنيت عليها العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية؟.

دينيسوف: تعلم ياسيدي ان المتانة لا تعني الجمود، ولا تعني التصلب والتجمد. العالم يتغير، وماذا تعني منظومة يالطا؟ منظومة يالطا تعبر عن حزمة من المبادئ، ومن الواضح ان هذه المبادئ باتت خاضعة للتوضيح في حين تبقى هذه المبادئ في أساسها متينة لا تتزحزح.

وعلى سبيل المثال من بين هذه المبادئ يأتي مبدأ وحدة الحدود في اوربا ما بعد الحرب. وهذا المبدا قد تعرض لنوع من التطور الذي تم توثيقه سنة 1975 في بيان ختامي صدر عن مجلس الامن والتعاون الاوربي وتم التوقيع على هذا البيان ومقرراته في هلسنكي وسمي فيما بعد باتفاقية هلسنكي.

ورغم ذلك وبدءا من اواسط الثمانينيات نرى ان الحدود في اوربا تتغير. وإن كان التغيير ناجما عن إرادة الشعوب كما حدث خلال تقسيم تشيكوسلوفاكيا الى جمهوريتين مستقلتين، فإن ذلك لا يتناقض مع مبادئ وحدة الحدود.

أوغانيسيان: وهل ينسحب هذا الامر على اقليم كوسوفو؟

دينيسوف: لا، هذا الامر لا ينسحب على كوسوفو. ولهذا السبب بالذات فإن بلادنا وحزمة واسعة من دول العالم لا تعترف بكوسوفو ككيان مستقل معتبرة إياه جزءا لا يتجزأ من صربيا. وفي التعاطي مه هذه الحالة نرى انها تشكل مشكلة قانونية دولية كبرى. وهذا الامر ينسحب ايضا على التسوية في قره باغ وعلى بريدنيستروفيه، وشمال قبرص، ومع الاسف يوجد في اوربا عدد من هذه الحالات المشابهة.

ولا بد هنا من الاشارة الى ان العالم في تغير، والمنظومة العالمية هي الاخرى في تغير، في حين تبقى الأسس الثابتة على هذا المسار والكل هنا معني بذلك. ولا يحاول احد عن وعي ازالة الحدود في اوربا، ولأن الامر في هذه الحالة يمكن له ان ينتهي بفتح صندوق باندورا.

في المجلس الى جانب العضوين الدائمين فيه روسيا والصين، أي كافة المجموعة في الفترة الراهنة تحظى بتمثيلها في مجلس الامن الدولي، ما يصب بالمناسبة في صالح اجندة العمل اليومية لمجلس الامن.

أوغانيسيان: يسأل مستمع حول «ان كان قد ظهر شرخ في وحدة موقف مجموعة بريكس حيال الاوضاع في سورية»؟ فقد اعلن مؤخرا عن الخطوة المشتركة التى قامت بها الممثليات الدبلوماسية للهند وجنوب افريقيا والبرازيل، بينما امتنعت الصين وروسيا عن الاشتراك فيها.

دينيسوف: لا، لا يوجد اي تناقض في المواقف بين دول المجموعة حيال المسالة السورية. ولقد ذكرت في معرض الحديث أن دول المجموعة متباينة بعض الشيء فيما بينها. روسيا والصين هما دولتان دائمتا العضوية في مجلس الامن، في حين البرازيل والهند وجنوب افريقيا لا تحظى بالعضوية الدائمة في المجلس. وللدول الثلاث نوع من الليونة، وحينما تصدر عن هذه الدول اي مبادرة فهذا يعني ان المبادرة متعلقة بحزمة اوسع من الدول قياسا بالدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن. وعلى سبيل المثال كان قد صدر بيان في وقت سابق عن مجلس الامن الدولي حول سورية تمت الموافقة عليه من كافة الدول، والجهة المبادرة لإصدار مثل هذا البيان كانت هذه الدول الثلاث، حيث اخذت هذه الدول على عاتقها دور الوسيط. وكان ممثلون عن هذه الدول قد توجهوا الى العاصمة السورية في سعي للعثور على اي من السبل التي من شانها مد الجسور بين طرفي الأزمة في سورية. ولهذا السبب لا نجد اية تناقضات داخل نطاق بريكس.

واعود واؤكد اننا لسنا دولا متشابهة طبق الأصل وإنما نمتلك وجهات نظر متشابهة للغاية حول المجريات العالمية.

أوغانيسيان: ما زالت تدور الاحاديث حول اهمية متانة منظومة العلاقات الدولية التي تم اعتمادها في اتفاقيات يالطا. ويتساءل مستمع من

منظور واحد تقريبا لتتجمع هذه الدول وتقوم بالبحث عن الحل او ايجاده لمواجهة المسائل التي تقلق هذه البلدان مجتمعة.
وأعود وأؤكد ان مجموعة بريكس ليست منظمة دولية أو حلف دولي، وإنما هي شبكة دبلوماسية تربط بين دول كبرى تمتلك اقتصاديات متنامية وتجمعها المصالح المتلاقية (وليس في كافة المواقف وإنما في حزمة منها). ولا يوجد في هذه المجموعة هرمية في مواقع دولها ولا يوجد ضمن نطاقها الأخ الاكبر والاخ الاصغر، ولا يوجد ضمن اطارها دول قيادية ودول تنفيذية، خاصة وان دول المجموعة متوازية تقريبا في عظمها، او كما يقول الرياضيون من نفس الوزن.
وتعقد على حلبات بريكس القمم التي تجمع قيادات هذه الدول ويتم خلال القمم بحث قضايا السلم الدولي والامن سبل مواجهة الاخطار والتحديات الجديدة والتي من بينها على سبيل المثال الارهاب، والاتجار بالمخدرات في جو منفتح وودي، ناهيك عن اللقاءات التي تعقدها دول المجموعة على المستوى الوزاري للتنسيق والمشاورات. وجرت العادة على ان يجتمع وزراء مالية دول المجموعة قبيل انعقاد الفعاليات الكبرى المتعلقة بترتيب النظام المالي العالمي، وذلك من اجل توحيد المواقف على اساس منفتح. وتعقد الى جانب ذلك لقاءات وزراء الزراعة لبحث القضايا الغذائية، خاصة وان الصين والهند بعدد السكان الكبير في كل منهما تواجهان مشاكل كبرى هلى هذا الصعيد، فب الوقت الذي انضمت فيه البرازيل الى لائحة الدول المنتجة الكبرى للمواد الغذائية. وروسيا بدورها راحت هي الأخرى تتبوأ مصاف الدول الرائدة في هذا المجال وحققت تقدما منقطع النظير العام الماضي من خلال تعزيز مواقعها في أسواق الغذاء العالمية. وعلى الدوام توجد القضايا التي يتعين على دول بريكس بحثها ونحن لا نخفي شيئا على هذا المسار.
ونواصل تعاوننا مع منظمة الامم المتحدة والفترة الراهنة مشجعة من ناحية انضمام كل من الهند والبرازيل وجنوب افريقيا الى العضوية المؤقتة

دينيسوف: أشد على يد القيصر في قوله هذا، وارى ان قوله صائب الى ابعد الحدود، وهنا الامر لا يستحق السؤال.

وحتى لو نظرنا من الناحية الجغرافية الطبيعية نرى انه من غير الممكن لدولة شاسعة مترامية الاطراف مثل روسيا ألا تكون لها قوات مسلحة قادرة على القتال ومستعدة للذود عن حياض البلاد ومن كافة الابعاد برا وبحرا وجوا.

وكما نرى جميعا فإن قيادة البلاد وحكومتها تولي هذه المسألة اهتماما منقطع النظير، في حين لا ننوي التعدي على أحد. ولا نرجح اندلاع نزاع عسكري واسع النطاق أو إشعال حرب على بلادنا لا باستخدام السلاح التقليدي ولا باستخدام السلاح النووي.

ورغم ذلك فإن التهديد الحربي لا يزال قائما، الى جانب وجود الاخطار والتحديات الجديدة التي من المتعذر مواجهتها بشكل منفرد. وانطلاقا من ذلك تدأب روسيا على بناء الأمن الجماعي معتمدة بالطبع على قدراتها وامقدرات قواتها المسلحة. وأجدد تأكيدي هنا على ان الامر لا يحتمل طرح الاسئلة على هذا الصعيد.

أوغانيسيان: سؤال من مستمع من بيرم. «ان تشكل مجموعة بريكس يثير حساسية بعض الدول. هل تلمس وجود محاولات للحيلولة دون نضوج بريكس»؟

دينيسوف: دعنا نتحدث عن مجموعة بريكس من المنظور العام. هذه المجموعة تعبر عن توحيد جديد للقوى بين عدد من الدول يتلائم مع خصائص المرحلة الراهنة لحل المشاكل التي تواجهها هذه المجموعة. واريد الاشارة هنا الى ان مجموعة بريكس ليست منظمة دولية ولا تحتوي في هيكليتها اية أجهزة خارجة على السيادة الوطنية لكل من الدول الاعضاء. وهذه المجموعة في الواقع ليست إلا واحدة من اوائل الامثلة التي تعبر عن شبكة دبلوماسية ترى دولها الاحداث في العالم من

التي تتناقلها وسائل الاعلام الاجنبية حول امكانية دخول دولة ثالثة على الخط لحسم الاوضاع في سورية، وهل هذا الامر ممكن؟

دينيسوف: إنني لست على علم بوجود دولة مستعدة للتدخل العسكري الخارجي بسورية، بل على العكس من ذلك كافة اللاعبين الدوليين الاساسيين مثل الولايات المتحدة والدول الاوربية وتركيا تؤكد باستمرار على رفضها أي تدخل خارجي في النزاع الداخلي السوري، وبلادنا من المعروف أنها أيضا لا تؤيد اي نوع من التدخلات الخارجية بسورية.

أوغانيسيان: سؤال من بطرسبورغ. «هل لك ان تعدد لنا الدول الحليفة لبلادنا في العالم؟».

دينيسوف: من الافضل القول هنا انه والحمد لله لا يوجد لدينا اعداء في عالمنا المعاصر. وإذا ما اخذنا الدول المحيطة بروسيا الاتحادي او الواقعة في الفضاء الجغرافي القريب منها فالعلاقات بين بلادنا وهذه الدول متوازية ومتساوية ومستقرة.

والدولة الوحيدة التي تخرج عن نطاق هذه القاعدة هي جورجيا، حيث توجد المشاكل المتعلقة بالقيادة السياسية العليا لهذا البلد، لكن هذا الأمر لا ينسحب على جورجيا كدولة او على الشعب الجورجي على وجه التحديد.

أما ما يتعلق بالدول الحليفة لروسيا، فالطبع يوجد لدينا الحلفاء وهي الدول الاعضاء في منظمة معاهدة الامن الجماعي لأن هذه المنظمة ليست إلا منظمة عسكرية سياسية تحالفية. ولقد انعقدت مؤخرا قمة غير رسمية للمنظمة في كازاخستان، وخلصت القمة بقرار هام للغاية يقضي بالعمل على تأقلم المنظمة مع خصائص التطورات الإقليمية والدولية المعاصرة.

أوغانيسيان: سؤال مشوق لأنه من المانيا. ما رأيك بالمقولة الشهيرة للقيصر الروسي الكسندر الثالث «ان لروسيا حليفين هما جيشها واسطولها؟».

وفي هذا السياق تعالي اصوات زملائنا المحترمين من بعض دول اوربا الغربية المنادية بتنحي الرئيس السوري بشار الاسد واستقالة حكومته، توحي للمعارضة السورية بأن الرأي العام العالمي سيساعدها على التغلب على السلطات الحالية في البلاد ما يعني انه لا توجد حاجة للقبول بأية مفاوضات مع السلطات. ومن هنا فإن تعقيد الاوضاع ناجم عن ان الممارسات من هذا القبيل لا تفضي إلا الى تفاقم الأوضاع في سورية.
أما ما يخص شق السؤال حول الضغوطات على روسيا، فأقول هنا انه من غير الممكن إخضاعنا للضغوط، أو إخضاع الصين ايضا لهذه الضغوطات لأن الصين ايضا عضو دائم في مجلس الامن الدولي يمكنها التصرف كقوة سياسية مستقلة ومؤثرة.
لا، لن يتم الضغط علينا وإنما النقاشات مستمرة معنا وتكون حادة احيانا وتستخدم الوقائع المعززة أحيانا اخرى، ولكن هذا يشكل ظاهرة طبيعية، أو بمنى آخر لا يمكن للنقاشات في مجلس الامن الدولي ان تدار على نحو مغاير، ولم يتم في مجلس الامن تقديم التنازلات سابقا والامور الآن تسير ايضا على هذا المنوال.
ونحن على اتصال مستمر بالقيادة السورية، واجري اتصالان هاتفيان بين الرئيسين دميتري ميدفيديف وبشار الاسد، والمشاورات مستمرة بين وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف ونظيره السوري وليد المعلم والاتصالات مستمرة بين البلدين على كافة المستويات.
ولقد لفتنا انتباه القيادة السورية الى اهمية التروي والتعاطي بمسؤولية خلال اختيار السبل التي يمكن من خلالها إخماد المظاهرات.
والى جانب ذلك يلعب الامين العام لمنظمة الامم المتحدة، وعدد من المنظمات الاممية دورا فعالا من خلال محاولات العثور على السبل التي يمكن من خلالها اعادة الاستقرار الى سورية.
أوغانيسيان: روسيا ترفض التدخل العسكري في سورية معتبرة إياه عملا هداما وخطيرا على المنطقة برمتها. كيف لك ان تفسر لنا المعلومات

لفحوى بعض بنود هذا القرار القيام بتلك الخطوات التي نراها خاطئة، ولهذا السبب نواصل العودة الى هذه المسألة وطرحها على مائدة مجلس الامن الدولي لبحثها.

وبالفعل فإن بنود القرار رقم 1973 تحظر امداد طرفي النواع الليبي بالاسلحة والمعدات العسكرية، ولم يقم احد بتزويد الثوار الليبيين بالاسلحة الثقيلة، في حين تم تمرير السلاح الى ليبيا بشكل نصف سرين ونحن على يقين تام بذلك.

أوغانيسيان: سؤال من مستمع من بطرسبورغ. «هل تحصل موسكو على المعلومات المؤكدة وغير المسيسة حول الأوضاع في سورية في ظل الحرب المعنوية الدائرة؟ وما هي الاستنتاجات التي يمكن الخلوص اليها من هذه المعلومات، وهل تتعرض بلادنا الى الضغوطات الخارجية من قبل اصدقاء روسيا بغرض حضها على الخلوص الى الاستنتاجات التي ترضيهم؟

دينيسوف: يسعني هنا التأكيد على اننا نحصل على المعلومات الوافية والمعززة حول ما يحدث في سورية التي تعايش أوضاعا معقدة للغاية ومتشابكة وغير قابلة للتفسير.

وما يسم الاوضاع في هذا البلد عموما يؤكد على وجود الاضطراب الداخلي ويكشف عن محاولات السلطات السورية إخماد الاضطرابات الشعبية والتي لا تعتبر ضربا من ضروب السعي الجماهيري وراء الديمقراطية، وإنما انتفاضة لتلك القوى التي تسعى عن وعي وراء زعزعة الاستقرار في الجمهورية والانقلاب على النظام الحاكم فيها.

واريد هنا الاشارة الى ان المسألة السورية على غرار اي قضية دولية خاضعة للمداولات والنقاشات على المستوى العالمي وضمن نطاق مجلس الامن الدولي الذي تتباين في اروقته مواقف الدول الاعضاء الدائمين فيه في تقييم الاحداث في هذا البلد. وموقف بلادنا واضح وغير قابل للتأويل ويتمثل في دعوتنا الى وقف كافة اشكال العنف واطلاق الحوار الوطني الشامل بين السوريين.

الاعضاء في الامم المتحدة بتطبيق بنود القرار مع الأخذ بالحسبان ان نظم القانون الدولي تحظى بالاولوية قياسا بتشريعاتنا الوطنية.
ورغم ذلك توجد مهمة لا يمكن تجاهلها تتمثل في كيفية اعتماد ما ينص عليه القانون الدولي الى التشريعات الداخلية في بلادنا، وانطلاقا من هذا المبدأ يتم هذا الاعتماد بموجب مرسوم الرئيس.
وجرت العادة ان تستغرق مطابقة القرار الدولي في مختلف الهيئات نحو شهر كامل او شهر ونصف، أو ان الامر في بعض الاحيان يصل الى شهرين، وذلك نتيجة وجود المسائل التي تتعلق بمختلف اجهزة السلطة. وقمنا بتمرير هذا القرار على كافة الجهات الرسمية الروسية المعنية، وتم في اعقاب ذلك التوقيع عليه. واريد التاكيد هنا على ان قرار رئيس البلاد بدأ سريان مفعوله منذ لحظة صدور قرار مجلس الامن ولذلك فإنني هنا لا المس وجود اي نوع من التناقضات.

أوغانيسيان: هل لك أن تفسر لنا الموقف الذي اتخذته روسيا إزاء قرار مجلس الامن الدولي بصدد ليبيا عندما احتجبت بلادنا عن التصويت عليه؟

دينيسوف: لقد تم اتخاذ القرار رقم 1973 على عجل، وما زال يتضمن البنود التي لم تحظ برضانا خلال اعداده، ما حضنا على التخلي عن تأييده من خلال امتناعنا عن التصويت. وإن صوتنا ضد القرار لأفضى ذلك الى عرقلة القرار وعدم صدوره بصفة بلادنا عضوا دائما في مجلس الامن يتمتع بحق الفيتو.
اننا قمنا بذلك عن وعي تام. وأجدد التاكيد على ان هذا القرار قد تضمن خلال اعداده وعقب صدوره الصيغ التي لم يكن لها ان تتماشى مع رؤيتنا ناهيك عن صياغة نصه بطريقة تسمح بتأويله و«مطه» وتفسيره على اهواء مختلفة.
وإن الدول الاعضاء في ما يسمى بفريق المتابعة والدول الغربية على وجه التحديد تستغل بعض بنود القرار. ويمكن من خلال التفسير المختلف

ورغم ذلك فإن المسألة الملقاة على كاهل الساسة والدبلوماسيين تتمثل في التخفيف الى أدنى الحدود من الآثار السلبية لهذه الحالة من عدم الاستقرار، وفي خلق ان سنحت الفرصة المقومات التي يمكنها التمكين من الانتقال الى طور جديد من التنمية، وذلك لأن التنمية بشكل عام تسير على النحو من القفزات.

وإذا ما عدنا الى التاريخ، وعلى الاقل الى التاريخ المعاصر فربما سيكون من الحق القول ان مراحل الاستقرار والهدوء النسبي والتنمية المتوازنة والمستمرة بديناميكية كانت قصيرة للغاية في حين كانت مراحل عدم الاستقرار والتخبط، ومع الاسف كانت اطول بكثير وذات آثار اكثر مأساوية. (يمكن هنا استثناء بعض الحالات لكنني الآن اتحدث عن الظاهرة بشكل عام).

لقد طالت المرحلة الحالية من عدم الاستقرار والتي بدأت على خلفية الازمة المالية الاقتصادية العالمية، ورغم ذلك دعنا نكون متفائلين، والأحرى دعنا نبتعد عن الولوج الى تشاؤم زائد عن الحد، وان نأمل في وجود مقومات الخروج من هذه الازمة.

أوغانيسيان: دعنا ننتقل بالحديث معك من الازمة الاقتصادية العالمية الى الازمة السياسية على الصعيد العالمي. يطلب أحد المستمعين من موسكو منك التعليق على السبب الذي كان وراء توقيع الرئيس دميتري ميدفيديف على قرار العقوبات ضد ليبيا متأخرا في حين كان قد صدر قرار مجلس الامن الدولي بهذا الصدد قبل ردح من الزمن.

أندريه دينيسوف: هنا لا بد من الاشارة الى الحيثيات المراسيمية المعقدة. وبالفعل فإن قرار مجلس الامن الدولي بصدد ليبيا كان صدر في 17 آذار/مارس 2011، اي منذ فترة طويلة.

ولا بد هنا من الإشارة الى ان قرار مجلس الامن الدولي يتضمن التصرف المباشر، والتطبيق العاجل لبنوده. وشرعت بلادنا أسوة بكافة الدول الأخرى

أندريه دينيسوف

النائب الاول لوزير الخارجية الروسي

الحمد لله لا يوجد لدينا اعداء في عالمنا المعاصر

ينشر الحوار ضمن مشروع لراديو «صوت روسيا» تحت عنوان «وجها لوجه مع العالم»

أرمين اوغانيسيان رئيس تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»: اسمح لي سعادة نائب الوزير في مستهل الحديث أن أشير الى انه إذا ما ألقينا نظرة على الأوضاع في عالمنا المعاصر فإننا نلمس دخول عدد كبير من دول العالم الى مرحلة من مأساوية من انعدام الوزن فيها، عقب ان عاشت طوال عقود من الزمن في ظل استقرار سياسي واقتصادي، ناهيك عن ان هذه التحولات تظهر في دول مختلفة وحتى في قارات مختلفة على امتداد العالم. فما هو تصورك للرابط الداخلي ما بين هذه الأحداث؟

أندريه دينيسوف: سؤالك معقد. واتفضل النظرة الفلسفية التي تفيد بوجود الرابط بين السبب والنتيجة في كافة الظواهر الجماهيرية. وانطلاقا من ذلك فإن ما يجري على الساحة العالمية وعلى امتداد العالم ليس إلا مرحلة من عدم الاستقرار والتحولات، يتم خلالها تشكيل هيكلية جديدة للعالم وللعلاقات الدولية على حد سواء. ومن الصعب معاصرة مثل هذه التحولات عموما.

اندريه دينيسوف: «إن ما يجري على الساحة العالمية وعلى امتداد العالم ليس إلا مرحلة من عدم الاستقرار والتحولات، يتم خلالها تشكيل هيكلية جديدة للعالم وللعلاقات الدولية على حد سواء. ومن الصعب معاصرة مثل هذه التحولات عموما. ورغم ذلك فإن المسألة الملقاة على كاهل الساسة والدبلوماسيين تتمثل في التخفيف الى أدنى الحدود من الآثار السلبية لهذه الحالة من عدم الاستقرار، وفي خلق ان سنحت الفرصة المقومات التي يمكنها التمكين من الانتقال الى طور جديد من التنمية.»

ميخائيل بوغدانوف: «وراحت تتبلور بعض الشكوك في صحة الخط السياسي الذي تمارسه قيادات كل من تونس ومصر وليبيا واليمن التي استمرت في سدة الحكم لعقود. وكان من المتوقع ان يحدث في لحظة ما الانفجار الاجتماعي الاقتصادي في بلدان المنطقة، بيد انه كان من المتعذر التكهن بهذه اللحظة حيث ان التطورات اخذت طابعا تلقائيا لها في بادئ الامر.»

سيرغي ريابكوف: «لا بد من الاشارة الى اننا لم نكن نعول كثيرا على تحسن باهر في مستوى العلاقات مع واشنطن، إذ ان الصعوبات في علاقات البلدين لا بد لها من ان تطفو على السطح في مجال او آخر. وعمليا فإن «إعادة التشغيل» ليست إلا عملية آنية لا يمكن لها الاستمرار الى ما لا نهاية، بيد أننا نعلق الآمال على ألا تتنامي مشاكل الدفاع الصاروخي الى حد تبدأ عنده العلاقات بين البلدين بالتراجع الفعلي، وتدخل مرحلة البرودة الملموسة والمعمقة، حتى ان تصل العلاقات الى وضع يمكن وصفه «بالحقبة الجليدية.»

وتتأسس على دولة الحق والمؤسسات وتتشبث بمبادئ فصل السلط وسلطة القانون ونزاهة العدالة.
ومكنت هذه الخيارات والأسس والمبادئ والقيم المغرب من تحقيق الاهداف التنموية بكل ثبات وعزم وتحقيق الإزدهار والرخاء المنشودين، وهي تمكنه أيضا من مواجهة كل التحديات التي يعرفها العالم، والذي أصبح مع مرور الزمن مترابط المصالح أكثر فأكثر.
وتتوافق السياسة الداخلية للمغرب مع سياسته الخارجية ،التي تتمحور حول المساواة في السيادة بين الدول واحترام سيادتها الوطنية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية واستخدام الوسائل السلمية لحل الخلافات والنزاعات، التي يعتبر إطارها المرجعي التعددية واحترام الشرعية الدولية.
وهذه المبادئ هي التي تؤطر السياسة الخارجية لبلدي المغرب، وهي نفس المبادئ التي نتقاسمها مع روسيا الاتحادية، وهي نفس المبادئ التي توجه مبادرات المغرب وسياسات حسن الجوار والتعاون مع مختلف الدول.
وتقبلوا مني أيها السادة والسيدات كل الشكر والامتنان.

الكلمات الرئيسية: المغرب، المملكة المغربية، «الربيع العربي»، الامازيغ، الاندماج المغاربي، بلدان الاتحاد المغربي، المبادرة الوطنية، الصحراء المغربية.

وتقوم سياسة التنمية في المغرب على أربع دعامات ومرتكزات ،وهي تقوية النمو وضمان المكانة الرائدة للمغرب كقطب جهوي للاستثمار والتصدير وإنعاش وتطوير آليات التضامن وتقوية قدرة الفاعلين الإقتصاديين.

وبفضل المناخ الاجتماعي والسياسي المتفتح والديموقراطي، الذي ينعم بها المغرب ،تمكنت الدولة المغربية من تسخير جزء هام من ميزانيته الاستثمارية لتعزيز بنيات الإستقبال عبر مشاريع طموحة تخص البنيات الطرقية والموانئ والسكك الحديدية والمطارات.

وفي هذا السياق، أعطى المغرب إنطلاقة أوراش إستراتيجية قطاعية تروم تعزيز جاذبية وتنافسية اقتصاده، ويتمثل ذلك في مخطط التنمية الصناعية ومخطط التنمية السياحية ومخطط المغرب الأخضر الخاص بالقطاع الفلاحي والمخطط «الازرق» الخاص بقطاع الصيد البحري والاستراتيجية الوطنية لتنمية موارد الطاقة، دون أن ننسى المشاريع والاستراتيجيات الهيكلية الخاصة بالنقل واللوجيستيك والتقنيات الرقمية.

وبهدف دعم آليات التضامن، التي يرعاها شخصيا صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أبدع المغرب ما يعرف بالمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، التي ساهمت مشاريعها في تعزيز قيم التضامن في المجتمع المغربي ودعم المشاريع المدرة للدخل ومساعدة الأشخاص في وضعية الهشاشة وتنمية التضامن الترابي بين مختلف أقاليم المملكة، عبر مقاربات جهوية همت كل السياسات العمومية.

وفي نفس الآن تبقى تنمية الموارد البشرية في صلب اهتمام السياسات العامة للدول المغربية ،وذلك عبر إصلاح النظام التعليمي والتكوين وملاءمة التكوين مع حاجيات القطاعات الصناعية والفلاحية والطاقية والسياحية.

10. وليس من باب المبالغة أن أبرز أن الأوراش الإصلاحية الكبرى التي تزداد وتيرتها من سنة لأخرى ومنذ نحو عشر سنوات، جعلت المغرب يعيش مرحلة جديدة من التطور وهو ما ساهم أيضا في تعزيز موقع المغرب كدولة حديثة ترعاها ملكية دستورية ديموقراطية واجتماعية

لتعزيز عرى التعاون مع دول القارة الافريقية، خاصة وأن ما يجمعهما هو علاقات تاريخية وثقافية متينة ومتجذرة.

وكان المغرب سباقا دائما للتضامن مع الشعوب الإفريقية لنيل استقلالها وحريتها من نيل الاستعمار ودعم جهود التنمية عبر مشاريع هادفة، وتعاون تشاركي يحترم مصالح كل الاطراف المعنية، وكل هذه المشاريع مكنت المغرب والدول الافريقية الصديقة من إعطاء دينامية فعالة في العلاقات المغربية ودول افريقيا واعطت دفعة قوية وزخما كبيرا للتعاون بين دول القارة.

8. وعمل المغرب، الذي تجمعه مع المجموعات والاتحادات الاقليمية الأورومتوسطية علاقات خاصة ومتقدمة، على تعزيز علاقاته مع دول حوض البحرالابيض المتوسط ودعم إنشاء الاتحاد من اجل المتوسط، كآلية تنموية تهدف بالأساس الى تكثيف الجهود الاقليمية لمواجهة التحديات الاقتصادية والسياسية الآنية والمستقبلية وإحلال الإستقرار وضمان الإزدهار وتحقيق التقارب بين الدول المعنية.

ومكنت سياسة المغرب التنموية وتشبثه بمبدإ حسن الجوار مع جيرانه الشماليين ،من ربط علاقات خاصة مع الاتحاد الاوروبي وتوقيع اتفاقيات تعاون عديدة وكذلك الحال مع دول حوض البحر الابيض المتوسط ،التي تتوخى بالخصوص حفظ الأمن والاستجابة لضرورات التنمية والتقدم.

9. على المستوى الاقتصادي، راهن المغرب منذ عهد بعيد على تحرير اقتصاده وتبني المفاهيم اللبيرالية في هذا المجال ،وهو ما ترجم على أرض الواقع عبر اتفاقيات التبادل الحر مع عدد من الدول، وراهن كذلك على تحسين تنافسية اقتصاده الوطني ،وقد مكن الاستقرار الماكرو اقتصادي وتنمية القطاع المالي ودعم النسيج الصناعي والمقاولات الصغرى والمتوسطة وكذا تحسين مناخ الأعمال من تحصين ذات المغرب الاقتصادية ومواجهة تداعيات الأزمة المالية العالمية والحفاظ على جاذبية الإقتصاد.

في الحرية والاستقرار والازدهار والنماء وإنشاء دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وانطلاقا من موقعه كرئيس للجنة القدس والعطف الخاص الذي يكنه للشعب الفلسطيني الشقي، لا يدخر صاحب الجلالة الملك محمد السادس جهدا للدفاع عن حق الشعب الفلسطيني في انشاء دولة مستقلة، وهي المواقف التي لقيت دائما استحسانا وتنويها من طرف المجتمع الدولي .

6. وباعتبار موقع المغرب الذي يعد حاليا عضوا غير دائم في مجلس الامن الدولي، فإنه يكثف جهوده من أجل دعم جهود السلام والامن الدوليين ،ويبقى الحضور المتميز للمغرب على مستوى مجلس الامن، الذي يعد العضو العربي الوحيد فيه، واقتراحاته البناءة، خير دليل على تجند المغرب الدائم لنصرة القضايا العادلة للعالمين الاسلامي والعربي وطرح حلول بناءة لبعض القضايا الشائكة التي تعرفها الساحة العربية، منها القضية السورية، والتي قام المغرب بمجهودات محمودة لحل هذه الازمة والحد من العنف والدفاع عن وحدة سورية الشقيقة وسيادتها الوطنية، والمغرب كله أمل أن تنجح خطة المبعوث الاممي والعربي المشترك كوفي عنان، الملهمة من المبادرة العربية بشكل كبير، على أرض الواقع حتى يتسنى للشعب السوري ان يعيش كريما ومطمئنا.

ومن القضايا الأساسية الاخرى، التي يعتبرها المغرب أولية من أولويات عمله ومبادراته على مستوى مجلس الامن الدولي هو أمن واستقرار القارة الافريقية وتعزيز علاقات التضامن بين دول القارة السمراء وتوطيد العلاقات متعددة الاهتمامات على مستوى جنوب – جنوب وكذا تعزيز مجال حقوق الانسان، وللمغرب كل الشرف والاعتزاز أن يتقاسم مع روسيا نفس الاهتمام بكل القضايا الدوليةالراهنة، التي تتطابق او تتشابه فيها وجهات نظر الرباط وموسكو.

7. إن المغرب فخور بجذوره الإفريقي، ومن هذا المنطلق فهو حريص كل الحرص ،ومنذ استقلاله، على إيجاد كل السبل والامكانات والآليات

الذي يقوض الاندماج المغاربي وتحقيق التنمية الشاملة لشعوب المنطقة المغاربية.

4. على المستوى السياسي، وبالاضافة الى ما تحدثت عنه حول القضية الوطنية التي تعني الصحراء المغربية واقعا وآفاقا، أود أن أتطرق الى عنصر أساسي ،ويتعلق الامر بموضوع الاتحاد المغاربي، وهو أمر يشكل بالنسبة للمغرب أولوية في سياسته الخارجية، ويترجم هذا الاختيار عبر إرادة حقيقية للمساهمة، رفقة شركائنا المغاربيين، في تقوية الاندماج بين دول الجامعة العربية عموما، وتوطيد العلاقات على مستوى المنطقة المغاربية والانخراط في مرحلة جديدة تستشرف المستقبل.

ومن منظورنا، فإن الاندماج المغاربي يعد أولوية لا محيد عنها، في وقت أصبح أمن المنطقة مهددا بسبب مخاطر الارهاب والتهريب بكل أشكاله، الذي ينشط بمنطقة الساحل والصحراء الافريقية الكبرى ،وسيمكن هذا الاندماج أيضا من تعزيز وتقوية التعاون في المجال الأمني وكذلك على المستوى الاقتصادي، خاصة وأن التكامل الاقتصادي بين البلدان المغاربية يعد وسيلة أساسية للرقي بالتنمية الاقليمية ويقدم الحلول لضرورات التنمية التي تعني دول وشعوب المنطقة.

وكان المغرب ولا يزال يعمل جاهدا لتوطيد علاقاته مع دول الاتحاد المغاربي، وهو واثق من أن الحوار يشكل الطريق الأمثل لوضع حد للخلافات القائمة بالمنطقة وجعل المنطقة المغاربية مستقرة وآمنة ومتطورة ومزدهرة.

5. ومن جهة اخرى، ودائما في إطار مجال السياسة الخارجية، فلا أحتاج الى التأكيد على أن المغرب أولى دائما اهتماما خاصا ومستمرا لقضية الشرق الاوسط، وهذا ما يعكسه بشكل جلي دفاع المغرب غير المشروط عن القضية الفلسطينية وعمله الدؤوب لتحقيق سلام عادل ودائم بمنطقة الشرق الاوسط ،بما في ذلك الدفاع عن حق الشعب الفلسطيني

من الاصلاحات المؤسساتية والقانونية همت بالأساس مجال الحريات ومؤسسات تدبير الشأن العام، دون إنكار تأثرها النسبي بالديناميكية الجهوية للثورات المذكورة.

وتجدر الاشارة الى أن الدستور الجديد لقي ترحيبا وتنويها دوليا لمضمونه المتقدم والمتوازن ،والذي نص على خلق وانشاء مؤسسات جديدة لضمان الحكامة الجيدة ، خاصة منها مجلس المنافسة والمجلس الاعلى للقضاء والمحكمة الدستورية والمجلس الاعلى للامن والمجلس الاستشاري للشباب والعمل الجمعوي والهيئة المركزية لمحاربة الفساد والمجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي والمجلس الوطني لحقوق الانسان.

وجاء الدستور الجديد ليعزز دور البرلمان على مستوى التشريع والمراقبة وعزز سلطة رئيس الحكومة واكد على مبدإ فصل السلط وتخليق الحياة السياسية ومحاربة الفساد.

ويبقى الهدف من هذه الاصلاحات هو مواصلة الاصلاح الديموقراطي وتعزيز المؤسسات الديموقراطية في البلاد وتحقيق تنمية شاملة عبر مقاربة مندمجة ومتعددة الابعاد تتمحور حول التنمية البشرية وتتأسس وتقوم على نمط جديد ومتجدد للحكامة الترابية، التي تأخذ بعين الإعتبار الخصوصيات المحلية وفي احترام كامل لمشروع الحكم الذاتي ،الذي يمنحه المغرب لساكنة اقاليمه الجنوبية.

وفي هذا السياق، أعلن صاحب الجلالة الملك محمد السادس عن اصلاحات مؤسساتية عميقة تتعلق بالنموذج الوطني للجهوية المتقدمة وإنشاء لجنة استشارية للجهوية ستستفيد من تصوراتها واقتراحاتها كل مناطق وجهات المملكة بما فيها مقترح الحكم الذاتي التي طرحه المغرب لتدبير شؤون أقاليمه الجنوبية، وهو المشروع الذي وصف بالجدي وذي مصداقية ولقي استحسانا كبيرا من طرف هيئات الامم المتحدة، وهو المقترح كذلك الذي سيمكن من إيجاد حل سياسي وواقعي يستجيب لتطلعات السكان المغاربة المعنيين وإنهاء النزاع المفتعل بشكل نهائي

— تجذر وعراقة النظام الملكي المغربي عبر التاري، والذي يعود الى 12 قرنا من الوجود، وتحوله الى رمز لشرعية النظام السياسي ولاستمرار الدولة المغربية، وهو الضامن ايضا للقيم الروحية وحامي الوحدة الوطنية وسيادة المغرب وهو ملهم إستراتيجيات الإصلاح والتنمية.

الحفاظ على السلم الاجتماعي وتجنب انحرافات الانظمة الشمولية السلطوية والاستبدادية والحرص على منع الحزب الوحيد وإقرار التعددية الحزبية والسياسية، واحترام حرية التعبير.

وبناء على هذه الثواب والمنطلقات حرص المغرب تحت قيادة صاحب الجلالة الملك محمد السادس من إعطاء دينامية سريعة للتطور الديموقاطي والمجتمعي، وذلك عبر فتح أوراش مؤسساتية جديدة وإصلاحات جريئة متعددة الابعاد من ضمنها، اعتماد المفهوم الجديد للسلطة لتدبير الشأن العام ومراجعة مدونة الأسرة سنة 2004 وإعادة الاعتبار للثقافة الامازيغية كمكون أساسي للثقافة الوطنية سنة 2001 وإحداث هيئة الإنصاف والمصالحة سنة 2004، التي مكنت من مأسسة نموذج جديد للعدالة الانتقالية وطي صفحة الماضي.

وإنطلاقا من هذه الأسس أيضا نجح المغرب في إعطاء دينامية وزخم جديد للحياة السياسية وتدبير الشأن السياسي الوطني وتعزيز دور الاحزاب السياسية والنقابات والمجتمع المدني وعيرها من الأجهزة والوسائط الرقابية وآليات أخرى لضمان السير العادي للمؤسسات العاملة في مختلف المجالات.

وقد خطى المغرب منذ إستقلاله على نهج مسلسل إصلاحي ،الذي تسارعت وتيرته مع نهاية تسعينيات القرن الماضي، وهمت هذه الاصلاحات الجوانب السياسية والإقتصادية ،على حد سواء، توجت سنة 2011 بوضع دستور جديد.

وتبقى الإصلاحات الهامة التي عرفها المغرب، هي نتاج دينامية إصلاحات مسترسلة وعميقة لم تنتظر الثورات التي وقعت في المنطقة لتدخل حيز التنفيذ وتترجم على أرض الواقع ،بل نتيجة عمل طويل ودؤوب

2. وأؤكد لكم أن المغرب فخور بكونه يعد بالنسبة لروسيا من بين الشركاء الأوائل على المستويين العربي والاسلامي، بعد أن بلغ حجم المبادلات التجارية نحو 2 مليار دولار سنة 2011، الا أني على يقين أن هذا الحجم ورغم أهميته يبقى دون مستوى طموحات المغرب وروسيا، ولا يعكس مؤهلاتهما الحقيقية في مجال الأعمال خاصة والاقتصاد عامة.

ومن هذا المنطلق، فإن المغرب مقتنع في الوقت الراهن بضرورة تنويع المبادلات التجارية واستغلال كل إمكانيات التعاون، التي يتوفر عليها البلدان لما فيه المصلحة المشتركة، مع الاشارة الى أن المغرب يتسم بفضاء رحب للأعمال يمنح للمستثمرين الروس، كما لغيرهم من المستثمرين، إمتيازات ضريبية في إطار استقرار اقتصادي وسياسي ينعم به المغرب وانفتاح اقتصاده على العالم، وهي عوامل إيجابية ومشجعة لا يمكنها إلا أن تساهم في توطيد الشراكة.

3. وفي سياق حديثنا عن الاستقرار السياسي الذي ينعم به المغرب وفرص الاستثمار التي تتيحها المملكة، أرى انه لا بد لي أن أتقاسم معكم الحديث عن المسلسل الديموقراطي الذي ينهجه المغرب بثبات منذ سنوات عديدة، وتتميز الاصلاحات السياسية، التي بادر اليها المغرب دون العديد من دول المنطقة تتقاسم معنا الجغرافية، وتوضح هذه الإصلاحات، بشكل جلي، لماذا «المغرب يعد استثناءا»، وهو ما أكدته العديد من الدول الرائدة في حديثها عن الاصلاحات التي ينهجها المغرب، في ظل ما يعرف «بالربيع العربي».

وقد تم اعتماد وإنجاز الإصلاحات عبر مقاربة مندمجة ومتعددة الابعاد، مزجت بين ما هو عالمي وكوني وما بين ما هو وطني محلي وما بين ما هو عام وبين ما هو خصوصي، وتركزت على دعائم كثيرة وخصوصيات مؤسساتية وحضارية وقانونية، يمكن ان نلخصها في التالي:

— تجذر الأمة المغربية في التاريخ ،وهو ما ساهم في تماسكها وحافظ على أصالتها وهويتها الوطنية.

الحيوية، سواء تعلق الأمر بالمجال التجاري أو الثقافي أو العلمي والتقني والبحري والجوي. واستفاد المغرب من فرص التكوين في المعاهد العليا السوفياتية، التي تخرج منها ازيد من 1500 إطار مغربي قدموا إسهامات نبيلة في المجالات التقنية والعلمية.

واستمر التعاون بين المغرب وروسيا، البلدين الصديقين، على نفس المنحى بعد إندثار الاتحاد السوفياتي، وتعزز الحوار السياسي بين البلدين على مستويات عديدة تقوم على المنفعة المشتركة ومصالح البلدين ذات التوجه السياسي أو الاقتصادي والثقافي، أطرتها اتفاقيات تعاون عديدة تشمل القطاعات التقنية ومجالات الفلاحة والتجارة والصيد البحري والصناعة الغذائية والبحث العلمي واستغلال المناجم.

ولا أحتاج الى التأكيد على أن هذا التعاون الغني والمجدي أدى بشكل طبيعي الى مستويات راقية ومتينة من العلاقات ومكننا من بلوغ مستوى الشركاء الاستراتيجيين.

أما مرحلة الشراكة الاستراتيجية فتم بلوغها في إطار استمرارية تاريخية وواقعية للعلاقات، وترجمتها الإرادة المشتركة لدعم وتوطيد العلاقات الثنائية أكثر فأكثر وتعزيز الأواصر التي تجمع شعبي البلدين. واعطى إعلان الشراكة الاستراتيجية، الذي وقع سنة 2002 من طرف صاحب الجلالة الملك محمد السادس والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، دفعة قوية وزخما كبيرا لعلاقات التعاون الثنائية كما فتح الباب أمام توقيع إتفاقيات قطاعية بين غرف التجارة في البلدين واتحادات رجال الاعمال ومراكز البحث والقطاعات التقنية.

كما فتحت هذه الشراكة آفاقا واسعة في مجال المبادلات والتعاون في مختلف تظهراته، والتي لها منفعة كبيرة لاقتصادي بلدينا، وانتقل مستوى المعاملات التجارية الى مستوى الاستثمارات والتعاون في مجالات واعدة مثل السياحة والتكنولوجيات الحديثة والصيد البحري ومشاريع اقتصادية اخرى تنموية هامة، تهم قطاع الطاقة المتجددة والطاقة الحرارية والسدود.

على خصوصيات العلاقات التاريخية البينية، وتطورها الايجابي، الذي ميزها طول الوقت والوضع الراهن للتعاون الثنائي وآفاقه الرحبة.

واشير الى أنني على استعداد تام للتجاوب مع اسئلة الحضور وتقاسم الأفكار ووجهات النظر.

1. لا بد لي بداية أن أؤكد أن خصوصية العلاقات الديبلوماسية المغربية الروسية تتمثل في كون هذه العلاقات تعود الى نحو 200 سنة، وتميزت على مر العصور والأجيال بطابعها الودي والإحترام المتبادل وروح التشاور حول القضايا ذات الاهتمام المشترك. وعرفت العلاقات الثنائية نموا وتطورا ليس فقط في طابعها الودي بل وفي اتجاه الإرتقاء بمستوى التعاون في مجالات مختلفة الى مستويات مهمة من أجل السمو الى شراكة استراتيجية بكل ما تعني الكلمة من معاني.

وتعود مرحلة علاقات الصداقة بين المغرب وروسيا الى القرن ال 18 وبالتحديد الى القرار الذي اتخذه السلطان المغربي محمد بن عبد الله والامبراطورة الروسية إيكاتيرينا الثانية بمنح نفس الامتيازات لسفن البلدين بما في ذلك الحماية الضرورية.

وقد بقيت معاهدة السلم والعلاقات الديبلوماسية سارية المفعول منذ ذلك الحين، باستثناء مرحلة الجمود التي عرفها البلدان إبان اندلاع الحرب العالمية الثانية وقيام الثورة البولشوفية سنة 1917، إلا أن حالة الجمود سرعان ما ستبدد بعد نيل المغرب استقلاله سنة 1956، وهو ما مكن من تعزيز العلاقات بين موسكو والرباط على نحو أفضل والإرتقاء بها الى مستويات عالية وطموحة.

أما مرحلة التعاون فانطلقت مباشرة بعد استقلال المغرب، وكان أول بلد اعترف بهذا الاستقلال هو الاتحاد السوفياتي، وهو ما حذى بالدولتين مباشرة الى إقامة العلاقات الديبلوماسية وتبادل السفراء كما تبادل قائدا البلدين آنذاك الزيارات الرسمية، ومكن هذا التجاوب من تحفيز البلدين لبناء أسس تعاون متعدد الأوجه يشمل مختلف المجالات والقطاعات

الحالية والمستقبلية من الانتهال من تراث إعلامي مرجعي ووازن وتوفر إطارا مواتيا لحفز التفكير وتبادل وجهات النظر بين مختلف الفرقاء.

ولا نحتاج الى التأكيد على أن مجلتكم الموقرة تساهم بشكل بين في صياغة الأفكار للفعاليات الديبلوماسية وأصحاب القرارات في روسيا، كما أنها توفر، عبر المنشورات التحليلية وندواتها ، منبرا مناسبا لمحترفي وناشطي الحقل السياسي والديبلوماسي والذين يستهويهم عالم السياسة، لإستنباط الأفكار الواردة في التحاليل السياسية والمشاركة في النقاشات والتعرف عن قرب على السياسة الخارجية لروسيا ومقارباتها بخصوص القضايا السياسية الدولية الراهنة.

وأشكركم جزيل الشكر على الفرصة التي أتحتموها لي لكي أتقاسم معكم بعض الافكار وإغناء النقاش حول قضايا تهم المملكة المغربية وإختياراتها، سواء المتعلقة بالسياسة الداخلية أو السياسة الخارجية.

ولا بد من الاشارة في البداية الى أن الاصلاحات الشاملة، سواء منها القانونية والمعيارية او الاصلاحات المؤسساتية التي قام بها المغرب في السنين الاخيرة ، مكنت المملكة من الانخراط بكل ثقة في المسيرة الديموقراطية ودولة الحق والقانون والحريات الأساسية، دون إغفال استعداد المغرب لمواجهة كل التحديات الجديدة التي برزت في الآونة الأخيرة على الساحتين الدولية والاقليمية.

وشكلت الثورات والانتفاضات الشعبية التي عرفتها منطقة شمال افرقيا والشرق الاوسط، التي ينتمي اليها المغرب جغرافيا، حافزا للمغرب للمضي قدما في مسيرته التنموية الاقتصادية والتي يشكل فيها العنصر البشري إحدى الركائز الاساسية.

ولكن قبل الخوض في تفاصيل التحولات التي يقودها المغرب في سياق التحولات الاقليمية ، أود أن أثير بتركيز أهمية ودور العلاقات التي تجمع المملكة المغربية بروسيا الاتحادية، وسأعرج في مضامين كلمتي

سعد الدين العثماني

وزير الشؤون الخارجية والتعاون المغربي

المملكة المغربية:
الدولة التي لم يصلها «الربيع العربي»

اصحاب السعادة،

السيد رئيس تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»،

السادة والسيدات اعضاء هيئة تحرير المجلة،

سيداتي وسادتي،

لي الشرف ان ألبي دعوة مجلة «الاحداث السياسية الدولية» المرموقة التي تتميز بتحليلاتها الصحفية الغنية والعميقة، والتي تجعل من هذه المجلة مرجعا في الاداء الصحافي الرزين وتمنحها سمعة طيبة في الساحة الاعلامية.

وقد علمت أن أول مقال صادر عن مجلتكم رأى النور قبل أزيد من 90 سنة. وقدم مجلتكم الموقرة يحمل أكثر من دلالة رمزية، ويمنح الدليل ايضا على ان المقالات الصادرة عن مجلتكم طيلة المسار الناجح لها أضحت تراثا إعلاميا ليس لروسيا فقط بل وأيضا للسياسة الخارجية الدولية، والتي تعكس وجهات نظر وآراء الشخصيات والفعاليات السياسية الهامة التي أثرت في مجرى تاريخ روسيا، كما أنها تمكن ايضا الأجيال

ولدعم الاتحاد الافريقي والشراكة الجديدة من اجل تنمية افريقيا على المستوى الثنائي وضمن أطر مجموعة الثماني الكبار، ومجموعة العشرين الكبار، ومجموعة بريكس.

أيها السيدات والسادة! يسعدنا تقاسم الاهداف المشتركة مع روسيا والمتمثلة في اقامة العلاقات متعددة الجوانب وتحقيق الديمقراطية في العلاقات الدولية.

ونرقب باهتمام للجهود الروسية الجبارة المبذولة ضمن نطاق الاقتصاد العالمي، ونعني هنا على وجه التحديد مشاركة موسكو في اصلاح النظام المالي العالمي بهدف الحيلولة دون حدوث ازمة عالمية جديدة. ولا بد لهذا النهج العقلاني والمسؤول من ان يأتي بثماره في نهاية المطاف، وان يفضي الى تضامن أكبر بين دول العالم وأن يخلق منظومة إدارة عالمية مبنية على الثقة.

ونرحب بالنهج الروسي الرامي الى تعزيز سيادة القانون الدولي وتدعيم السلم العالمي وفقا لمبادئ الامم المتحدة وذلك من اجل توريث الاجيال القادمة عالما مسالما خاليا من العسكرة الزائدة في ظل توجه عام مشترك نحو التقدم والقضاء على الفقر وحماية البيئة.

الكلمات الرئيسية: روسيا والجزائر، الدول العربية، القارة الافريقية.

80 بالمئة منه وصار في المراحل الاخيرة من تنفيذه، الى جانب مشاركة بلادنا المباشرة في تنفيذ المشاريع التكاملية في الدول المعنية بانجازها فيها. ولقد تمكنت دول المنطقة وبمشاركة جزائرية فعالة، تمكنت من تحقيق مستوى عال من التنسيق فيما بينها يمكنها من حل القضايا الامنية بالاعتماد على الذات. وفي حال بروز قلق دول المنطقة حيال المستقبل من الناحية الامنية، فلا يتعين على هذه الدول استثناء التعاون المطلوب مع الدول الاخرى على هذا الصعيد.

وخرج مؤتمر دول الصحراء الذي استضافته بلادنا في ايلول/سبتمبر 2010 بتهيئة الارضية اللازمة للشراكة الجدية مع عدد من الدول المتقدمة في ميدان اعداد الكوادر وتصنيع الاجهزة والمعدات وفي الميدان العلمي. ونحن واثقون من امكانية التعاون مع اصدقائنا الروس على هذا المسار.

ايها السيدات والسادة! ان الجزائر وروسيا عاقدتا العزم على التصدي للارهاب الدولي ونحقق يوما تلو الآخر تقدما ملموسا على طريق تخطي هذه الظاهرة في سعي منا وراء الحفاظ على الأمن في بلدينا وفي العالم بأسره. ولا يسعنا هنا إلا التأكيد على ان الارهاب لا يعرف الحدود وان اهدافه ووسائله تحمل طابعا عالميا لها وتتطلب التعاطي المنسق والموحد لمواجهتها من قبل كافة الدول وبدعم من المنظمات الدولية والاقليمية. ولكن ومع الاسف فإن بعض الظروف تعرقل جهودنا على هذا الصعيد. ومن بين أكثر الظواهر خطورة وأقلها أخلاقية تأتي ظاهرة طلب للإرهابيين الفدية المالية مقابل تحريرهم الرهائن التي يحتجزونها. ولا بد هنا من وقف هذه الظاهرة باسم قدسية الحق في الحياة، وهو الحق الاساسي للمواطنين الذين يتحولون لأهداف للعمليات الارهابية ويتم خطفهم على ايدي الارهابيين بغرض الحصول على المال.

أيها السيدات والسادة! نحن ننظر باحترام بالغ للاسهام الذي قدمته روسيا في ميدان القضاء على الاستعمار في القارة الافريقية. ونعبر عن اعجابنا الكبير بالاهتمام الذي تبذله موسكو لبعث العلاقات بين روسيا وافريقيا،

والاوضاع في العراق هي الاخرى تحظى باهتمامنا البالغ، ونأمل في ان يتمكن الشعب العراقي من العيش في ظل السلم الوطني ووحدة البلاد على خلفية انسحاب القوات الاجنبية من العراق.

وفي شمال افريقيا فإن نهجنا مستمر في التمسك بفكرة التكامل الاقتصادي عبر الاتحاد المغاربي، ما ينم عن قناعتنا العميقة وخيارنا الاستراتيجي الذي لن تحيد عنه الجزائر. أما ما يتعلق بالنزاع في الصحراء الغربية فإن بلادنا لا تطالب بالاستيلاء على اراضي الصحراء ولا تسعى الى تحقيق اي هدف آخر سوى التوصل الى الحل المناسب القائم على مبادئ القانون الدولي والمبني على حق الشعب في تقرير مصيره من خلال الخيار الحر والسيادي لشعب الصحراء الغربية وتقرير مستقبله تحت رعاية وحماية منظمة الامم المتحدة المسؤولة في نهاية المطاف عن هذه الاراضي.

وستعمل بلادنا على تأييد جهود الامين العام للامم المتحدة آملة في أن يصغي الاعضاء الدائمون في مجلس الامن الدولي الى الدعوة التي اطلقها الممثل الشخصي للامين العام للامم المتحدة ما له ان يعطي زخما عمليا للمفاوضات بين طرفي النزاع وهما المملكة المغربية وجبهة البوليساريو.

وان ما يثير القلق حيال الاوضاع في منطقة الصحارى /الصحراء الكبرى/ هو تنامي العوامل السلبية التي يتوسع انتشارها والمتمثلة في الفقر وتداول السلاح غير الشرعي والاتجار بالمخدرات والتي تفاقمت عقب الاحداث التي شهدتها ليبيا وما نجم عن ذلك من انتشار الاسلحة الحديثة في كافة دول المنطقة وخارج نطاقها.

ويتعين علينا الاعتراف بأن منطقة الصحراء الكبرى تعاني من مشاكل التنمية غير الكافية والمستوى الامني المتدني. ولا بد من توحيد المساعي الدولية لمواجهة هذه المشاكل عن طريق الحفاظ على استقرار المنطقة وتحسين مستوى معيشة السكان المحليين.

وتواصل بلادنا تقديم الدعم لتنفيذ المشاريع التكاملية الهامة في المنطقة والتي من بينها الطريق العابر للصحراء الكبرى والذي تم حتى الآن انجاز

وترحب بلادنا ايضا بالمساعي التي تبذلها موسكو لاستضافة مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط بهدف احياء العملية السلمية ومن اجل خلق الظروف الملائمة للحوار.

أما ما يتعلق بالاوضاع في سورية، فلا يسعنا هنا الا التأكيد على أن ما يحدث في الجمهورية بات مشكلة جدية تؤرق الدول العربية. من المعروف ان سورية بثقلها ووزنها باتت الآن تعاني ازمة حقيقية. ولقد تقدمت جامعة الدول العربية وبشكل عاجل بالمبادرات من اجل تسوية الازمة في سورية، وتشارك الجزائر على مستوى وزير خارجيتها في اعمال اللجنة الوزارية العربية الدائبة على تحقيق المبادرات العربية. وصرنا الآن في وضع نقوم فيه بممارسة الضغط «الأخوي» على الحكومة السورية من جهة، ونمد يد العون الى الحكومة والمعارضة السوريين من جهة اخرى وذلك من اجل ايجاد الظروف الملائمة لإطلاق الحوار البناء والشامل ولإعادة الامن والسلم الى سورية الشقيقة.

ونسخر كافة الجهود لتطبيق بنود المبادرة العربية الهادفة الى وقف العنف واطلاق سراح المعتقلين وبدء الحوار وادراك حقيقة ما يجري في الجمهورية. وفهم ما يجري في سورية يحظى بأهمية خاصة وذلك لتضارب المعلومات الواردة من الجمهورية والتي لا تتميز بالموضوعية دوما. ولا بد من تشكيل لجنة تضم ممثلين عن الجامعة العربية وعن المجتمع المدني وذلك للوقوف على حقيقة الامر على أرض الواقع ولسبر المعلومات الدقيقة والموثقة. وفي هذه الحالة سيكون بوسعنا تحديد الصيغة الملائمة لتقديم الدعم للأخوة السوريين من اجل وقف اراقة الدماء وتحريك الحوار بين الحكومة والمعارضة. وارى أن في ذلك السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله فض الازمة السورية بالطرق السلمية.

وفي هذا السياق لا بد لي من التأكيد على دعمنا للموقف الروسي حيال سورية وانضمامنا الى موسكو في دعوة كافة اطراف النزاع السوري الى العمل على تحقيق السلم الدائم ما يصب في صالح كافة السوريين.

ايها السيدات والسادة! ان بلادنا تقيم عاليا الدور الايجابي والمتوازن الذي تلعبه الدبلوماسية الروسية على الحلبة الدولية، وتعترف بالمكانة المرموقة التي تشغلها بلادكم العظيمة من خلال المبادرات الهامة التي تطلقها ضمن نطاق العلاقات الدولية ما يسهم في تعزيز احترام القانون الدولي والاستقرار العالمي والازدهار المشترك.

ومن جهتها تبذل بلادنا الجهود اللازمة من اجل تحقيق السلم والتضامن والتنمية في افريقيا وفي المنطقة العربية ومنطقة المتوسط. وتدأب الجزائر على تسخير جهودها لتحقيق السلم القائم على التوزيع الشرعي والعادل للخيرات، وللانتقال من العالم الذي يعاني من التهميش ومن الأخطار التي نجمت عن العولمة الشرسة والتي تؤثر بشكل خاص على الدول النامية. وانطلاقا من ذلك على وجه التحديد فإننا على قناعة تامة بضرورة التنسيق المشترك على الصعيد السياسي. وغاية في الاهمية توحيد الرؤى خلال التعاطي مع الازمات والتوترات التي يواجهها المجتمع الدولي وذلك من خلال استغلال التوافق في مواقفنا.

ونحن في الشرق الاوسط ندرك وبشكل مباشر مدى جدية الاوضاع والاخطار الناجمة عن العولمة والتي تهدد السلم والامن الدوليين.

ونهج التسلح الذي تتبعه اسرائيل يجعل المنطقة رهينة الامر الواقع ويتسبب في المعاناة البالغة التي يرزح تحتها الشعبان الفلسطيني واللبناني. ولا يمكن لهذه المنطقة احراز السلام إلا بعد تحرير الاراضي العربية الفلسطينية واللبنانية والسورية المحتلة، وبعد اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس وإقرار حقوق الشعب الفلسطيني. وتماشيا مع ذلك فإن بلادنا تقدر الموقف الروسي المتوازن والبناء والذي تعبر عنه موسكو من خلال نشاطاتها في اروقة الامم المتحدة وضمن اطار «الرباعية الدولية للسلام في الشرق الاوسط» الرامية الى تجديد العملية السلمية بغرض التوصل الى الحلول المتوازنة وفقا لما ينص عليه القانون الدولي.

اربعة بالمئة في ظل احتياطيات من العملة الصعبة تعادل قيمة الواردات لأربع سنوات.

ويسعدني التصريح بأن حصة قطاع المحروقات تصل الى 30 بالمئة من القيمة المضافة على المنتجات المطروحة في الجزائر، في حين تصل نسبة الاصول غير النفطية الى 70 بالمئة من الثروات المنتجة، والملفت ان حصة قطاع الاعمال الخاصة تصل الى حوالي 80 بالمئة.

وتترافق كافة الظواهر الايجابية آنفة الذكر بنشاط سياسي منقطع منفتح على كافة القوى والحركات المسجلة رسميا والتي من بينها 21 تيارا وحركة قد حصلت على التمثيل البرلماني. أما الحركات الاجتماعية في بلادنا فيفوق عددها التسعين ألفا من الروابط غير السياسية والناشطة في كافة مجالات الحياة في بلادنا. واريد هنا التوقف عند حرية الرأي ووسائل الاعلام، وأكتفي بالتذكير بأن 71 صحيفة تصدر يوميا في الجزائر تمتلك الدولة منها اقل من عشر صحف فقط.

واعلن رئيس الجمهورية في الخامس عشر من نيسان/ابريل 2011 حزمة من الاصلاحات المزمعة في البلاد والرامية الى تحقيق ما يلي: توسيع الحريات، وتوسيع الشفافية، وتوسيع المشاركة النسائية في الاجهزة الانتخابية وتحقيق الانفتاح الكبير على المستويين السياسي والاقتصادي وتحقيق اكبر قدر من التطابق في الانجازات مع ما يرنو اليه المواطن.

هذه هي الاهداف التي اعلنتها قيادة البلاد في العام المنصرم.

وتم حتى اليوم الانتهاء تقريبا من انجاز هذه العملية، حيث جرى اعداد الأرضية التشريعية التي تم تعديلها عقب المشاورات الموسعة التي اجريت حولها، في حين لا تزال الجهود مبذولة لتحقيق الافضل رغم الانجازات التي توصلنا اليها على هذا المسار. أما القاعدة التشريعية الجديدة فتضمن خلق الظروف الافضل للتمهيد للانتخابات البرلمانية المزمعة في الجزائر ربيع العام الجاري.

وعلى وجه التحديد فقد قيمنا تحليلكم الصائب الذي تمسك بضرورة التنمية التكنولوجية، والمشروع الروسي المتميز والمتمثل في تشييد وانجاز مدينة سكولكوفو العلمية للتكنولوجيات الابتكارية.

ايها السيدات والسادة! ان بلادنا اليوم باتت تجني ثمار نهج الوحدة الوطنية الذي خط له سيادة رئيس البلاد عبد العزيز بوتفليقة والذي مكن الجزائر من تخطي الماضي ونسيان الاحداث الصعبة واسهم في اطلاق الارادة الحرة والعزم في خدمة السلم والتنمية في بلادنا.

ولا بد لي هنا من التذكير بأن الاصلاحات الجذرية التي طبقت في البلاد في تشرين الاول 1988 قد خلصت الى تحرير الرأي في المجتمع الجزائري وظهور التعددية الحزبية في بلادنا.

ولا تزال الجزائر منذ سنة 2001 دائبة على تطبيق برنامج شامل في البلاد يرمي الى تحسين البنية التحتية الاجتماعية الاقتصادية ما يتطلب رصد الاموال الطائلة والتي تصل الى أكثر من 286 مليار دولار ستنفق على هذه الاغراض خلال الفترة الممتدة بين عامي 2010 و2014.

وان هذا البرنامج بأبعاده وبالاستثمارات الحكومية المستقطبة لتطبيقه يعكس الجهود الجبارة التي تبذلها الحكومة الجزائرية بغرض تحديث البنية التحتية في البلاد وتطوير القدرات الانتاجية وذلك على ضوء التسديد الكامل للدين الخارجي وتقديم الدعم الاقتصادي للنمو غير النفطي الذي حقق زيادة فاقت الستة بالمئة في غضون السنوات الاخيرة. وتم بفضل النهج الاقتصادي الطموح والحذر المتبع في الدولة خفض الدين الجزائري الى حوالي الصفر، أي الى 3ر0 بالمئة من اجمالي الناتج المحلي للبلاد، في حين لم تتعد نسبة التضخم الأربعة بالمئة. والى جانب ذلك تم في الجزائر خلق المناخ المصرفي الملائم وتحقيق نمو سنوي في الاقتراض يصل الى 15 بالمئة، ناهيك عن ان صندوق تنظيم المداخيل *(Revenue Regulation Fund)* قد سجل ترشيدا وصل الى 40 بالمئة من اجمالي الناتج المحلي، ونحن بانتظار زيادة في هذه المؤشرات تصل الى

الحوار السياسي المكثف بين بلدينا والذي تميز على الدوام بالثقة المتبادلة، وهذا ما تم التشديد عليه خلال المحادثات التي أجريناها مؤخرا يعزز قناعتنا التامة والقاضية بأن العلاقات بين بلدينا مستمرة في التطور ما سيعود بالنفع المتبادل الذي يمكن استخلاصه من القدرات الكامنة الهائلة المتراكمة في اقتصاديات بلدينا، ومن الاحترام المتبادل بين شعبينا.

أيها السيدات والسادة! من المعروف ان العلاقات السياسية بين روسيا والجزائر تمتاز بمستوى منقطع النظير لها، ويسعني هنا التنويه بالتقدم الذي تم احرازه على مستوى التعاون الثنائي وذلك من خلال العمل ضمن اطار الدورة الخامسة للجنة الحكومية الروسية الجزائرية المشتركة للتعاون الاقتصادي والعلمي والتقني، ومن خلال ما خلص اليه منتدى الاعمال الروسي الجزائري الذي استضافته بلادنا في تشرين الاول/أكتوبر 2011.

ومن بين المقومات الاخرى التي تدعونا الى التفاؤل بمستقبل علاقاتنا كان التنفيذ الناجح لفعاليات اسبوع الثقافة الجزائرية في كل من موسكو وبطرسبورغ الروسيتين، واسبوع الثقافة الروسية في كل من الجزائر وتلمسان في بلادنا. ولا بد هنا من الاشارة الى ان تنمية تعاون البلدين في ميدان الفنون يعزز التفاهم المتبادل بين شعبينا وبشكل كبير.

أيها السيدات والسادة! ان بلدينا بتاريخيهما المتشابهين يواجهان في المرحلة المعاصرة قضايا ومسائل متشابهة متمثلة في اهمية التحديث وتنويع القطاعات الاقتصادية، وفي الجدوى في استغلال الطاقة والانتقال الى مرحلة ادراك سبل الترشيد. وكل الامور التي ذكرتها تفتح أفق الامكانيات لتبادل الخبرات وتوحيد مساعينا.

وانطلاقا من ذلك فإن بلادنا تولي اهتماما خاصا لخطة التحديث التي انطلقت في روسيا والتي حصلت على التأييد الشعبي الصادق في روسيا وحظيت باحترام شركائها الرئيسيين.

مراد مدلسي

وزير الخارجية الجزائري

روسيا والجزائر:
تاريخ الثقة المتبادلة

أيها السيدات والسادة، أصحاب السعادة والضيوف الأعزاء! اسمحوا لي أولا تقديم خالص الشكر على الشرف الذي منحته لإلقاء محاضرتي هذه والتي دأبت مجلة «الاحداث السياسية الدولية» على التنظيم لها. وأود الافصاح عن تقديري واحترامي لنوعية وعمق المواد التحليلية والابحاث التي تجرى فيما يتعلق بالأحداث الدولية في عالمنا المعاصر المتغير بوتيرة متسارعة وبشكل عشوائي احيانا.

ومن الناحية الايديلولوجية تنطبق عليكم مقولة واحد من أهم اعلام الادب الروسي الكسندر بوشكين الذي قال: «كل الكلمات منظومة في الكلام في حين يمكن للأفكار ان تتباين فيما بينها الى ما لا نهاية».

تأتي زيارتي الى روسيا بدعوة من الصديق المحترم معالي وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف لتتوج جهود تعزيز علاقات الصداقة التاريخية القائمة بين بلدينا ولتفتح الطريق امام مستوى متميز للتعاون المطلوب في تحقيق الشراكة الاستراتيجية المبنية على اساس الاتفاقية الموقعة في موسكو سنة 2001.

الباقة الذهبية

مراد مدلسي: «ان الجزائر وروسيا عاقدتا العزم على التصدي للارهاب الدولي ونحقق يوما تلو الآخر تقدما ملموسا على طريق تخطي هذه الظاهرة في سعي منا وراء الحفاظ على الأمن في بلدينا وفي العالم بأسره. ولا يسعنا هنا إلا التأكيد على ان الارهاب لا يعرف الحدود وان اهدافه ووسائله تحمل طابعا عالميا لها وتتطلب التعاطي المنسق والموحد لمواجهتها من قبل كافة الدول وبدعم من المنظمات الدولية والاقليمية. ولكن ومع الاسف فإن بعض الظروف تعرقل جهودنا على هذا الصعيد. ومن بين أكثر الظواهر خطورة وأقلها أخلاقية تأتي ظاهرة طلب للإرهابيين الفدية المالية مقابل تحريرهم الرهائن التي يحتجزونها. ولا بد هنا من وقف هذه الظاهرة باسم قدسية الحق في الحياة، وهو الحق الاساسي للمواطنين الذين يتحولون لأهداف للعمليات الارهابية ويتم خطفهم على ايدي الارهابيين بغرض الحصول على المال لإطلاق سراحهم.»

سعد الدين العثماني: «وفي سياق حديثنا عن الاستقرار السياسي الذي ينعم به المغرب وفرص الاستثمار التي تتيحها المملكة، أرى انه لا بد لي أن أتقاسم معكم الحديث عن المسلسل الديموقراطي الذي ينهجه المغرب بثبات منذ سنوات عديدة، وتتميز الاصلاحات السياسية، التي بادر اليها المغرب دون العديد من دول المنطقة تتقاسم معنا الجغرافية، وتوضح هذه الإصلاحات، بشكل جلي، لماذا 'المغرب يعد استثناءا'، وهو ما أكدته العديد من الدول الرائدة في حديثها عن الاصلاحات التي ينهجها المغرب، في ظل ما يعرف 'بالربيع العربي'.»

على هذا الصعيد. ولا بد هنا من الاشارة الى تواضع الامكانات المتاحة في معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية وفي الاكاديمية الدبلوماسية الروسية لإثراء الطلاب، وطلاب الدراسات العليا بمعارف القضايا الدينية ودورها في السياسة العالمية.

وإذا ما تمكنا من الاتفاق على اعداد سلسلة من المحاضرات المنهجية وبالتعاون مع الكنيسة الارثوذكسية الروسية حول دور الدين في السياسة العالمية، لحققنا بذلك نتائج عملية لا بأس بها تتمخض عن لقاء اليوم وبشكل يرفد التعاون القائم بيننا والكنيسة.

اسمحوا لي قداسة البطريرك التوجه لقداستكم بخالص الشكر على الاهتمام المستمر بسفرائنا، حيث تلتقونهم قبل توجههم الى الدول الاجنبية لتمثيل بلادنا فيها ما يشكل بالنسبة اليهم فرصة لا تقدر بثمن للحصول على تقييم قداستكم للجانب الروحي من العلاقات الدولية في العالم وفي الدول التي يتوجه اليها دبلوماسيونا.

وأجدد التأكيد على اهتمامنا البالغ بتطوير التعاون المشترك مع الكنيسة الارثوذكسية الروسية، وأعرب عن استعدادنا التام لتقديم الدعم اللازم لقداستكم في كافة مساعيكم الخيرة.

الكلمات الرئيسية: التعاون بين الدبلوماسية الروسية والكنيسة الارثوذكسية الروسية، العمل مع ابناء الوطن خارج البلاد، الجهود السلمية على امتداد رابطة الدول المستقلة، الحوار الطائفي والحضاري.

الحاجة الماسة لتعزيز الحوار الديني والحضاري وللانتقال بهذه المهمة الى حيز الحفاظ على الامن بأبعاده الوطنية والعالمية.

والمهمة الاساسية بالنسبة الى روسيا في ظل ذلك تتمثل في تجنب انحيازنا الى هذا الطرف او ذاك خلال «تصفية الحسابات بين العالمين الغربي والاسلامي. ويتعين علينا هنا الحفاظ على دورنا الموازن والداعي الى السلم والقائم على تجربتنا الثرية في التعايش المشترك والتعاون ما بين أكثر من 150 شعبا وقومية واكثر من خمسين طائفة تقطن بلادنا، منطلقين في ذلك من دور الطوائف الاساسية في روسيا وبالدرجة الاولى من دور الكنيسة الارثوذكسية الروسية بصفتها الكنيسة التي كانت على الدوام ولا تزال تسعى الى توحيد الطوائف الدينية الاخرى.

وتم بموجب مبادرة صدرة عنا سنة 2008 اعتماد المجلس الاوربي «كتابا ابيضا حول الحوار الثقافي»، واقترحنا على اساس ذلك اطلاق سلسلة من النقاشات في المجلس الاوربي حول الطبيعة الاوربية وحول القيم الاخلاقية الاساسية للمجتمع الاوربي المعاصر. وكان لنا ان نهتم بمشاركة الساسة والفلاسفة والعلماء ورجال الدين وعلمائه في مثل هذه النقاشات. والحاجة لمثل هذا الحوار قد أينعت على ضوء قرار المحكمة الاوربية لحقوق الانسان في قضية «لاوتسي ضد ايطاليا»، إذ لا يمكن لهذا القرار ان يسهم موضوعيا في تحقيق السلم والوفاق الديني في اوربا وذلك لأن ذاك الذي يتناسى جذوره الدينية والاخلاقية لن يكون قادرا على احترام المعتقدات الدينية للحضارات الاخرى.

ونحن نساعد على تفعيل الحوار الديني، وتم بمبادرة من روسيا استحداث فريق «روسيا- العالم الاسلامي» للرؤية الاستراتيجية، الى جانب مبادرتنا في تشكيل منتدى «حوار الحضارات» العام الدولي، ونحن نقيم عاليا مستوى التعاون الذي تبديه الكنيسة الارثوذكسية الروسية على هذا المسار.

والموضوع الذي نبحثه اليوم يحظى بأهمية خاصة ويعتبر واحدا من التوجهات المحددة والتي من بينها اعداد الخبراء الدوليين لاستغلال خبراتهم

للعالم، وإنني على ثقة تامة بأن الحوار ما بين الاديان سيحظى بأهمية خاصة له على هذا الصعيد.

ومن الواضح انه سيكون من الصعب على اوربا التوصل الى فهم مشترك مع الحضارات الاخرى في حال تجاهلها جذورها المسيحية وتخليها عن مقومات طبائعها. وأرى أن بلادنا، ونهجنا السياسي العملي باتت ترتسم له اليوم مكانة هامة بين الأشجان التي تعانيها عقول وقلوب الاوربيين. وتحافظ العبر المستخلصة من النصر الذي تحقق على الفاشية على معان مشتركة، وتظهر هذه العبر ان تناسي القيم الأخلاقية الإنسانية المشتركة يسير بالفرد والمجتمع نحو التهلكة. والايديولوجيا العنصرية كانت قد تكونت تحت تأثير ما خطه عدد من الفلاسفة مثل فريدريك نيتشه من خلال الافكار التي نادت بتأليه الانسان. واشار فرانسيس فوكوياما في واحد من الأعمال التي قدمها مؤخرا الى ان اعتراف نيتشه «بموت الخالق يشكل في فحواه قنبلة تفجر قيم المواساة والعدالة والكرامة الانسانية»، واصفا هذه الايديولوجيا بالمأزق الذي يتعين على الفلسفة الغربية الخروج منه.

ونعرب عن اسفنا حيال استمرار أفكار التفوق والايمان بالامتياز عن الآخر والثقة بعمومية القيم المعتنقة والأدهى من ذلك امتياز قيم الثقافة العلمانية والتي تعبر وبشكل كبير عن طبيعة التعاطي التي تنتهجها الولايات المتحدة والغرب عموما. ولكننا على قناعة تامة بأنه عاجلا أم آجلا سيتم التخلي عن هذه المبادئ في التعاطي، وكلما طال التخلص من هذه المبادئ، سيصبح التأقلم مع الواقع الجديد أكثر ألما.

والى جانب ذلك يسعنا هنا تسليط الضوء على الآثار الناجمة عن العولمة والتي حطمت الحواجز الاممية ما أدى الى تفاقم معنى الخصوصية الإثنية الطائفية، وبتنا نلحظ ذلك ضمن اطر الدول بعينها كما هو الحال في روسيا وعلى المستوى العالمي ايضا. وان ذلك يجدد التأكيد على بروز

وبالطبع، فإن مسألة العامل الديني في السياسة الدولية مسألة معقدة تتطلب تعاطيا خاصا ومتوازنا معها.

ولقد لفت رئيس البلاد دميتري ميدفيديف في الكلمة التي ألقاها في 12 تموز/يوليو 2010 خلال اجتماعه بسفراء بلادنا في الخارج، لفت وبشكل خاص الى ضرورة التعامل المعمق والتحليلي خلال وضع التنبؤات لمآل ظواهر التنمية العالمية، والى اهمية امتلاك النظرة الواعية في التعامل وضرورة التخلي عن المعتقدات البالية الى جانب الاهتمام بالحاجة الى تحقيق أعلى قدر ممكن من الجدوى في استغلال مقدرات المجتمع المدني والمقصود هنا مقدرات الطوائف الدينية التقليدية وبالدرجة الاولى الكنيسة الارثوذكسية الروسية.

ان الازمة المالية الاقتصادية العالمية اظهرت عجز أفكار الرأسمالية اللبرالية التي كونت مجتمع الاستهلاك الجامح. وأظهرت الازمة ايضا استحالة الوصول الى سبيل التنمية المتوازنة على أساس هذه الافكار الرأسمالية اللبرالية، وهذا ما كان قد تحدث عنه في ستينيات القرن الماضي بيتيريم سوروكين محذرا من أن الفشل سيكون مصير هذا الطابع الخصوصي الاجتماعي الثقافي الاستهلاكي.

وإدراك حقيقة ان فقدان الطبيعة الاخلاقية للانسان والتخلي عن القيم والمثل التي تشكل أساس التضامن الانساني المشترك، هذا الادراك أصبح اليوم يؤكد على ان الفقدان والتخلي عن هذه المثل والقيم سيفضي الى تلك العواقب التي يمكن وصفها بالكارثية. وطابع التهديدات العالمية التي تتعرض لها الدول جمعاء يحتم وعلى وجه التحديد الرد التضامني والجماعي القائم على الأسس الاخلاقية المتينة.

وتعزيز الأرضية الاخلاقية في العلاقات الدولية يشكل بالنسبة الينا جزءا لا يتجزأ من السياسة الكبرى. والأكثر من ذلك فإن تضامن المنظومة الدولية سيعكس مجمل التنوع والثراء الثقافي الحضاري في الصورة العامة

المناطق الاخرى من العالم ظهور العوامل المساعدة على تطوير العلاقات بين الدول. ومن الأمثلة الساطعة على ذلك كانت المساعي التي بذلتها الكنيسة الارثوذكسية الروسية لمواساة ومؤازرة الشعب البولندي عقب كارثة (تحطم طائرة الرئيس البولندي) في سمولينسك بروسيا، ما أسهم حقا في تقريب روسيا وبولندا من تحقيق المصالحة التاريخية.

ونرفض والكنيسة كافة أشكال العرقية، وكره الآخر، والتعصب، ومحاولات تقسيم العالم على اسس دينية او إثنية أو حضارية. وندرك والكنيسة بشكل مشترك أهمية سواد الحوار الديني والحضاري. ومن بين الاولويات التي تتمسك بها الدبلوماسية الروسية يأتي العمل على تفعيل مبادرة استحداث مجلس استشاري ديني تحت رعاية الامم المتحدة، إضافة الى اطلاق آلية «الحوار» غير المنقوص حول القضايا الدينية تحت مظلة اليونيسكو، إذ تم حتى الآن تحقيق نوع من التقدم على هذا المسار، في حين تعتري الصعوبات تحقيق ما هو افضل.

وباستطاعتنا أسوة بذلك اتخاذ الخطوات المشابهة على حلبة منظمة الامن والتعاون الاوربي، وضمن اطار المجلس الاوربي والمنظمات الدولية والاقليمية الاخرى. والامكانيات المطلوبة من أجل تحقيق هذا العمل المشترك متوافرة لدينا وتتمثل في آلية نشاطات فريق عمل وزارة الخارجية للتعاون مع الكنيسة الارثوذكسية الروسية وضمن أطر الفرق المختصة المنبثقة عن هذه الآلية، وها نحن نجني ثمار هذا التعاون.

ويسعني هنا التأكيد لقداستكم على ان وزارة الخارجية ستستمر في تقديم كافة اشكل الدعم للكنيسة الارثوذكسية الروسية في الخارج، وفي العمل على اعادة حقوق الملكية التاريخية للأراضي والمقدسات الكنسية الروسية خارج البلاد، وستواصل الوزارة تقديم الدعم القانوني والقنصلي والاعلامي وعلى كافة المسارات لحل سائر المسائل التي تحظى تحظى باهتمامكم.

سيرغي لافروف

وزير الخارجية الروسي

تعزيز الأرضية الاخلاقية في العلاقات الدولية

يشكل بالنسبة الينا جزءا لا يتجزأ من السياسة الكبرى*

تقاليد التعاون بين الدبلوماسية الروسية والكنيسة الارثوذكسية الروسية ضاربة في القدم بجذورها. وفي التاريخ المعاصر، عقب تفكك الاتحاد السوفييتي وبقاء أعداد كبيرة من ابناء الوطن خارج نطاق الدولة الروسية، أخذت الكنيسة الارثوذكسية الروسية وفي ظل غياب تمتع الدولة بالامكانيات المطلوبة في تلك الحقبة، اخذت على عاتقها دور الرابط الواصل بين الوطن وابنائه واضطلعت بدور الحامي للمبادئ الروحية والثقافية، وسدت الفراغ الذي حصل في التواصل ما بين ابناء الوطن في المهجر ووطنهم الأم.

أما اليوم فقد توسع نطاق التعاون بين الدبلوماسية والكنيسة، إذ تدأب الكنيسة وبشكل عضوي على رفد جهود وزارة الخارجية الروسية في رعايتها لشؤون المواطنين خارج البلاد. ويتمخض عن الجهود الجبارة التي تبذلها الكنيسة على هذا المسار في رابطة الدول المستقلة وفي

* كلمة القاها وزير الخارجية سيرغي لافروف خلال لقاء اعضاء مجلس وزارة الخارجية بقداسة كيريل بطريرك موسكو وسائر روسيا.

ألكسندر ياكوفينكو
السفير الروسي فوق العادة مطلق الصلاحية في بريطانيا العظمى،
دوكتور في الحقوق

ألكسي فيدوتوف
سفير للمهام الخاصة، عضو مجلس وزارة الخارجية الروسية

105064، موسكو، غوروخوفسكي بيرئولوك، 14
الهاتف: 74992653781+ ؛ الفاكس: 74992653771+
E-mail: journal@interaffairs.ru

© وزارة الخارجية الروسية. هيئة تحرير مجلة «الاحداث السياسية الدولية»، 2011

ألكسندر بانوف
دكتور في العلوم التاريخية

بوريس باستوخوف
كبير مستشاري المدير العام لشركة "مركز التجارة الدولية" المساهمة المفتوحة

ألكسي بوشكوف
رئيس لجنة الدوما للشؤون الدولية، دكتوراه في التاريخ

فلاديمير تيتوف
نائب وزير الخارجية الروسي

أناتولي توركونوف
مدير معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية (الجامعة)، عضو أكاديمية العلوم الروسية

فلاديمير تشيجوف
المندوب الروسي الدائم لدى الاجهزة الاوربية في بروكسيل

فيتالي تشوركين
المندوب الروسي الدائم لدى الأمم المتحدة، دكتوراه في التاريخ

يوري شافرانيك
رئيس مجلس ادارة شركة «سيوز نفط غاز»، مدير صنوق «السياسة العالمية والموارد»

مجلس المجلة:

سيرغي لافروف
وزير الخارجية الروسي

سيرغي ماريف
المدير العام لوزارة الخارجية الروسية

أندريه دينيسوف
النائب الاول لوزير الخارجية الروسي، دكتوراه في العلوم الاقتصادية

الكسندر دزاسوخوف
دكتوراه في العلوم السياسية

قسطنطين كوساتشوف
النائب الاول لرئيس لجنة الدوما للشؤون الخارجية، دكتوراه في الحقوق

فلاديمير لوكين
المفوض الروسي لحقوق الانسان، بروفيسور، دكتور في التاريخ

ميخائيل مارغيلوف
رئيس لجنة مجلس الاتحاد الروسي للشؤون الدولية، دكتوراه في العلوم السياسية

ألكسي ميشكوف
سفير فوق العادة مطلق الصلاحية

هيئة التحرير:

أرمين اوغانيسيان رئيس التحرير

يلينا انانيفا
معلق، دكتوراه في الفلسفة

ناتاليا فوروبيوفا
نائبة رئيس التحرير

أندريه دافيدينكو
النائب الاول لرئيس التحرير

فالينتينا زلوبينا
رئيسة قسم النت والمشاريع الاعلامية

غريغوري بوفولوتسكي
معلق

بوريس بياديشيف
السفير فوق العادة مطلق الصلاحية، دكتور في التاريخ

يفغينيا بياديشيفا
السكرتيرة المسؤولة، دكتوراه في التاريخ

يلينا ستودنيفا
معلق

سيرغي فيلاتوف
خبير

عامود رئيس التحرير

أرمين أوغانيسيان

عماذا كان للقذافي ان يفصح لمحكمة الجنايات الدولية؟ 84

العالم من حولنا

سيرغي ستيباشين، رئيس الهيئة الفدرالية الروسية للرقابة والتفتيش، رئيس الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية

إن عقدت العزم على زيارة الأراضي المقدسة، فزرها 92

سيرغي نيكولايف

آسيا الوسطى في الجيوسياسة: المد الامريكي (بين عامي 1991-2008) 97

الاتجاهات

أوليغ بافلوف، خبير سياسي

هل العالم العربي وقع ضحية فتنة مفتعلة والى اين تسير التطورات في الشرق الاوسط 128

ألكسي بوغوسلوفسكي، خبير في الشؤون التاريخية والسياسية للدول الإفريقية

الاتحاد الافريقي والأزمة الليبية: من أصغى الى صوت إفريقيا؟ 146

فلاديمير كوزنيتشيفسكي

الحالة الليبية ومشكلة سيادة الدولة..... 162

مع وضد

في ليبيا

حوار 178

رف الكتب

بوريس بياديشيف

قمم الألب التي اعتلاها السفير أندريه ستيبانوف 200

غينادي غاتيلوف

حوار على هامش كتاب فريد من نوعه 208

فاليري فوروبيوف

المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة 213

Международная

ЖИЗНЬ

الاحداث السياسية الدولية

الفهرس

سيرغي لافروف، وزير الخارجية الروسي

تعزيز الأرضية الاخلاقية في العلاقات الدولية يشكل بالنسبة الينا جزءا لا يتجزأ من السياسة الكبرى..... 7

«الباقة الذهبية»

مراد مدلسي، وزير الخارجية الجزائري

روسيا والجزائر: تاريخ الثقة المتبادلة..... 14

سعد الدين العثماني، وزير الشؤون الخارجية والتعاون المغربي

المملكة المغربية: الدولة التي لم يصلها «الربيع العربي»..... 23

الدبلوماسية

أندريه دينيسوف، النائب الاول لوزير الخارجية الروسي

الحمد لله لا يوجد لدينا اعداء في عالمنا المعاصر..... 36

ميخائيل بوغدانوف، نائب وزير الخارجية الروسي

الشرق الاوسط وشمال افريقيا: منطقة على عتبة تحول داخلي جوهري... 55

سيرغي ريابكوف، نائب وزير الخارجية الروسي

عام حافل بالإيجابيات، ولا محل للشكوى..... 70

مجلة "الاحداث السياسية الدولية"

الجهة المؤسسة: وزارة الخارجية الروسية

تعد مجلة "الاحداث السياسية الدولية" المجلة السياسية الخارجية الشهرية الرائدة في روسيا، حيث ما انفكت تصدر منذ عام 1922، وتحظى باهتمام شريحة واسعة من القراء داخل روسيا وخارجها.

وتساعد العلاقات المتينة القائمة مع وزارة الخارجية الروسية على تحدث المجلة باللغة الدبلوماسية المحترفة خلال تغطية السياسة الخارجية ونشاطات السلك الدبلوماسي الروسي، وتمكن من وضع التحليلات الموضوعية للمشاكل السياسية والاقتصادية التي تواجهها البلاد والمجتمع الدولي.

يرأس مجلس المجلة معالي وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف.

شريحة قراء المجلة تشمل متابعيها في إدارة الرئاسة والحكومة الروسيتين، وفي الأوساط المالية الاقتصادية والدبلوماسية، الى جانب العلماء والأوساط الاجتماعية والطلابية.

تصدر مجلة "الاحداث السياسية الدولية" باللغة الروسية، والإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والإسبانية، والصينية، والعربية.

Digest 2011

الإحداث السياسية الدولية

قضايا السياسة الخارجية، والدبلوماسية، والأمن القومي

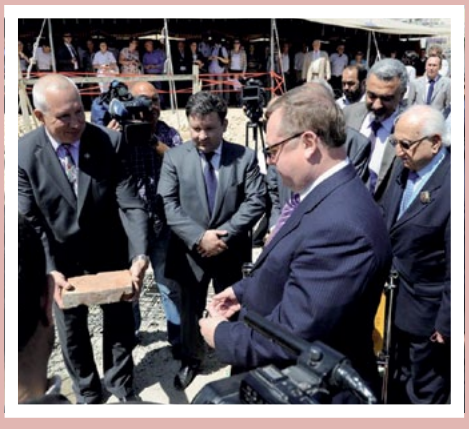

www.INTERAFFAIRS.ru